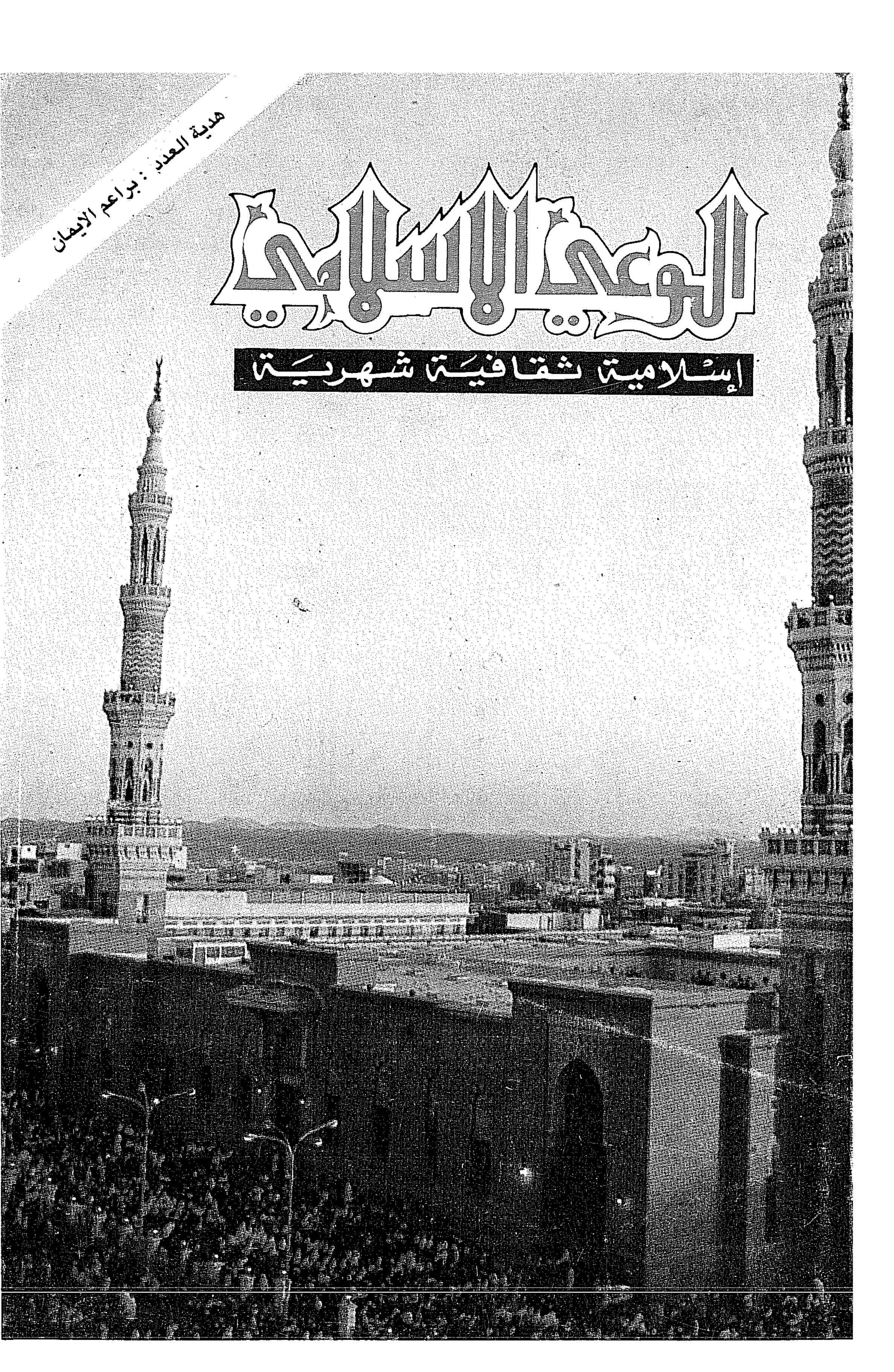

هدية العدد : براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية

من روائع فن البناء الاسلامي

المسجد والمعهد الاسلامي بداكار ـ السنغال



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٥ ● ربيع الأول ١٤٠١ هـ ● يناير ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات



الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي



الدولة الاسلامية

الشريعة الاسلامية التي انزلها الله تعالى على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج بها الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى السلوك المستقيم في هذه الحياة ، حملت في كيانها الخصائص التي تحقق هذا الهدف السامي ، فكانت شاملة لكل شئون الحياة ، من عبادات وعقائد واخلاق ومعاملات .. وهذا الشمول يقتضي ان يكون من احكامها وقواعدها ما يتعلق بنظام الحكم في الدولة ، كمبدأ الشورى ، ومسئولية الحاكم واحكام الحرب والسلم ، والمعاهدات والعقوبات .. والدولة الاسلامية هي التي تقوم على تنفيذ هذه المبادئ والاحكام ، بمقتضى ما لديها من قوة وسلطان ، فتقيم المجتمع على العدل والانصاف ، والنظافة والطهر ، والعمل الشريف الجاد .. وفي رحاب هذا المجتمع يسهل على الفرد ان يقيم علاقته مع غيره على تلك المبادئ والاحكام ، لان الانسان كائن اجتماعي ، يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، فان كانت بيئة فساد وضلال ، اتجه الفرد نحو الفساد والضلال ، وان كانت بيئة خير وصلاح ، اتجه الفرد نحو الخير والصلاح ، ولذلك امر الله تعالى المسلم الذي يوجد في مجتمع لا يتمكن فيه من اقامة دينه ، ان يهجر هذا المجتمع ويتحول عنه الى مجتمع رشيد ، مادام قادرا على هذا الهجر والتحول قال تعالى : **(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)** .

فالدعوة الى الله يتذكر بها اولو الالباب ، ويلوي عنقه عنها ارباب الفساد واعوان الباطل ، وهؤلاء لايردعهم عن غيهم وينجى المجتمع من شرورهم ، الا القوة الفعالة قوة الدولة الاسلامية ، ورضى الله عن عثمان بن عفان ، صاحب الحكمة الخالدة « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ولما كانت اقامة الدولة الاسلامية امرا تستلزمه طبيعة الشريعة الاسلامية بدأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالاعداد لقيام تلك الدولة ، في بيعة العقبة الثانية ، التي تمت قبل الهجرة من مكة الى المدينة ، فقد وفد وفد من مسلمي المدينة ، عددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، على مكان قريب من مكة ، سبق ان واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اللقاء فيه . وفي هذا اللقاء بايع هذا الوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اشترطه ، وكانت البيعة عقدا صريحا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم على انشاء دولة اسلامية تكون السلطة فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يلتزم المبايعون بالسمع والطاعة لرسول الله فيما يباشره من شئون تلك الدولة ، وان يلتزموا بنصرته والدفاع عنه ، وعن الدولة ونظامها .. لقد تكلم بعض رجال الوفد قائلين : يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان تقولوا لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة .. فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على ما اشترطه من هذه الشروط ــ البداية والنهاية لابن كثير

وعقب تلك البيعة التي خطط بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقامة الدولة الاسلامية ، امر اصحابه الكرام في مكة ان يهاجروا الى المدينة قائلا لهم : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » وبعد ان هاجر النبي واطمأن في المدينة وبني مسجده ، كتب كتابا بين المهاجرين والانصار يؤكد أواصر الود والمحبة بينهم حتى يكونوا سعداء وقادرين على مواجهة تحديات الاعداء ، وآخى بينهم ، حتى انهم كانوا يتوارثون بهذا الاخاء الى ان نسخ ذلك بأحكام المواريث .. ووادع اليهود المقيمين في المدينة وما حولها وابقاهم على دينهم واموالهم ، وعاهدهم فاشترط عليهم وشرط لهم ، وبهذا قامت اول دولة اسلامية في الارض ، وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اول رئيس لها .. وما معاهدته مع اليهود الا مظهر من مظاهر السلطان السياسي لتلك الدولة .

ومن هذا ندرك ان قيام الدولة الاسلامية التي تؤمن بالاسلام وتعمل بأحكامه ، وتنفذ في الامة تعاليمه ، وتقود الامة في مواطن مكافحة الاعداء ومجاهدتهم ، امر يفرضه الله على المسلمين ، لتستقيم امورهم ، ويعزوا في ارضهم ، وتستقيم على الجادة امورهم ، وفي هذا يقول الحق جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم **(ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)** .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



(١)

من معاني التقليد في اللغة ، المتابعة للغير من غير فكر وتدبر يقال : قلد فلان فلانا ، أي فعل مثل ما يفعل ، دون أن يدرك حقيقة هذا الفعل ، وما ينجم عنه من آثار ، ضارة أو نافعة .

والتقليد غريزة في الكائن الحي ، حيث ينزع الصغير الى تقليد الكبير من بني جنسه ، فيتلقى عنه كل عاداته ، ثم ينقلها بدوره الى الجيل الذي بعده وهكذا ...

وتبدو هذه الغريزة واضحة في الانسان ، وبخاصة في الأطوار الأولى من حياته ، حتى اذا بلغ رشده ، واكتملت شخصيته ، أخذ يستقل شيئا فشيئا

للاستاذ/عبد الكريم الخطيب

بذاته ، مستخدما عقله ومعارفه ، وهذا ما يجعل كل إنسان عالما قائما بذاته ، دون ان ينفصل عن الجماعة في مسيرتها العامة .
يقول ابن خلدون ، في مقدمته :
« فصل في ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب في شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر احواله وعوائده » والسبب في ذلك أن النفس دائما تعتقد الكمال فيمن غلبها ، وانقادت له » .
فالمقلد انما يريد بتقليده لغيره ، أن يلحق به ، أو ينال بعض ما نال هذا الغير مما قصرت عنه يد المقلد له » .

وهذا التقليد إن يكن محمودا في حال ، فانه يكون مذموما في اغلب الاحوال فيحمد اذا احتفظ المقلد بذاتيته ، ودفعه ذلك الى الأخذ بالاسباب التي أخذ بها من قلده حتى بلغ المنزلة التي يريد اللحاق به فيها ... وهذا ما يشير اليه الشاعر في دعوته الى التشبه بعظماء الرجال ، إذ يقول :

فتشبهـــوا إن لم تكونـــوا مثلهم
إن التشبـــه بالرجـــال فلاح

ولكن حين يكون المقلد مجرد تابع لمن قلده ، لا يدري حقيقة ما يفعل ، ولا يقدر عواقب ما يأتي ، وما يدع من الأمور ، بل يعطل عقله ، ومدركاته جميعا ، ويسلم نفسه ليد من يقوده ولو الى الهلاك — حين يكون المقلد على هذه الصورة ، فان التقليد هنا يصبح شؤما وبلاء على صاحبه اولا . وعلى الجماعة التي يعيش معها ثانيا .. اذ لا يعدو أن يكون هذا المقلد شبحا لانسان ، وظلا لآدمي اشبه بالسراب : **(يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)** سورة النور / ٣٩ ... ثم هو في الوقت نفسه مرض معد ينتقل الى غيره من اهله ومعاشريه ، الامر الذي من شأنه ان يقتطع اعدادا كثيرة من افراد المجتمع الذين عطلوا ملكاتهم ، وافقدوا وجودهم ، فلا يرجى منهم جديد يضاف الى رصيد الجماعة في اي وجه من وجوه الحياة .. فاذا صارت الجماعة الى تلك الحال جمدت الدماء في عروقها ، وتداعت عليها دواعي الضعف والوهن ، واذا هي نهب لأطماع الطامعين من الأقوياء ... والله تعالى يقول : **(ولقد كتبنا في الزبور من**

بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) سورة الآنبياء / ١٠٥ والصالحون من عباد الله ، هم الاقوياء ، عقولا ، وارواحا ، واجسادا ، وهم بهذه القوى المتوازنة يكونون اقدر الناس على عمارة الأرض ، واستخراج ما فيها من خيرات ، بحكمة ووضع للأمور في مواضعها الصحيحة .

(٢)

واذا كان خطر التقليد الاعمى في مناشط الحياة ، داء قاتلا لآدمية الانسان ، مميتا لمنازعه ، مقيدا له بأغلال لا فكاك له منها ــ فان هذا الخطر يكون اشد بلاء ، واسوأ عاقبة ومصيرا ، اذا كان ذلك في محيط الدين ، وما تحمل شريعته وأحكامه من هدى ونور ، وما يكون وراء ذلك للمستقيمين عليها من سمو روحي ، ومن اشراق للبصيرة ، والتمكن من الادراك والفهم لما وراء كل امر من خير او شر ...

إن التقليد في أمور الدين ــ عقيدة وشريعة ــ يحجب عن المقلد كل ما يحمل الدين من خير لأهله ، الفاقهين له ، المتمسكين به ، حيث لا يرى المقلد في دينه ، الا كلمات يرددها من غير وعي لها ، او ادراك لمراميها ، اشبه بالببغاء وما يخرج من فمها من كلمات تسمعها ، فترددها كما سمعتها ، دون ان تفهم شيئا منها ، ولو كان فيها ما يحدث عن قتلها ... اما عبادات مثل هذا المقلد ، فهي مجرد اداء آلي ، ليس فيه اثر لحركة شعور ، او انفعال وجدان ، بل هي اشبه بما يأتي المنافقون والمراءون من عبادات ، يمثلون بها للناس انهم مؤمنون ، وما هم من الايمان في شيء ... وفيهم يقول الحق سبحانه : **(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)** سورة الفرقان / ٢٣ ...

(٣)

والسؤال هنا ، هو : كم من المسلمين من يتلقون عقيدتهم وشريعة دينهم عن تقليد مثل هذا التقليد الأعمى ؟

والحق ، أن المشاهد في جمهرة كبيرة من المسلمين أنهم يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن متابعة للمجتمع المسلم الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعاتهم الخاصة والعامة ، دون أن يرجعوا في هذا الى شيء من النظر ، والبحث والتدبر ، فيما يأخذون منها أو يدعون ! !

ولا شك أن أي عمل يعمله الانسان أو أي سلوك يسلكه ، وهو واقع في أسر هذا التقليد الأعمى ، يكون عملا آليا ، وسلوكا طفوليا ، لا اثر للعقل فيه ، ولا صلة للشعور به ، اشبه بالسلوك العشوائي للحمقى ، والبله ، والأطفال ...

ونحن اذ نقرر ان هؤلاء المقلدين من عوام المسلمين واشباههم ، هم حسنو

النية ، لا يخالطهم شيء من النفاق او الرياء ... ولكنهم ــ مع هذا ــ ملومون مقصرون في حق انفسهم ، وحق دينهم ، ذلك انهم ــ وهم على تلك الحال ــ يبخسون انفسهم حقها من الانتفاع بما يفيض به عليهم دينهم من خير عظيم ، وزاد كريم لدنياهم واخراهم جميعا ، لو انهم عقلوه ، وعرفوا حقائقه ومراميه ! !

وانه لكي يكون المسلم انسانا سويا ، ذا ارادة محكومة بعقل ، وناشئة عن بصيرة ووعي ، فقد جاءت دعوة الاسلام مفتتحة بهذا الأمر الكريم من رب العالمين ، الى من اصطفاه الله سبحانه لحمل رسالة الاسلام ، والى كل من استجاب لدعوته ... فكان هذا المفتتح هو قوله تعالى : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**) سورة العلق / ١ ــ ٥

فهذه دعوة آمرة من الله سبحانه موجهة الى نبي أمي ، والى قوم أميين لم يعرفوا القراءة ، ولم يمسكوا بأيديهم قلما ولا قرطاسا ! !

وليست الدعوة الى القراءة محصورة في قراءة ما تكتبه الايدي وتخطه الأقلام في الصحف ، بل ان هناك قراءة أفسح مجالا ، وأوسع مدى ، واكثر علما ، هي القراءة في صحف الوجود ، والنظر المتدبر في كل ما ابدع الخالق سبحانه وصور ، ابتداء من الذرة الى المجرة ، وانطلاقا من الأرض الى السماء ...

وانه لنظرة من عقل واع وقلب سليم الى شجرة باسقة ، وما تحمل من زهر وثمر ، ثم رد النظر اليها مرة ومرة ، ومرات حتى يرتد النظر الى اصلها ، والى انها كانت حبة صغيرة يابسة ، ثم بعث فيها الخالق سبحانه ما احيا مواتها ، واطلق القوى الكامنة فيها حتى اصبحت ذات ظل ممدود ، وثمر منضود ــ ان نظرة كهذه لتهز كيان الانسان ، وتفتح مغالق عقله وقلبه الى الايمان بالخالق ، القادر المدبر الحكيم ، ايمانا يملك وجود الانسان كله ، في سره وجهره : (**الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**) سورة الملك : ٣ و ٤ .

فكيف اذا امتد بصر الانسان الى عوالم المخلوقات ، من الحشرات ، والطير ، والأنعام ، ثم الى عالم الانسان وما بين الناس من اختلاف الالسنة والالوان ، والمشاعر والاحاسيس ، والعلم والمعرفة ؟ ان الانسان ليجد نفسه في تلك الحال في قراءة متصلة لأسفار لا تنتهي ، وهو في مكان من الأرض وفي حدود دائرة بصره ، ومسبح خياله ! ! ثم كيف بهذا الانسان اذا نظر الى السماء ، وكواكبها ونجومها ، ومجراتها ؟ :(**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) سورة آل عمران : ١٩٠ و ١٩١ .

ولقد نعى الله تعالى على اولئك الذين يهملون عقولهم ، ولا يستدعونها عند كل

امر يعرض لهم ، في شئون دينهم او دنياهم ، وانزلهم منزلة دون الانعام ، وتوعدهم بالعذاب الاليم في نار جهنم ، فقال تعالى : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** سورة الاعراف : ١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ما له من عقل ، وارادة ومشيئة بما يقضي به عقله ، وتستجيب له نفسه : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** سورة الكهف / ٢٩ ... **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** سورة البقرة / ٢٥٦ : ولقد تبين الرشد من الغي ، بما وهب الله تعالى الانسان من عقل ، وبما بث في هذا الوجود من آيات ناطقة بقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، ثم بما بعث من رسل ، يذكرون من غفل ، ويهدون من ضل : **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** سورة النساء / ١٦٥ .

(٤)

ونعود بعد هذا لنسأل :

ما حكم هؤلاء المسلمين المقلدين في الدين ، من العوام واشباه العوام ، الذين يأتون ما يأتون من امور الدين في العقيدة ، وفي العبادة وغيرها ، عن انقياد مطلق ، وتقليد اعمى لمن قلدوهم ، دون ادراك ، اوفهم ، لما يأتون اويذرون ، من اقوال وافعال ؟

وهل يصح ــ مع هذا ايمانهم ــ وتقبل طاعاتهم وعباداتهم وهم على تلك الحال ؟

لقد اختلفت اقوال العلماء في صحة ايمان المقلد . اذ كان الايمان هو الركيزة التي يقوم عليها كل قول او عمل يصدر من الانسان ، وينزل منازل القبول من الله تعالى ، وانه بغير الايمان الخالص بالله ، لا يقبل قول او عمل ، وان كانا مقبولين من الذين يؤمنون بالله ، لأن غير المؤمن بالله نجس ، والله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ... والله تعالى يقول عن الكافرين واعمالهم : **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)** سورة ابراهيم / ١٨ .

لهذا كان موقف العلماء من التقليد والمقلدين من المسلمين محتاجا منهم الى وقفات مستأنية فاحصة ، حتى لا يصدروا حكما يخرج المسلم من دينه ، ويقضي على اعماله بالبطلان ، من غير تثبت من دليل قاطع ! فمن العلماء من قالوا : بصحة ايمان المقلد ، اذا كان عاجزا عن النظر بعقله ... ومنهم : من يرى أن الاستدلال شرط لصحة ايمان المقلد ، وعلى هذا الرأي يكون ايمان المقلد من غير

بحث عن الدليل ، أو دون مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح . وممن يرى هذا الرأي الأشاعرة ، وجمهرة كبيرة من العلماء من بينهم محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق ان الأمر يقتضي شيئا من التحديد ، والتفرقة بين المقلد الذي لا يصح ايمانه ، والمقلد الذي يصح ايمانه ، اذ المقلدون جميعا ليسوا على سواء ، في عقولهم ومداركهم ، كما انهم ليسوا على سواء في موقفهم من المقلدين لهم ...

فهناك من المقلدين من هم اشبه بالاطفال في تقليدهم الكبار تقليدا آليا عشوائيا دون ادراك لما يرجى من وراء هذا التقليد ... ومثل هؤلاء الناس يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى .

وهذا الصنف من المقلدين ، انما يسقط عنهم التكاليف ، اذا كان ذلك هو مستواهم العقلي ، الذي عاشوا به بين الناس ، وصحبهم في جميع تصرفاتهم ، من اخذ واعطاء ، وبيع وشراء ، والله تعالى يقول : (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) سورة البقرة / ٢٨٦ .

اما اذا كانت لهم عقول يحسنون التصرف بها في أمور معاشهم ، فاذا جاءوا الى امور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا اليها عقلا ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، بل هم مكلفون ومحاسبون على ما يكون منهم من كفر ، او شرك ، او تقصير في توجيه عقولهم الى فهم حقائق دينهم ،عقيدة وشريعة .

ولهذا يرى كثير من علماء المسلمين ، ان المسلم الذي معه عقل لا يكون مقلدا ، اذ يحمله عقله دائما على ان يفكر فيما يرى او يسمع ، وانه حين يتلقى أمور دينه من أهل العلم فأنه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وان خفي عنه الكثير ايضا ، الا انه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، والمعاملات وغيرها ـ كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا . الى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وان حسب مع هذا من المقلدين ، اذ لا بد من ان تعرض له امور يحتاج فيها الى رأي اهل العلم ، فيفتونه بحكم الشرع فيها ، والله تعالى يقول : (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) سورة النحل/ ٤٣ .

(٥)

واذن ، فانه يمكن ان يقال ـ بمقتضى هذا القول ـ : انه لا يكاد يرى في المسلمين مقلد في الايمان بالله ، وبرسوله ، وبأن القرآن كلام الله ، وبالبعث ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار .... اذ ان العامي حين يسمع الناس يقولون : ان للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، فاذا تكرر ذلك على اذنيه يوما بعد يوم ، ورأى ذلك مجمعا عليه من العلماء ، حكم بصحة ادراك هؤلاء لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به . وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان بالله ، ولم يبق سوى الاستدلال ،

ولما كان مقصود الاستدلال هو الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن باهل العقل والعلم ـ فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي .

(٦)

وخلاصة القول في شأن التقليد والمقلدين من المسلمين ـ هو ان اصول العقيدة والشريعة لا يجوز التقليد فيها ، ولا يصح ايمان المقلد في تلك الأصول .

فالايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، لا يكون الايمان صحيحا بها ، الا باعتقاد جازم ، ولا يقع الاعتقاد الجازم ، الا مع ادراك وعلم ، وكذلك الشأن فيما افترض الله تعالى على المسلم من عبادات ، وما حرم عليه من محرمات فان اتيان هذه العبادات ، واجتناب المحرمات لا يكون الا بسلطان وازع من دين وعقل ، ولا يقوم هذا السلطان الوازع الا بعد علم وفهم ...

وقد توعد الله تعالى اولئك الذين اهملوا عقولهم ، وانقادوا لغيرهم من أهل الشرك والضلال ، حتى اوقعوهم في شباك الشرك والضلال ـ توعدهم الله تعالى بما توعد به قادتهم واهل الكلمة فيهم ، وساقهم جميعا مساقا واحدا الى جهنم وبئس المصير ... وفي هذا يقول الحق سبحانه : (**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**) سورة البقرة / ١٦٦ و ١٦٧ ... ويقول سبحانه : (**وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد**) سورة غافر ٤٧ و ٤٨ .

(٧)

والذي يعنينا في هذا المقام ، ونحن نعرض التقليد الديني الذي اقتطع مجموعات كبيرة من المسلمين ، ان قيل بصحة ايمانهم فانهم مع هذا الايمان الفاتر البارد لا يرتفعون الى المستوى الانساني الذي ينبغي ان يرتفع اليه المؤمن الحق ، ولا يكون لهم في مجال النشاط العقلي والروحي اثر محمود يعود عليهم ، وعلى المجتمع الاسلامي ـ نقول : ان الذي يعنينا في هذا المقام ان ننظر فيه ، ونقف عنده ، هو تلك الطرق الصوفية التي ضمت تحت جناحها اعدادا لا حصر لها من عامة المسلمين واقامت من شيوخ الصوفية حكاما على التلاميذ والاتباع والمريدين ، قد تسلطوا على وجودهم المعنوي والمادي وعطلوا ملكاتهم العقلية ، وسلبوهم اراداتهم ومنازعهم ، واستهووهم بما يدعون من انهم قائمون على

خزائن رحمة الله ، لا ينال احد منها شيئا الا على ايديهم ممن يرضون عنه ، ولا يرضون الا عن من يسلم زمامه لهم ، ويكون بين ايديهم كالميت بين يدي من يغسله ! ! وتلك هي المادة الاولى في دستور التصوف ! !

وهذا ابن عطاء الله السكندري ، من كبار شيوخ المتصوفة ، يقول بالحرف الواحد على طريق القطع والجزم :

« من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان على غير دين » (من كتاب : لطائف المنن » لابن عطاء الله ــ ص : ١٠٣ من الجزء الثاني » .

وهذا « محمد عثمان » شيخ الطريقة البرهانية ، والذي يقيم حاليا بالسودان ، وقد استهوى كثيرا من العامة في السودان ومصر ، وفي كثير من البلاد الاسلامية ، يقول هذا الشيخ الصوفي : « محمد عثمان » هذا الذي يقيم الحدود التي يجب أن يلتزمها الاتباع ازاء شيوخهم فيقول : « من آداب التلميذ مع شيخه أن يجلس عنده مجلس الجلوس للصلاة ! ! وان يفني في شيخه ، والا يجلس فوق سجادته ، وألا يتوضأ من إبريقه ... » ! !

ثم يقول شيخ الطريقة البرهانية ، في عظاته لمن يتتلمذ على شيخ صوفي :

« وليكن محضره في قلبك وخيالك ، فان غفلت عنه وقتا ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام العناء فيه » (من كتاب الهبات المقتبسة لمحمد عثمان) .

ونسأل : ماذا يبقى في قلب الانسان وعقله لله ، بعد هذا الذكر الدائم لشيخه والفناء فيه ؟ بل ماذا يبقى لهذا الانسان من وجود انساني ؟

هذا هو عالم المتصوفة ، وما يضم في دائرته من الوف الألوف من المسلمين ، الذين مسخت إنسانيتهم ، وعبدوا شيوخهم من دون الله ! !

وأين هذا من قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ؟ ومن قوله : « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الاوسط ؟

وأين يجد تلاميذ المتصوفة طريقا الى الفقه في الدين والعلم باحكامه ، وقد سلب الشيوخ عقولهم ومدركاتهم ، وأقاموا حجازا بينهم وبين النظر في انفسهم ، وفي ملكوت السموات والأرض ؟ يقول ابن عبد البر في كتابه : (جامع بيان العلم وفضله) ص : ٥ ــ « وقد اجمع العلماء على ان من العلم ما هو فرض متعين على كل مسلم في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية ، اذا قام به بعض سقط عن اهل ذلك الموضع ...

« والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ، ما لا يسع المسلم جهله من جملة المفترض عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والاقرار بالقلب ، بأن الله واحد لا شريك له ، والشهادة بأن محمدا رسول الله ، وخاتم انبيائه ، وان البعث بعد الموت للمجازاة بالاعمال ، والخلود في الآخرة لأهل الايمان والطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة بالكفر والحجود في النار حق ... وان القرآن كلام الله وكل ما فيه حق من

عند الله ، يجب الايمان به ، وان الصلوات الخمس فرض ، ويلزم من علمها علم ما لا تتم الا به ، من طهارتها وسائر احكامها ، ، وان صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم الا به ، وان كان ذا مال وقدرة لزمه فرضا ان يعرف ما تجب فيه الزكاة ؟ ومتى تجب ؟ وفي كم تجب ؟ ويلزمه ان يعلم بأن الحج فرض عليه مرة واحدة في دهره ، ان استطاع اليه سبيلا ... الخ ... » .

فهل يعرف تلاميذ المتصوفة ، وهم الوف الألوف شيئا من هذا ، وقد استفرغوا جهدهم كله في الولاء المطلق لشيوخهم ، والطاعة العمياء لما يشيرون عليهم به ، بالسنتهم او بايديهم او بأعينهم ورءوسهم ؟

وفي غير عالم المتصوفة كثير من العوام ، لا يكادون يعرفون عن دينهم شيئا الا ما يرددونه على السنتهم ، وما يأتونه من اعمال ، اخذوها عن تقليد ، دون نظر او تدبر ، او فهم !

ومع هذا فان كل اولئك وهؤلاء اعضاء في الجسد الانساني الاسلامي ، ترعى فيها آفات الجهل والغفلة ، بحيث لا تؤدي وظيفتها في هذا الجسد ، بل تعوق حركته ، وتوقف مسيرته وانطلاقه الى العمل لما فيه عز الاسلام ، واعلاء كلمة المسلمين . ان الامر خطير ، يحتاج الى موقف جاد حاسم ، من اهل العلم والفقه ، من ذوي الغيرة على الاسلام ، والمسلمين ، ليقولوا كلمة الحق واضحة صريحة في التقليد والمقلدين في دينهم ، وفي الآخذين دينهم من افواه غيرهم ، دون نظر في كتاب الله وسنة رسوله ...

وانها لامانة اوجب الله على اولي العلم من المسلمين حملها ، واداءها ، كما امر الله تعالى في قوله سبحانه : (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) سورة آل عمران / ١٠٤ ... وكما يقول رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه : « ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله ، وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ... كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطرا ، او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » رواه ابو داود .

***

٨

المشاهد في عالم الأحياء ، من انسان وحيوان ، ان الصغار يقلدون الكبار ، ويحذون حذوهم في الحركات والسكنات ، وفي نقل الأصوات ، والاشارات ، بحيث تنعكس صورة الكبار على الصغار ، مثل انعكاس الصور في المرآة !!

فاذا بلغ الصغير قدرا معينا من العمر ، أخذ يستقل بشخصيته ، منفقا مما تلقاه تقليدا عن كباره ، دون ان يتكلف لذلك جهدا ، أو يبذل طاقة ، حيث يكون أمراً غريزيا كما هو في عالم الحيوان ، الذي لا تضيف أجياله المتتابعة أية إضافة جديدة عما كان عليه الجيل الأول ، مما يعرف بالتطور .

أما في عالم الانسان ، فانه وإن توارثت الأجيال اللاحقة شيئا من الأجيال السابقة ، فان هذا الميراث يدخل عليه شيء كثير من التحوير والتعديل ، والاضافة والحذف ، جيلا بعد جيل ، ومن هنا كانت تلك التطورات الظاهرة من جيل إلى جيل ، حيث يضيف كل جيل إضافات جديدة إلى ما خلفه الجيل أو الأجيال السابقة ، وبهذا علا صرح الحياة الانسانية ، وقامت تلك المدنيات والحضارات ، بكل جديد من مواليد العلوم والفنون ، وما أثمرت من مخترعات مذهلة تمكن بها الانسان من تسخير قوى الطبيعة ، من بخار ، وكهرباء ، ومن تفجير الذرة الذي فتح للناس طريقا ممهدا إلى عوالم السماء ، وغزو الكواكب والأقمار .

ولو وقف الانسان عند موروثات الآباء والأجداد ، لما تقدم خطوة إلى الأمام ، ولكانت مسيرته على مستوى واحد لا يتغير أبدا ، من الأب الأول آدم ، إلى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم .

٩

وإذن ، فالانسان الذي يتغذى عقله من معطيات المجتمع الذي يعيش فيه ، ثم لا يحاول أن يضيف إلى هذا الغذاء شيئا من ذات نفسه ، هو أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى عالم الانسان ، لأن من شأن الانسان السوى أن يكون ذا شخصية متميزة عن غيره من الناس ، بما له من خصائص عقلية ، ووجدانية ، وروحية ، وإن كان ذلك لا يخرجه من عالمه الانساني ..

فالناس جميعا ، على كثرة أعدادهم ، واختلاف أزمانهم وأوطانهم ، لا يكاد يقع التشابه بين اثنين منهم تشابها مطلقا ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : (**ومن**

آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم/٢٢ .

١٠

وإذا كانت المتابعة للغير في الأقوال والأفعال مما يقتل في الانسان روح الابتكار والتجديد ، بل يأتي ما يأتي من الأقوال والأفعال بصورة آلية خالية من كل أثر ذاتي له ، فان هذه المتابعة للغير في أمور الدين ، وفيما يأتي المتدين من طاعات وعبادات ، هى أعظم خطرا ، وأسوأ عاقبة من المتابعة والتقليد للغير فيما يتصل بأمور الدنيا العارضة ، إذ كان الدين في صميمه هو السلطان القائم على الناس ، والمؤثر في كل منشط لهم في أمور الدين والدنيا جميعا ..

وإن الدين لا يقوم في كيان الانسان مقاما صحيحا ، إلا إذا اتصل بعقل الانسان ، وخالط مشاعره ، وانسكب في وجدانه ، فكان قوة موحية له بكل قول يقوله ، أو عمل يعمله ، وإلا جاءت كل أقواله وأعماله ، على صورة عشوائية ، لا يقوم عليها من الدين سلطان ، ولا يكون لها من مغارس الدين زهر أو ثمر ، أشبه بأعمال الذين كفروا بربهم ، الذين يقول تعالى عنهم وعن أعمالهم : **(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)** سورة ابراهيم/١٨ .

١١

ونسأل بعد هذا : كم من المسلمين اليوم من أولئك الذين يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعهم الخاص والعام ، دون أن يرجعوا في هذا أو ذاك إلى شيء من البحث والنظر والتدبر ، فيما يأخذون أو يدعون ، مما أمر الله تعالى به ، أو نهى عنه .

ولا شك أن أي سلوك يسلكه المتدين في تلك الحال يكون سلوكا غير صادر عن وعي له ، أو شعور به ، ومن هنا لا تكون له ثمرة يحصل عليها المتدين في أمور دينه أو دنياه ، لأنه عمل عشوائي ، أشبه بأعمال الحمقى والبله ، والأطفال .. ولقد دعا الله سبحانه إلى النظر والتدبر فيما خلق ، ليتعرف الانسان إلى ربه ، وإلى بدائع قدرته وحكمته ، ولتتوثق صلته بربه ، فيقول سبحانه : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها**

وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) سورة ق/٦ ــ ٨ ، كما نعى سبحانه على أولئك الذين أهملوا عقولهم ، فلم يستدعوها عند كل أمر يعرض لهم ، فكانوا دون الأنعام منزلة ، فيقول جل شأنه فيهم : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** سورة الأعراف/ ١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ماله من عقل وإرادة . وإليه الأخذ بالدليل أو تركه ، فيقول سبحانه : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** سورة الكهف/ ٢٩ ..

١٢

ومن هذا التقليد الأعمى ، الذي شاع في المجتمع الاسلامي ، منذ عدة قرون ، دخل الضعف والوهن على الأمة الاسلامية ، وتدسس إلى المسلمين أعداء الاسلام ، والمتجرون بالدين ، ينشرون بينهم البدع والخرافات ، ويمكنون لها في مشاعرهم ، لتحل محل الدين الصحيح ، وشريعته الغراء .

وبهذا تحولت حال الأمة الاسلامية التي أخلت يدها من كل ما كان لها من أمجاد ، بما مكن الله تعالى لها في الأرض ، يوم كان المسلمون على علم بدينهم ، وعلى ولاء مطلق له ، فعزت دولتهم ، وسادت أمتهم ، حين نصروا فنصرهم ، وحين كانوا جند الله في الأرض ، فكتب لهم الغلب ، كما يقول تعالى : **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** سورة الحج/ ٤٠ و٤١ .

هذا ولن يعود إلينا ما سلبت الأيام والأحداث من أمجاد ماضينا ، وعزة أسلافنا ، إلا إذا عدنا إلى الله ، وإلى دين الله ، على هدى وبصيرة ، وعلى علم ووعي بحقائق هذا الدين ، وأحكام شريعته ، فعبدنا الله على هدى وبصيرة ، مخلصين له الدين ..

عندئذ يتحقق لنا ما وعد الله تعالى به ، في قوله سبحانه : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** سورة النور/ ٥٥ .

١٣

ثم لنسأل بعد هذا : ما حكم المقلدين في الدين ، الذين يأتون ما يأتون من عبادات وطاعات وقربات ، متابعين لغيرهم دون فهم صحيح ، وإدراك سليم لما

يأتون من تلك العبادات وهذه الطاعات والقربات ؟ وهل يكون لهم حظ من آثارها الطيبة المرجوة منها عند الله ؟ وهل يكون إيمانهم صحيحا مقبولا عند الله ؟

لقد اختلف العلماء في صحة ايمان المقلد ، وفرقوا بين ما يجوز التقليد فيه ، وما لا يجوز ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ! فمنهم من قال بصحة ايمان المقلد في دينه ، إذا كان عاجزا عن النظر فيه بعقله !!

ومنهم من يرى أن الاستدلال والادراك الذاتي شرط لصحة الايمان ، وعلى هذا يكون ايمان المقلد من غير بحث عن الدليل ، أو مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح ، وممن يرى هذا الرأي ، الأشاعرة وجمهور كبير من العلماء ، من بينهم ، محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق أن الأمر يقتضي شيئا من البيان والتحديد للمقلد الذي يصح إيمانه ، والمقلد الذي لا يصح منه هذا الايمان .. إذ المقلدون ليسوا على مستوى واحد في موقفهم من المقلدين لهم ..

فهناك من المقلدين من هم أشبه بالأطفال في تقليدهم للكبار تقليدا لا شعوريا من غير إدراك لما يرجى من وراء هذا التقليد . ومثل هؤلاء المقلدين يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى : (**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) سورة الاعراف/ ١٧٩ .

وهؤلاء المقلدون ، إنما يسقط عنهم التكليف ، إذا كان ذلك هو مستواهم العقلي الذي يعيشون به ، والذي يصحبهم في جميع تصرفاتهم الدنيوية وتبادل المنافع مع الناس .

أما إذا كانت لهم عقول يحسنون بها التصرف في أمور معاشهم ، فاذا جاءوا إلى أمور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا إليها عقلا يعرفونها به ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، ولا يقبل منهم التقليد ، بل هم مكلفون ، ومحاسبون على ما يكون منهم من تقصير في توجيه عقولهم إلى فهم حقائق دينهم ، الذي لابد لفهمه من توجيه العقل إليه ، وإرواء القلب من ينابيعه العذبة الصافية .

ولهذا يرى أكثر العلماء ، أن المسلم الذي معه عقل يعيش به في الناس ، ويشاركهم حياتهم لا يكون مقلدا في أمور دينه ، إذ يحمله هذا العقل على أ ن يفكر فيما يرى أو يسمع ، ثم يأخذ طريقه حسب وعيه وفهمه ، ثم إنه إذ يتلقى أحكام دينه من أهل العلم ، فانه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وإن خفي عليه الكثير أيضا ، إلا أنه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، وفي المعاملات وغيرها ، كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا إلى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وإن حسب مع هذا من المقلدين ، إذ لابد أن تعرض له أمور يحتاج فيها إلى أهل العلم ، الذين يستفتيهم فيفتونه بحكم الشرع فيما يسأل عنه .

وإذن ، فانه على هذا المفهوم يمكن القول بأنه لا يكاد يرى مقلد في الايمان

بالله ، وفي أن القرآن كلام الله ، وفي البعث والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، إذ أن « العامى » حين يسمع الناس يقولون : إن للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء ، وهو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له ، ثم إذا تكرر ذلك على أذنيه يوما بعد يوم ، ورأى أن ذلك مجمع عليه من العقلاء ، حكم بصحة إدراك هؤلاء ، لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به ، وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان ، إذ لم يبق سوى الاستدلال ، ولما كان مقصود الاستدلال هو حصول الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد ، بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن بأهل العقل والعلم ، فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي ..

١٤

ونقول : إنه إذا صح القول بصحة إيمان مثل هذا المقلد ، فانه يظل مع هذا غير أهل لأن يحصل الكثير من خير الايمان ، لأن التقليد بغير فهم وإدراك لا يزال مسيطرا عليه ..

ثم أين من المقلدين في زماننا هذا من يعني نفسه بالبحث عن العالم الذي يستفتيه فيما أغلق عليه فهمه ؟ إن أكثر المقلدين يأخذون دينهم على ما قلدوا من مجتمعهم الذي أكثره مقلدون ، قد خف ميزان الدين عندهم ، فلم يطلبوا حقائقه ، ويستيقنوا أحكامه !! وإنه لظالم لنفسه ، مقصر في أمر دينه ، سالك بنفسه مسالك التيه والضلال ، معرض دينه لأن تدخل عليه البدع والضلالات من المبتدعين والمضللين ـ من وقف عند حد التقليد في دينه ، ولا يطلب المعرفة ، بوعيه وفهمه ، وبمشاركة أهل العلم علمهم ، والرجوع إلى أهل الذكر منهم فيما اشتبه عليه ، والله تعالى يقول : (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) سورة النحل/٤٣ . ويقول سبحانه داعيا إلى رد ما يرد على الناس من أمور ، لا يعرفون وجه الحق منها ، ولا يردونها إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، فيهلكون ويهلكون ، يقول سبحانه في هؤلاء : (**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا**) سورة النساء/٨٣ . وأولو الأمر في هذه الآية الكريمة ، هم أهل العلم ، والفقه لدين الله ، والنصحة للمسلمين .

وإنه لواجب على أهل العلم أن يكشفوا حقائق الدين للعوام وأشباه العوام من المسلمين ، وأن يقوموا مقام رسل الله فيهم ، بالدعوة إلى الحق ، وإزالة الشبهات ، وفضح البدع ، والله تعالى يقول : (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**) سورة آل عمران : ١٨٧ . والذين أوتوا الكتاب في الآية الكريمة ، هم أهل العلم بما أنزل الله من كتاب ، ومن حق هذا العلم عليهم ان يبلغوه إلى الناس كما علموه ، وإلا كانوا في معرض المؤاخذة والعقاب من الله تعالى .

١٥

وقد توعد الله تعالى أولئك المقلدين ، الذين لم ينظروا فيما يقلدون ، فانساقوا وراء مقلديهم الذين رموا بهم في متاهات الضلال ــ لقد توعدهم الله ، بما توعد به أولئك الذين قلدوهم وأخذوا طريق الضلال معهم ، فقال تعالى : (**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**) سورة البقرة/ ١٦٦ و١٦٧ ، وقال سبحانه مخبرا عما يكون بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة من ملاحاة ، وتقاذف بالتهم : (**وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**) سورة ابراهيم/ ٢١ . وقال سبحانه أيضا : (**ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين**) سورة سبأ/ ٣١ و٣٢ .

١٦

ونعود لنسأل هذا السؤال الذي سألناه آنفا ، وهو : كم من المنتسبين إلى الاسلام منذ أخريات العصر الأول للاسلام ، قد زهدوا في عقولهم ، واستغنوا عنها في التعرف على دينهم ، حتى تحولوا إلى جماعة من العميان ، أسلموا قيادهم لأهل البدع والأهواء ، يقودونهم إلى حيث يشاءون ، كما يقود الجزار بهيمته إلى المذبح ؟ إنهم اليوم كثيرون ، وكثيرون جدا في كل مواطن الاسلام ، قد ركبوا طرقا مختلفة ضالة ، من تلك الطرق التي أشار إليها رسول الله في قوله الكريم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قيل من هي يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » !! رواه احمد .

إن فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة هي التي على دين الله القويم ، أما بقية هذه الفرق فهي في متاهات الضلال ، كل فرقة منها يقودها الشيطان بعيدا عن صراط الله المستقيم ..

وأحسب أن حالنا اليوم قد تحقق فيها مصداق الحديث النبوي ، حيث تعددت الفرق التي لم تمسك من الاسلام إلا باسمه ، دون أن يكون معها شيء من حقائقه .

وليس لذلك من سبب إلا التجافي للعلم ، والاستخفاف بالعقل ، وليس وراء هذا إلا العماية والجهل ، ولا مكان للدين ، ولا أثر لأحكامه وشرائعه ، مع العماية والجهل .

فالعلم ميزة اختص الله تعالى بها الانسان ، دون سائر المخلوقات المعروفة

لنا ، وبفضل هذا العلم ، كان سجود الملائكة لآدم ، وكان لآدم وحده منصب الخلافة على الأرض ..

وقد فضل الله الناس بعضهم على بعض بالعلم ، ورفع درجات أهل العلم منهم إلى منازل رضوانه حسب حظوظهم من العلم ، فقال تعالى : (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) سورة المجادلة/ ١١ .. وقد جعل الله تعالى خشيته لا تسكن إلا قلوب أهل العلم من المؤمنين ، فقال تعالى : (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) سورة فاطر/ ٢٨ .

١٧

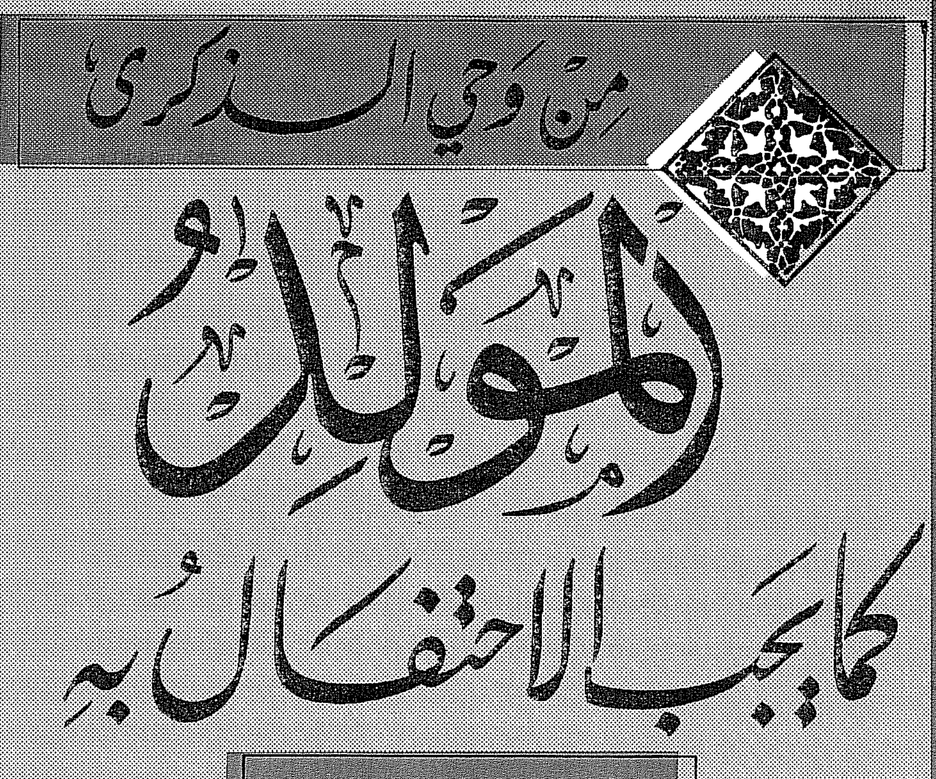
فمن آمن بالله ، لا يكون إيمانه راسخ القواعد ، قوي البنيان ، طيب الثمرات ، إلا بالعلم الذي يفتح له الطريق إلى الله ، ويطلعه على بعض ما لله تعالى من علم ، وقدرة وحكمة ، وبهذا تقوى صلته بربه ، ويقوم عليه من جلال الله وخشيته سلطان يقيمه على طاعة ربه ، ويصرفه عن معاصيه .

ولهذا يقول الرسول الكريم ، « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الأوسط ، لأن العلم ، وإن كان قليلا هو نور هاد الى طريق الحق ، ومواقع الخير ، ولأن العبادة مهما كثرت دون العلم الذي تعرف به حقائقها ، وتتكشف به أسرارها ، هى عبادة لا يتصل بها عقل ، ولا ينبض بها شعور ، ولا ينفعل بها وجدان ، ومن ثم فلا تترك أثرا في سلوك من يؤديها ، وعبادة بلا أثر ، هي سراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجد شيئا .. وهنا تكون الحسرة والخيبة ، ومضاضة الألم ، وسوء المنقلب ..

١٨

فيا إخوة الايمان ، ويا أمة الاسلام ، تعلموا العلم ، وخذوا بأوفر حظ منه ، لتتسع مدارككم ، وتستنير بصائركم ، حتى تحققوا معنى لا إله إلا الله ، ولتنزلوها منزل التمكين والتكريم في أقوالكم وأفعالكم .. وبهذا تتفتح لكم مغالق هذا الوجود ، وتتكشف لكم أسراره ، التي تمكن لكم ولدينكم في الأرض ، وتقيم منكم جنود الله ، الداعين إلى توحيده ، الموجهين إلى طاعته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري .. ويقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة » !! رواه ابو داود والترمذى .

فاطلبوا العلم ياأمة العلم ، وياوارثى ما جاءت به رسالات الله التي ختمت بها رسالة الاسلام ، وانزعوا عنكم ما لبسكم من الجهل بأمور دينكم ودنياكم ، وبهذا يعز دينكم ، وتعلو كلمتكم ، ويفتح الله لكم ابواب الخير والبركات من السماء والأرض ، كما يقول الحق سبحانه : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) سورة الاعراف/ ٩٦ . صدق الله العظيم .



للاستاذ/محمد الكوفي عسقيانور

كلما هل هلال شهر ربيع الأول ، حلت معه ذكريات عطرة ، وقبسات زكية ، ترفرف بالمسلمين في العلياء المترامية ، وتحلق بهم بعيدا إلى الأرض الطيبة الواسعة الرحيبة ، إلى بلد الله الأمين ، حيث كان مولد ذلك الشخص النبيل ، عظيم القدر الجليل ، الذي هز كيانه العالم بمولده ، وتغير مجرى التاريخ بمجيئه .

فأشرقت شمس العلم والعدل والرحمة والتعاون ، على الكون قاصيه ودانيه ، وسطع ضياؤها فاختفى ظلام الجهل المبيد واندثرت معالم الجور والظلم العتيد ، وأقبرت مبادىء الخشونة والفظاظة والعنف ، وضاقت هوة التمزق وبوتقة التعصب والتمرد ، وغياهب العزلة والانطواء .

ففي هذا الشهر العظيم وفي اليوم الثاني عشر منه على وجه التحديد ، يحتفل المسلمون قاطبة في جميع الأصقاع ومختلف الربوع والقلاع ، بذكرى ميلاد المصطفى المجيد ، وفي

نفس الوقت بذكرى الهجرة والوصول الى قباء بالمدينة المنورة ، وذكرى الوفاة والنقلة من دار ترابية فانية إلى دار نورانية باقية .

فقد كان مولده صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٣ ابريل ٥٧١م ، وكانت هجرته في هذا الشهر ووصوله إلى قباء بالمدينة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١٤ من البعثة الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى مختارا جوار ربه تبارك وتعالى في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ للهجرة الموافق ٨ يونيو ٦٣٢م .

وكيف لا وهو أعظم خلق الله كلهم ، أنقذ البشرية ، وحررها من عقال الجهل والظلم والفرقة والتباين والعبودية ، وهداهم إلى نور المعرفة والمحبة والتآخي وغيرها من الصفات والمبادىء والقيم مما لا يدخل تحت حصر ، وصدق الله العظيم إذ قال : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة / ٢

وقوله تعالى في موضع آخر في حق نبيه الكريم : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء / ١٠٧

وتزيد هاتيك المعالم من الشمائل النبوية الكريمة وضوحا وجلاء حين نطالع قوله تعالى في سورة التوبة : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)** التوبة / ١٢٨

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن لنا أن نحتفل بذكرى المولد ، وصاحبها على هذه المكانة المرموقة السامية من المجد والعظمة والمكارم الأخلاقية والكمال الانساني ؟ كيف سنرقى سلم الشكر له على صنيعه ونؤتيه حقه وافيا غير منقوص ؟ . هل باقامة المأدبات الزاخرة بأصناف الأطعمة الشهية وأنواع المشروبات العذبة ؟ أم باحياء الليالي الساهرة بالأمداح وتلاوة السيرة في أويقات عابرة يعيشها ويحياها المحتفل ثم لا يلبث أن يولي لها ظهره دون أن يكون لذلك في نفسه أدنى أثر ، بل يكون وكأنه سحابة صيف ؟!!

فكيف ، اذن ، نحتفل بهذه الذكرى العظيمة ، احتفالا يخول لنا أن نكون في مستوى الذكرى وصاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ؟؟؟!

الأمر في غاية البساطة ، لا يكلفنا تعبا ولا وصبا ، ولا إجهادا ولا إنفاقا في غير موضعه . لن أدعكم – أعزائي – للظنون تذهب بكم كل مذهب ، وللتفكير الممل يركب بكم في الخيال كل مركب . سأضع النقط على الحروف ، موضحا لكم ما يجب فعله . تعالوا معي نلقي نظرة على كتاب الله العزيز الحكيم ، الذي جعله الله لنا دستورا يهدينا للخير ، ويضيء لنا طريق الحق : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور**

بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة / ١٥و ١٦ ونطالع في سورة الأحزاب قوله تعالى : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب / ٢١ هذه آية من آي الذكرالحكيم ، إذا ما نحن تأملناها وسبرنا غورها وأعملنا فيها فكرنا فسيؤدي الأمر الى طرح أسئلة استفسارية منها ما يلي :

كيف كان الرسول عليه الصلاة و السلام في معاملاته مع الناس ؟ وبم كان صلى الله عليه وسلم متصفا ؟ وفي أي الوجوه نتخذه لنا أسوة ؟ هذه التساؤلات وغيرها ، نجد الاجابات الشافية عليها إذا ما نحن عدنا وفتحنا الكتاب المنزل ، وألقينا عليه نظرة أخرى ، فاحصة مستقصية لنفتحه إذن على هذه الآيات :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف / ١٩٩

:**(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)** النحل / ٩٠

:**(فاصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)** لقمان / ١٧

:**(فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)** المائدة / ١٣

:**(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** فصلت / ٣٤

:**(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** آل عمران / ١٣٤

انظروا معي إلى هذه الآيات ـ وهي قليل من كثير بزخر به الكتاب العظيم ـ وكلها تقرر أبرز مميزات شخصية رسولنا الكريم ، حيث ان مكارم الأخلاق تشكل الجانب الأساسي والأوفر في حياته عليه السلام ، وهي الأسس التي ركز عليها لبناء مجتمع إنساني كامل ، في مختلف مناحي الحياة ، ومما يؤكد هذا المذهب رواية الامام أحمد حيث قال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فلقد كان المثل الأعلى في حسن السلوك والمعاشرة وطيبوبة النفس ، وسلامة الطوية وكريم الصفح والعفو ، ولنا على ذلك شهادة من الله العليم ، في عبارة موجزة معجزة في آن معا ، يعجز البلغاء والعلماء عن الاحاطة بها ومدح الرسول بمثلها حيث يقول جل علاه :

(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم / ٤

وفيما يلي أورد ما أرى أنه صفات أخلاقية عالية ، وكل اخلاقه عليه السلام عالية وفاضلة ، إلا أن هذه التي سأعرضها هنا تمثل أم الأخلاق ، والصرح الشامخ الذي لم ولن يقوى أحد على تمثلها وتطبيقها على الوجه الأكمل الذي كان عليه الرحمة المهداة رسول السلام صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأخلاق التي لا يرقى إليها أحد سابقا كان أم لاحقا ما يأتي :

أولا : الرحمة والحلم :

إن في حياة الانسان كثيرا من المواقف التي يفقد فيها السيطرة على أعصابه والتحكم فيها بعقله ، فتفقد مع ذلك الرحمة وتجنح نفسه إلى الانتقام والأخذ بالثأر في غير حنان ولا حلم ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما – أي الرحمة والحلم – لا يتأثران بالحرارة فيتمددان ولا بالبرودة فيتقلصان بل يبقيان على حالهما ، محافظين على مكانتهما دون تذبذب ، وشملت رحمته وحلمه الانسان والحيوان ومن ذلك :

أخرج الشيخان عن أنس (رض) أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه) .

قال عبدالرحمن بن عبدالله .

« كنا مع رسول الله في سفر فرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحمرة تعرش فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « من فجع هذه بولدها ردوا لها ولدها إليها » رواه ابو داود انها الرحمة في منتهاها وغايتها القصوى ، إنها رحمة النبوة وصفتها الملازمة . كان الرسول الكريم ، خلقه القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه لا يغضب إلا للحق إذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، ولا يسكن له غضب إلا إذا دمغ الباطل وانتصر الحق . اما في غير حرمات الله فكان أحلم الناس عن المخطئين في حقه . مع قدرته عليه السلام على الأخذ بحقه والثأر لنفسه من خصومه إلا أنه كان يصبر ويتحمل كل ما يلاقيه من إيذاء وسوء معاملة الآخرين .

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال :

(بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما إذا أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله : أعدل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل إن لم أعدل ! لقد خبت وخسرت !! إذا لم أعدل فمن يعدل ، فقال عمر بن الخطاب (رض) يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه ..)

وروى أحمد عن عائشة قالت :

(ما ضرب رسول الله بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان اثما ، كان أبعد الناس من الاثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله) .

ثانيا الكرم :

صفة قاسية على الانسان أن يجود بماله بسهولة ، لأن النفس الانسانية أميل ما تكون إلى جمع المال والحرص عليه . وشتان بين هذا الصنف والرحمة المهداة ، الذي يجود بكل نصيبه من الغنيمة والفيء وغيرهما ، ويوزعه على المحتاجين ، ولا يبقي

لأهله إلا ما يقيم أودهم .
اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد قال :

جاءت امرأة إلى رسول الله ببردة فقالت يا رسول الله جئتك أكسوك هذه فأخذها رسول الله وكان محتاجا اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ما أحسن هذه اكسنيها فقال : نعم ، فلما قام رسول الله ، لامه أصحابه وقالوا ما أحسنت حين رأيت رسول الله أخذها محتاجا إليها ، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، قال والله ما حملني على ذلك إلا رجوت بركتها حتى لبسها لعلي أكفن فيها ..

ثالثا التواضع والتياسر :
وفي هذا الموضوع أنقل ما كتبه « وليم موير » في كتابه « حياة النبي » في وصف تواضع المصطفى وتياسره مكتفيا به . يقول ٠
(كانت السهولة صورة من حياته كلها ، وكان الذوق والأدب أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه ، فالتواضع والشفقة والصبر والايثار والجود صفات ملازمة لشخصه . وجالبة لمحبة جميع من حوله فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا هدية مهما صغرت وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه ، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه باقباله وان كان حقيرا . وكان إذا لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره ، وكان مع المصاب والحزين شريكا شديد العطف حسن المواساة وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس ، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم) .

لعلنا بعد هذه الجولة السريعة في أرجاء شخصية الرسول الكريم نخرج باجابات مفحمة لكل تساؤلاتنا ، وبقي لنا أن نعمد إلى فهرس حياتنا فننظر فيه مستقصين جوانبه ، وندخل عليه تعديلات وتغييرات جذرية تتغير على أثرها حياتنا من سيىء إلى حسن جدا ، وذلك بالتأسي بالرسول الكريم في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا . فتطبع حياتنا بطابع الاسلام الذي ارتضاه لنا ربنا كدين قويم بل كمنهج حياة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وربنا الذي يقول في القرآن الكريم :
(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**) آل عمران / ٣١ .

كيف لا نتبع من قطع أشواط حياته كلها دون أن تحمل نفسه حقدا ولا ضغينة ، في ترفع عن الانتقام والايذاء ، فاتحا ذراعيه لكل مخطىء في حقه بل ويصفح عنه مستغفرا له . قال تعالى : (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران / ١٥٩ .

فيا أشبال أمة الاسلام ويا قلبها

النابض ، ويا حملة لواء الاسلام لنتخل عن الشعارات المجوفة ، والتشبث بالمظاهر والطقوس ، ولنتجه كليا قلبا وقالبا للسير على نهج الرسول القويم ، بتطبيق حدود الله ، والتزام أوامره ونواهيه سرا وعلانية ، في السراء والضراء . ونسير على تقوى من الله حتى نسلم الروح إلى بارئها ونحن على حالة طيبة ترضي الله والرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشرفنا يوم اللقاء .. يوم النشور .. وبهذا نكون قد احتفلنا بالمولد أعظم احتفال وأضفنا إلى أمجاد السلف أمجادا أخرى تهتز لها السموات والأرض ومن فيهن .. ونكون قد برهنا على أحقيتنا بوسام خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

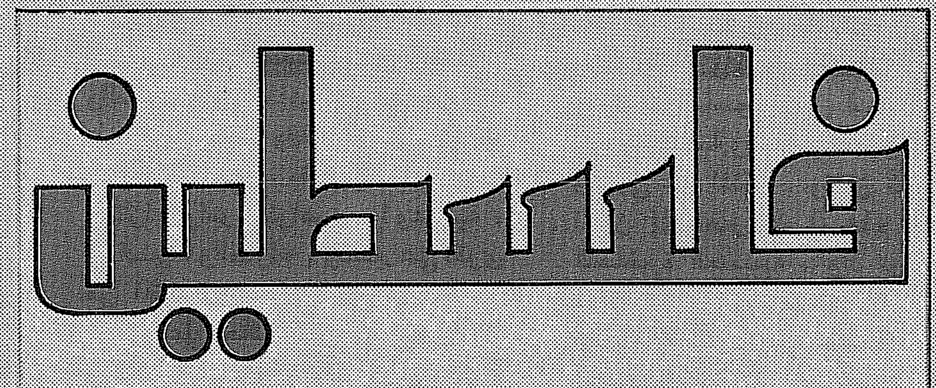
وهكذا ـ أعزائي الكرام ـ وبهذا السلوك الاسلامي الصرف المتضمن للمعاني السامية ، والأخلاق الكريمة الفاضلة ، سيحق علينا قول الله جل شأنه :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الأعراف / ٩٦

فلا يضرنا إن قطع معسكرا الكفر والاستغلال البشع إعاناتهما ومساعداتهما علينا ، ولن ترهبنا فلولهم الضعيفة على كثرتهم وخبرتهم وعتادهم القوي . ما دام الله ولينا ، وما دمنا سنكون خلفا لخير سلف ، من المتقين والمحسنين الذين ملكوا الأرض وساسوها على أساس من العدل والمحبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونحن أحوج ما نكون إلى نصر الله في هذه الآونة الحاضرة العصيبة ، واذ نريد هذه الالتفاتة الالهية ، لا ننسى أن نجعل نصب أعيننا ما قاله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل :

(يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) الأحقاف / ٣١ و ٣٢ .

وهكذا أيها الأخوة الأعزاء ، نأتي على نهاية هذه العجالة المتواضعة وكلي إيمان أننا جميعا دون استثناء سنجعل من هذه المناسبة العظيمة ذكرى سنوية نقف عندها كل سنة ، لنحاسب أنفسنا ، فنستوحي السيرة العطرة ، ونتخذ منها العبرة لنبدأ صفحة جديدة من كتاب تاريخنا ونخط فيه بمداد الفخر والاعتزاز ، لاحبين الطريق دائما إلى الأمام حتى لا يبقى هناك أمام ، في رقي مطرد وعزة اسلامية لا تضاهي ولا تجاري في ميدان محاولين جهد الامكان وبكل اخلاص ان ـ نجعل نحن المسلمين ـ من هذا القرن الخامس عشر الهجري ، قرن الدعوة ونشر الرسالة الاسلامية السمحة والله المستعان وهو ولي التوفيق وإن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا .



○ كيف ضاعت ؟ ○ ما هو حاضرها ؟ ○ ما هو مستقبلها ؟

للدكتور : علي محمد جريشة

أولا ـ كيف استلب الوطن الاسلامي في فلسطين

● ـ تاريخ :

البعض يرجع ذلك تاريخيا الى اول مؤتمر صهيوني انعقد في بال ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتزل ، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار في خطين/ خط دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين ، وخط البحث عن الشرعية الدولية التي تساند هذا الاغتصاب او تستره ، وفي الوقت نفسه القوة الدولية التي تحمي هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معا ...

وتأسس البنك الوطني اليهودي لهذا الغرض .. وتأسست معه الجمعيات اليهودية العديدة التي تزكي في اليهود روح الصهيونية وكان ذلك تنفيذا للخط الاول .. وبدأت الهجرة تسير في خط بياني بدأ بعدة آلاف ، وانتهى اليوم باكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

وفي مدينة القدس الاسلامية ـ على سبيل المثال ـ كان عدد السكان اليهود فيها سنة ١١٧٠ م (القرن الثاني عشر) واحد يهودي ، سنة ١٧٥٠ م (القرن السابع عشر) ١٥٠ يهوديا ، سنة ١٩٧٧ م (القرن العشرون) ١٤٢٠٠٠ مائة واثنين واربعين الف يهودي .

وبدأ انتزاع الارض من ايدي اهلها بالاغراء بالمال رغبا .. ثم بالتخويف والبطش بعد ذلك رهبا ..

وسار انتزاع الارض يأخذ الخط البياني التالي :

في العشرينات ـ تراوحت ما بين ١٧,٤٩٧ سنة ١٩٢٣ الى ١٧٦,١٢٤ دونما عام ١٩٢٦ .

في الثلاثينات ـ تراوحت ما بين ١٨,٨٩٢ سنة ١٩٣٢ الى ٣٦,٩٩١ دونما عام

١٩٣٣ الى ٦٧,١١٤ سنة ١٩٣٥ .

في الاربعينات وفي نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات البريطانية ما يملكه اليهود بمساحة ١,٦٢٤,٠٠٠ دونما ، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين .

وفي سنة ١٩٦٧ ـ ملكت اسرائيل كل ارض فلسطين واضعافها ..

وتحقيقا للخط الثاني .. كانت محاولة الشرعية الاولى مع دولة الخلافة .. مع السلطان عبدالحميد رحمه الله .. قيل ان هرتزل قابل السلطان عبدالحميد بنفسه ..

وقيل انه اوفد اليه وفدا من ثلاثة : ١) مزراحي قرصو (زعيم اليهود في سالانيك) . ٢) جاك ٣) ليون (وهما كذلك من زعماء اليهود) ..

وعرضوا على السلطان عبدالحميد (في حضور تحسين باشا رئيس الوزراء) ..

● ان يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية (وقدرها ١٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية) .

● بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية (يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسي) .

● تقديم قرض بدون فائدة (قدره ٣٥ مليون ليرة ذهبية) لانعاش مالية الدولة ومواردها وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة في اي يوم من ايام السنة ، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف ـ وقد رفض الخليفة المفتري على تاريخه ، وقيل انه بصق في وجه زعيمهم ..

● **ارض بلا شعب الى شعب بلا ارض (اسرائيل زانغويل)**

وكانت المحاولة الثانية في البحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية .. عن طريق بريطانيا العظمى ، واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الاولى والثانية ان ينجحوا في المشاركة في هذه الحرب بما استمال بريطانيا العظمى اليهم ، ثم كانت صلات هرتزل ووايزمان من بعده استثمارا لهذه المشاركة واستفادة منها ..

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا « العظمى » قد اعطت العهد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية ، والسماح بقيام خلافة « عربية اسلامية » يقوم عليها احد الاصلاء من مكة او المدينة ـ في نفس الوقت كانت الاتصالات باليهود قائمة ، وكان التعاطف معهم أشد ، وتم عقد اتفاقيتين سريتين في مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، وفي مايو سنة ١٩١٦ بين الدولتين الاخيرتين (والتي عرفت بمعاهدة سايكس بيكو) وتقرر وضع اقليم فلسطين تحت حكم دولي يتمتع اليهود في ظله « بالمساواة السياسية والدينية والمدنية » .

ولم يعرف الشريف حسين الذي وثق في شرف بريطانيا « العظمى » بامر هذه الاتفاقات الا بعد ستة شهور وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا .. حيث اعلنت

عن هذه الاتفاقات .

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا « العظمى » التصريح التالي :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى » .

وبهذا اعطى « من لا يملك » الى « من لا يستحق » أول حماية يتم التصريح بها ، واول خطوة على طريق الشرعية الزائفة ــ ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقا بريطانيا رسميا على انشاء دولة يهودية في فلسطين وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الاراضي ووافقت على التصريح فرنسا وايطاليا في فبراير سنة ١٩١٨ وامريكا في اكتوبر سنة ١٩١٨ .

وكانت تتمة المؤامرة البريطانية ــ الغربية اعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الاردن والعراق الى بريطانيا .. واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب ان فلسطين قد سلمت لليهود ، وان العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة .

وكانت المحاولة الثالثة والاخيرة اعلان دولة اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ في ظل حماية دولية انجليزية امريكية فرنسية روسية .

وسبقتها خطوة خطيرة على طريق الشرعية الدولية هو قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قبل الاعلان بشهور ستة .

هذا ما يراه البعض ..

ونحن معهم ان هذا التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عمليا ..

● تاريخ أقدم

ــ لكننا مع البعض الاخر .. الذي يرجع الامر الى ما قبل هرتزل بقرنين او يزيد ، حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠ ــ ١٦٠٩) من براغ ــ دعا الى اتخاذ فلسطين وطنا لليهود .

واعقبه مورس هس (١٨١٢ ــ ١٨٧٥) الذي بدأ علمانيا ، ثم صبأ الى الماركسية مرتبطا مع ماركس ، لكنه اعرض عن الماركسية متجها الى مثالية يهودية مغرقة في حب التهود ، واصدر كتابه (روما والقدس) سنة ١٨٦٢ يبسط فيه افكاره ، وتحدث عن ان اليهود « مدعوون مصيريا لتحويل العالم » ..

وبدأت الصهيونية المنظمة ، وظهرت حركة « احباء صهيون » تحت زعامة ليوبنسكر (١٨٢١ ــ ١٨٩١) في مطلع الثمانينات ..

وفي اواخر الثمانينيات والتسعينات جرت صياغة عقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة .

فالصهيونية العملية : ومن اشهر زعمائها دافيد عوردون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) .. وقد جدد حركة « احباء صهيون » التى تقوم على العمل في ارض اسرائيل وانشاء المستوطنات والمستعمرات ..

والصهيونية السياسية : ويقوم على زعامتها ليوبنسكر في اوربا الشرقية ، واليهودي الهنغاري تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) .

ويقال ان كليهما في البداية لم يكن مقتنعا باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ..

وان هرتزل كان في البداية يفضل مواقع اخرى مثل الارجنتين وقبرص وشبه جزيرة سيناء لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت تغلب الاتجاه الى فلسطين .

وقد يؤكد القول بان هرتزل في البداية لم يكن متجها الى فلسطين لمحادثاته مع الزعماء الانجليز التي تم بناء عليها ايفاد بعثة الى سيناء سنة ١٩٠٦ لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة . لكنه من ناحية اخرى .. فان سيناء ملاصقة لفلسطين ، وهي من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ففيها كلم الله نبيه موسى ، وفيها كتبت الالواح ونزلت الوصايا العشر ، ثم هي امتداد طبيعي لدولة اسرائيل الموسعة كما تكشفت اطماعهم عنها بعد ذلك (من الفرات الى النيل ، ملكك يا اسرائيل) .

اما الصهيونية الثقافية : فقد تزعم جناحَها أحدُها عام (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) ..

وقد اعلن ان وجود الامة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الانسان الاكثر كمالا ..

ونحن نرى ان مراحل استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين جرت على النحو التالي :

١ ـ قبل القرن السادس عشر الميلادي كان الامر مجرد امل لم يصرح به ..
٢ ـ منذ القرن السادس عشر الميلادي كانت مرحلة التفكير والدعوة ..
٣ ـ منذ القرن التاسع عشر الميلادي كانت مرحلة التخطيط ..
٤ ـ في القرن العشرين كانت مرحلة التنفيذ ..

وغني عن الذكر ان لاحق لليهود ـ تاريخيا ـ في ارض فلسطين .. فانها منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية ارض اسلامية .. وهي قبل هذا التاريخ ارض عربية وطوال خمسة الاف سنة فان عمر اليهود على هذه الارض الطيبة لم يجاوز ١٤٠ مائة واربعين سنة على فترتين ، الفترة الاولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد .. والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد كذلك ..

● ـ أما الأسباب التي ادت الى نجاح اليهود في استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين ، فنحن نرجعها الى الاسباب الاتية :

١ ـ تخطيط اليهود وصبرهم على انجاحه

وقد بدأ التخطيط تفكيرا من مفكريهم كما اشرنا ثم انتهى الى اقرار خطة في مؤتمر بال ١٨٩٧ترمي الى تنمية الهجرة وشراء الارض من ناحية والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية اخرى .. ويقال ان البروتوكولات وضعت في المؤتمر الصهيوني الاول ..

وكلا الخطتين تدل على معرفة بأغوار النفس الانسانية وادراك بالجو الدولي الموجود واستغلال لاحداثه ..

وصبرهم على تنفيذ ذلك التخطيط رغم الاحداث الجسيمة التي واجهتهم من بعده كالاضطهاد الذي حدث لهم في مشرق اوربا ثم الاضطهاد الذي حدث لهم في المانيا على يدي هتلر ثم العقبات التي قامت في طريق اقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطيني وانضمام الشعوب العربية الاسلامية الى هذه المقاومة ومن قبلها رفض الخلافة العثمانية لوجودهم وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل في مذكراته من ان السلطان عبد الحميد رفض الملايين العديدة لقاء فلسطين فقبل حزب الاتحاد والترقي مليونين لتنفيذ نفس الغرض .

كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط .. وعن صبر في التنفيذ وفي مقابلة ذلك ـ ونقررها بكل اسف ـ انتفى التخطيط لدى الامة الاسلامية او بالاصح لدى « اليقظى » من الامة الاسلامية وتوافر عندهم اخلاص بغير تخطيط شابه في كثير من الاحيان « قلة الصبر » على التنفيذ واستجابة لغير المخلصين لانهاء اوضاع تقلق اليهود .

٢ ابعاد الاسلام عن المعركة

واضح ان الاسلام كان الخطر الاول في المعركة :

اولا : بما يحمله لابنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله على الحياة في ظل عبودية تفرضها اذل امة في الارض وبما يحمله كذلك من دعوة الى الجهاد واعتباره فرض عين اذا غزيت ديار الاسلام ... هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة ـ باذن الله ـ بتحقيق النصر ..

فاذا اضفنا اليها امر الاسلام:(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) الانفال / ٦٠

وأحسنا فهم الامر الرباني لوجدنا ان الاسلام يأمر :ـ

أ ـ بالتخطيط القوي .. وهو ما يحمله لفظ الاعداد وما يحمله لفظ القوة .

ب ـ بالاعداد المعنوي ..

جـ ـ بالاعداد العسكري .. حشدا وتدريبا وتسليحا ..

د ـ الاكثار من السلاح الثقيل وهو ما تعنيه (رباط الخيل) بعد « القوة » فهو تخصيص للاهمية والخطر ..

ثانيا : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من دخول ثقل بشري لاقبل لليهود به . ونعني به الامة الاسلامية التي تناهز اليوم الف مليون من البشر ..

ثالثا : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من ثقل سياسي واقتصادي لاقبل لليهود بمواجهته .. فمصالح اصدقاء اسرائيل اكثرها في امم الاسلام .. واحتياجات مناصرى اليهود الاقتصادية اكثرها في قبضة المسلمين ..

اما عن مظاهر اقصاء الاسلام عن المعركة وكيفيته :

فقد بدا وبدأ .. بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها .. وقام على تنفيذه يهود الدونمة ومنهم ومعهم حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة وهو ما عناه الكاتب الروسي سرجس نيلوس من اقتحام الافعى للاستانة في طريقها الى فلسطين ..

ثم تأكد ذلك باقصاء السلطان عبد الحميد الذي رفض عرض اليهود . ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التي ما كان يمكن ان تسلم بقيام وطن يهودي وسط وطنها .

واستمرت محاولات اقصاء الاسلام عن المعركة بتكوين الجامعة العربية (بدلا من الجامعة الاسلامية) بفكر وزير الخارجية الانجليزي وقبل تمام الكارثة بثلاث سنوات .. وبحمل الجامعة العربية لواء الجهاد من اجل فلسطين تم تخدير بقية العالم الاسلامي عن النهوض للمعركة .

وزاد اقصاء الاسلام عن المعركة بدخول جيوش سبع دول عربية الى المعركة فما حاجة بقية المسلمين للجهاد وقد تولته جيوش سبعة فيها ابطال ومغاوير ..

● ــ اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة :

منذ ذاق الانجليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطيني وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن وطنه واذ عرفوا انه صاحب المصلحة الاول في الدفاع عن التراب الاسلامي في القدس وفلسطين ..ومنذ ظهر منه امثال الشهيد عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس والشهيد حسن سلامة قائد المنطقة الوسطى .

فقد قرروا اقصاءه عن المعركة ..
وكانت قمة التخطيط والتنفيذ ادخال سبعة جيوش عربية الى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود بالنيابة عن الشعب الفلسطيني .!
وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطيني من التدريب ومن التسليح وتشكيك الجيوش العربية في امانة الشعب الفلسطيني واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودي .
وكنت اعجب كيف لجيش عربي يقوده انجليزي صريح ان يخوض حربا لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الانجليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن لهم في فلسطين ؟ وكنت اعجب لجيش اخر .. بل جيوش اخرى في بلاد يحتلها الانجليز .. كيف سمحوا لها بالمرور الى فلسطين ..
حتى ادركت ان المطلوب هو اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة وفعلا نجحت الخطة واقصى الشعب الفلسطيني عن المعركة وسلمت اراضي فلسطين جزءا جزءا .. من الجيوش العربية الباسلة الى اسرائيل المزعومة وبعد ان انتهت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني قد تم اقصاؤه حربيا من المعركة .
وتم بعد ذلك اقصاؤه سياسيا عنها .. فتحولت القضية امام الامم المتحدة الى نزاع بين دول ذات سيادة .. عربية واسرائيلية ..
وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطيني سنة ١٩٦٧ .. تم حشد القادرين منهم فيما سمي بجيش التحرير الفلسطيني ليتم التهامهم في اول ضربة لليهود في يونية سنة ١٩٦٧.

الحاضر الأليم في فلسطين

○ من الناحية السياسية :

أ ـ الدولة شعب واقليم وسيادة :

والشعب الفلسطيني اليوم .. موزع بين الاقطار ممزق بين المنظمات والاحزاب .. مما سنزيده تفصيلا عند الكلام عن الناحية الاجتماعية ان شاء الله ..
واقليم فلسطين اليوم .. غير موجود على الخريطة السياسية .. موجود بدلا منه دولة اسرائيل وهي لم تكتف باراضي فلسطين .. بل ابتلعت في توسع سنة ١٩٦٧ الجولان من سوريا والضفة الغربية من الاردن وشبه جزيرة سيناء من مصر .. والاراضي التي ابتلعتها في التوسع الاخير اضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق ..
ولا سيادة لشعب فلسطين على ارض فلسطين .. بل ولا سيادة له في مكان

آخر .. والمنظمة التي نشأت في اواخر الستينات .. نشأت الى جوارها تيارات اخرى .. بل مزقتها من الداخل تيارات مختلفة .. واشارت اصابع الاتهام اليها في مذبحة ايلول وما لحقها من مذابح .. انها مهدت واحيانا شاركت ..
وهي على اي حال قد احتوتها التيارات التي احتوت كثيرا من الانظمة ومن المنظمات في المنطقة .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

ب ـ الشرعية للغصب الاسرائيلي تتم باعتراف اصحاب الحق نفسه

حرصت اسرائيل منذ قيامها بل ومن قبل قيامها ان تستر غصبها بشرعية رفضها اصحاب الحق يوم ان قالوا : « ان من لا يملك اعطي من لا يستحق ».. لكنها ـ بكل اسف ـ اليوم في دور اعتراف اصحاب الحق نفسه .. ومتى تم ذلك انتفت عن اسرائيل كل ما قيل من اغتصاب وسلب لارض الاسلام .. ومن هنا كانت الخطورة .. وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالي :
١ ـ تمهيد اعلامي : بان اسرائيل امر واقع وان لاقبل للعرب بدفعها عن فلسطين .
٢ ـ تمهيد حربي : باحراز بطولة ـ ولو جزئية ـ في جانب العرب ليبدو قبول « السلام » من موقع القوة فلا يرفضه الشعب العربي باعتباره استسلاما ..
٣ ـ تمهيد اقتصادي .. باحداث خنق اقتصادي للشعب العربي في المنطقة خصوصا الجزء منه الذي يتصدر للمعركة .. حتى يلوح « السلام » انقاذا للشعب مما يعانيه ..
٤ ـ تمهيد سياسي : وذلك باحاطة اسرائيل بانظمة ـ تعمل لحساب الصهيونية ـ عن قصد او غير قصد ـ بتحطيم معنويات الشعوب وتحطيم قيمهم واخلاقهم والتمهيد اعلاميا للاعتراف بالغصب بل وللتعاون مع الغاصب وحسبنا ان نعرف ان نظاما ما استطاع يهودي ان يتسلل اليه وتسمى بغير اسمه وصار يعدل في الوزارة ويبدل وقد عرضت عليه هو الوزارة فابى بنصيحة من كبرائه في اسرائيل لان مكانه اقوى من وزير ..
وفي نظام اخر وصل عملاء الصهيونية واعضاء الماسونية الى حد تسيير دفة الحكم والجلوس على رأسه وكان من وزرائهم اليهودي او من هو متزوج بيهودية ولا شك ان ذلك كله لم يحدث الا بعد ان قامت دولة اسرائيل وارتؤى ان الانظمة الرجعية صارت عاجزة عن تحقيق الهدف بل هي حجر عثرة في سبيل تحقيق الهدف .. ومن ثم عرفت المنطقة « مودة » الانقلابات العسكرية ..

جـ ـ المستقبل السياسي لاسرائيل :

المغفّلون او المغفّلون يعتقدون ان اسرائيل بعد الاعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هي عليه ..
وتاريخ الصهيونية وطبيعتها واهدافها وكتبها .. كل ذلك يأبى عليها ذلك ..
وحسبهم ان يقرأوا التلمود وان يقرأوا البروتوكولات بل ان ينظروا الى ماكتب في الكنيسيت نفسه .. فلم يعد في الامر عندهم حياء ..

وبلغة اصحاب الحق تحدث رئيس اسرائيل في يوم اليم عن انهم اصحاب حق يستردون ارض الاجداد .. وكأن الذين عاشوا عليها اربعة عشر قرنا ليسوا اصحاب حق حين عاشوا تحت راية الاسلام وكانهم قبل الاسلام حين عاشوا قرونا عديدة ليسوا اصحاب حقوق وتحدث رئيس اسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن ان تفعله في المنطقة .

ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية .. فاني اقدم عليها الناحية السياسية لاقول انه ان ظل الوضع المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية ان تفعل ما تشاء في المنطقة ولها ان تحرك الدمى بما ترى ولها ان تغير الدمى ان ضاقت بها الشعوب او احاطتها الشكوك .. ولها ان تمضي في التوسع بعد ذلك غير عابئة بالضمانات فما ضمانات اليوم باعظم ولا ابقى من وعود الامس وقراراته .

كل ذلك .. لان اسرائيل اسقطت من حساباتها حاليا الاسلام واهله بعدما نزل على رءوسهم من ضربات تدوخ وتكسر وتقتل ..

لكن عقيدتنا في الله لم تتزعزع وايماننا بانتصار الاسلام لم يهن ولن يهون:(**وإن جندنا لهم الغالبون**) الصافات / ١٧٣ .

ثانيا ــ من الناحية الاجتماعية :

أ ــ شعب تمزق

مزقته الخلافات قديما وحديثا ومزقه التشريد وحياة الخيام ومزقه الجوع والعرى والمرض .

ب ــ شعب تحلل

تحلل فكريا بعد ما مزقته تيارات عديدة .. علمانية ، شيوعية ، وجودية ، يهودية . وتحلل خلقيا بعد ما مزقه التشريد والحاجة ، وسرى فيه الاختلاط والانحلال ، وتحلل أسريا بعد ما تمزقت الاسرة الواحدة بين بلاد وأقطار .. ولم يعد فيها من ينصت الا لنداء البطن .. وما حوى ..

كل ذلك الا من رحم ربي ..

جـ ــ شعب يهود

« ان أمام العرب في اسرائيل ثلاثة خيارات :

أ ــ اعتناق الدين اليهودي .

ب ــ الطرد خارج البلاد ..

جـ ــ الابادة التامة . (ابن جوريون) .

* « سنصل الى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا » . (جولدا مائير) .

* « ان فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببني اسرائيل مسلك الارهاب والتنكيل فانتصروا عليه وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه ، ولكنه لو أنشأ مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم ، ويقتلهم قتلا معنويا ، ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الاصيل ، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون في تحصيله ، لو

فعل ذلك لأراح واستراح ، ولسجل التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلا من لعنات البطش والارهاب » .. (الفيلسوف الهندي أكبر إله أبادي) .

ولتحقيق هذه الغاية تمضي برامج الاعلام ، ومناهج التعليم لتحقيق هذه الغاية ولتحقيق هذه الغاية تمضي السياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القانطين داخل اسرائيل ..

ولهذه الغاية تمضي سياسة « التهجير » و « الاستيطان » ونزع ملكية العرب المقيمين في فلسطين .

● **مستقبل فلسطين :**

الحديث عن المستقبل حديث شائك ، اذ لا يعلم الغيب إلا الله .. لكن الله سبحانه .. أجاز لنا « الاعداد » ذاك قوله:(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**) الانفال / ٦٠ والاعداد يقتضي « التوقع » بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس من ذلك التوقع .

والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك « سننا كونية » تعيننا على ذلك التوقع ، منها:(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/١١ ، ومنها: (**وتلك الايام نداولها بين الناس**) آل عمران/١٤٠ ، ومنها:(**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/٧ . فمن خلال هذا وذاك .. نستطيع بعون الله – دون رجم بالغيب – أن نرسم صورة المستقبل من خلال الاحداث ، ثم نحاول رسمها من خلال الايمان .

١ – المستقبل من خلال الاحداث :

من خلال الاحداث يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلي :

أ – لا مستقبل لفلسطين :

ذاك منطق الاحداث وتوقعاتها .. ان الصهيونية وضعت أقدامها ، واني لها أن تتزحزح .. !

وأنها في كل جولة تكسب الجديد ، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد وتنسى القديم .

وهو ما نراه من مطالبة العرب بالجلاء عن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ .. وكأن الاحتلال الذي تم قبل سنة ١٩٦٧ قد صار أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ..

وفي الجولة القادمة – ان بقيت الأوضاع على ما هي عليه – تكون أراضي ١٩٦٧ أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ، وتكون المطالبة بالاراضي التي ستحتل بعد ذلك ..

والمجتمع الدولي – بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية – يضفى الشرعية ويحرسها في كل توسع صهيوني .

فالمجتمع الدولي – بالتأثير السابق – هو الذي قسم ارض فلسطين سنة ١٩٤٧ بين اليهود والعرب .. وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم ، ولم يكن لليهود فيها ادنى نصيب .. والمجتمع الدولي هو الذي عاد بعد ذلك يصدر القرار

٢٤٢ والقرار المعدل له ليعترف بفلسطين كلها لليهود وليطالبهم فقط بالجلاء عن الاراضي العربية الاخرى التي احتلتها اسرائيل علاوة على فلسطين سنة ١٩٦٧ .

وغدا تحتل اسرائيل اراض اخرى فيكون قرار المجتمع الدولي الاعتراف بالاراضي القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديد .

ومثل اخير .. إن القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها .. إن اسرائيل تعلن انها عاصمتها وانها لا تتنازل عنها ، وتعلن امريكا تأييدها لها في ذلك .

وهكذا ..

ب ــ المستقبل للصهيونية :

المستقبل للصهيونية إن بقيت الاوضاع على ما هي عليه ، فالسنن الكونية تعمل في جانب من يعمل ، ولا تعمل في جانب من يتقاعد أو يتكاسل أو يتجابن .

وواضح أن الصهيونية تعمل .. مخططة .. ثم منفذة ..

وأن العرب والمسلمين .. يتصايحون .. ويكتفون بالصياح .. ويتسابون فيما بينهم ويتقاتلون كذلك فيما بينهم أشداء على المؤمنين رحماء باليهود ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين .. !

والصهيونية .. كما يبين من مخططاتها .. لا تكتفي بفلسطين .

إنها تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل ..

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله ..

وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ما تحلم به وما تخطط له ..

ونجاحها فيما مضى قد يكون دليلا على نجاحها فيما بقى ..

وإذن فأرض الكنانة في مصر مهددة .

ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مهدد كذلك .. هذا كله .. بشرطين : ان تبقى أوضاعنا على ما هي عليه .. وأن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها .. لكن حتى يكون .. تقييمنا .. صحيحا لابد من النظرة الاخرى .. فلها نعيش .

٢ ــ المستقبل من خلال الايمان

النظرة الايمانية تختلف كثيرا عن النظرة من خلال الأحداث وحدها وهي في اختلافها تقوم على أسس مغايرة :

١ ــ ان الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها ، فمن السنن الكونية أن النار تحرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. جعلت النار بردا وسلاما على ابراهيم .

ومن السنن الكونية أن الماء يغرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. فرقت البحر فرقين : **(فكان كل فرق كالطود العظيم) الشعراء/٦٣**

٢ ــ انه الى جوار السنة الكونية ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان

مفهوم المخالفة .. انهم ان غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم مؤكدا قوله : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد/٧

ومن هنا المنطلق ..

ومن هنا يبدأ العلاج ... إن كنا نريد عودة فلسطين ..

ونضع بعون الله الشروط :

لا بد من التغيير ...

من القمة الى القاعدة .. من الرأس الى القدم ...

لا بد من تغيير كلي .. لما بأنفسنا .. حتى يغير الله ما بنا ..

لا بد ان يكون التغيير على اساس الاسلام ..

لأن التغيير من غير اسلام .. لا يكون معه نصر الله .. ولا يكون هو التغيير الذي عناه الله ..

وقد رأينا انهم حين أرادوا سلب فلسطين ابعدوا الاسلام عن المعركة وتمثل ذلك في انشاء الجامعة العربية (بديلا وامتصاصا للجامعة الاسلامية) قبل اعلان دولة اليهود بثلاث سنين ..

ثم تمثل في دخول الجامعة العربية وجيوشها لتكون حائلا دون تحرك جيوش إسلامية اخرى .. ففيها الغناء والكفاء ..

ثم تمثل في التآمر على العناصر الاسلامية التي بدأت خوض المعركة للحيلولة دون نزولها بثقلها الى المعركة ..

وقبل ذلك كله تآمرهم على دولة الخلافة الاسلامية تنفيذا لما قالوه من ان الأفعى اليهودية لا بد ان تمر بالاستانة في طريقها الى اسرائيل ..

وعلى ذلك فاذا كانت فلسطين قد استلبت لما ابعد الاسلام عن المعركة فانها لن تعود إلا إذا عاد الاسلام الى المعركة ..

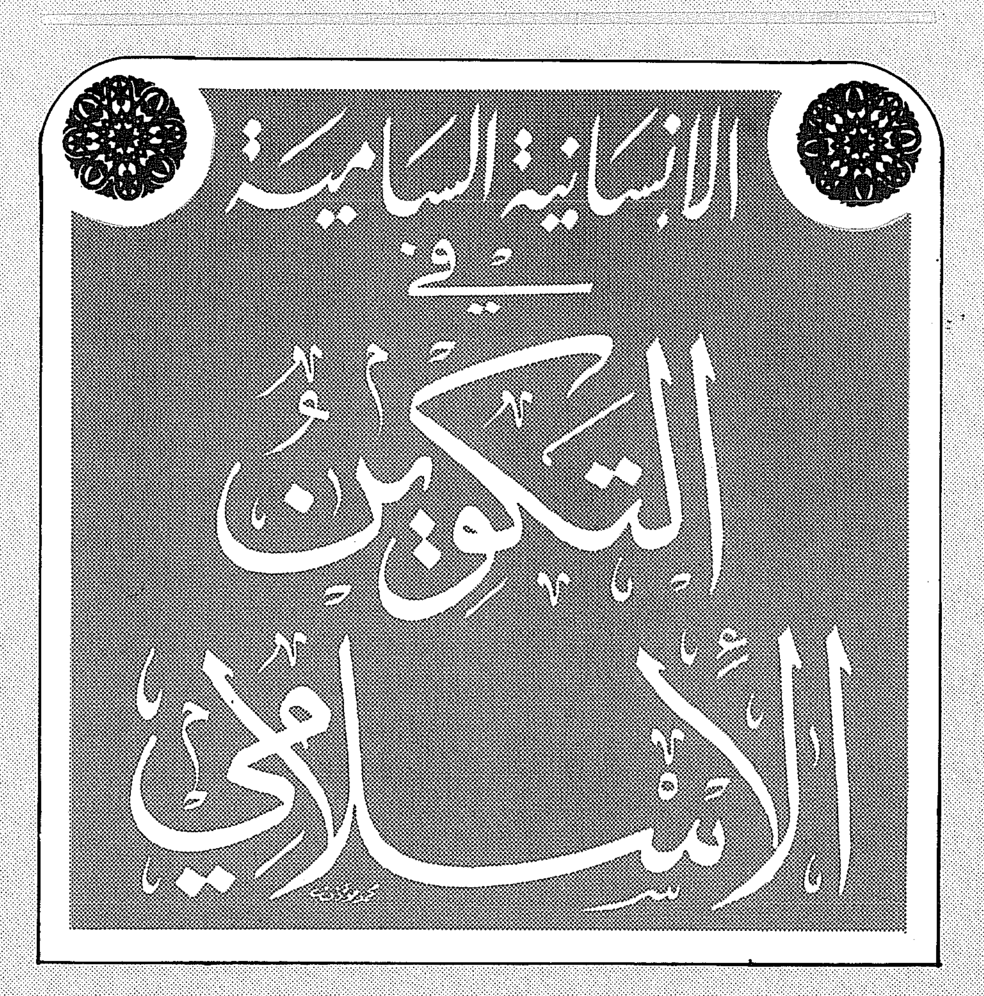
والاسلام فوق ما قدمنا يقدم :

- ثقلا عقيديا يغير الكيفية التي تدار بها المعركة ويغير نتيجتها ..
- ثقلا بشريا .. ولهذا اثره في استراتيجية الحروب ..
- ثقلا سياسيا .. بوقوف الدول الاسلامية كلها ـ بدلا من الدول العربية المحدودة ـ خلف المعركة ..
- ثقلا اقتصاديا .. بوقوف موارد الدول الاسلامية ـ وهي اليوم اغنى دول العالم ـ خلف المعركة ..

ومن قبل ذلك .. ومن بعد ذلك .. ما اشرنا اليه من نصر الله الذي لا يتنزل إلا على نوعية معينة ..

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) آل عمران/١٢٥

(وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران/١٢٦ .



للأستاذ/محمد الشاذلي النيفر

حرص الصحابة على تقويم انفسهم

كان جارية بن قدامة من الصحابة الحريصين على ان يستفيدوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة جامعة مغنية يبني عليها حياته، ويركز عليها مستقبله واستطاع الصحابة رضوان الله عليهم ان يكونوا في طالعة الامم، وان يصبحوا كالنجوم يهتدي بهم في ظلمة الليل الداجي، فكما ان النجوم كانت مبعث هداية في ظلمات البر والبحر، كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم في الهداية الى الرشاد، والسير بالأمم الضالة التي لعبت بها الاهواء، وضلت عن أخذ مسيرتها الهادفة الى الخير والصلاح، واستطاع الصحابة ان يصلوا الى ما وصلوا اليه لكونهم عرفوا كيف

يستفيدون من منبع الحكمة ، والقدوة الحسنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما اتضح من الموقف الذي وقفه جارية بن قدامة ، وهو موقف الاستفادة بأخصر ما يمكن ، حتى تستقيم له نفسه ، ويرهف حسه .

جاء جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري :

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني .

قال : لا تغضب فردد مرارا ، قال : لا تغضب .

اخرجه في باب الحذر من الغضب .

ووضح هذا الموقف لجارية بن قدامة الامام الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة في باب ما جاء في كثرة الغضب حيث قال :

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا ولا تكثر علي لعلي أعيه ، قال : لا تغضب ، فردد ذلك مرارا ، كل ذلك يقول له : لا تغضب .

لماذا كرر النهي عن الغضب ؟

وانما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بتكرار قوله لجارية : لا تغضب لمعنى يفهمه المتدبر التدبر العميق ؛ وهو انه صلى الله عليه وسلم اراد ورمى الى اصلاح الغريزة الانسانية .

اراد اصلاحها لأن الانسان مقيد بالغريزة كما يتضح من أحوال الانسان وكذلك الحيوان .

فالانسان منذ نعومة اظفاره ، ومنذ خروجه من بطن امه تمتلكه مثلا غريزة تدعوه للعيش ، وهي غريزة التهام الثدي من امه عند احساسه بالجوع من غير شعور .

فالغريزة صفة راسخة في كل كائن حي ، تصدر عنها اعمال تترتب عليها من غير تعليم ، بل هي طبيعية ناشئة عما في الذات من دفع عند الشعور بشيء ما ، كالفرار عند الخوف .

والغريزة عند الانسان ككل عرض يحدث فيه بدون ان يستعد له ، وانما هو امر لا شعوري يندفع له اندفاعا في زمن ما ، وحال خاصة يجري اليه وهو منساق اليه ، ومدفوع بطبيعته نحوه .

وتحتاج هذه الأعراض الطبيعية في النفوس الى التعهد والاصلاح ، والنظر البصير ، والا آلت بصاحبها الى حال مردية .

واحتاجت الى التعهد لكونها مختلفة في دفعها ، ومتباينة في عواقبها ، فمنها ما هو الصالح اذا استقام توجيهه ، ومنها ما يجب الاقلاع عنه وحسم دفعه من اول وهلة ، حتى لا يتردى المدفوع بالغريزة الى التردي في المهالك ، والتدحرج شيئا فشيئا الى عاقبة تكون قاضية على صاحبها .

الموقف التحليلي

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

(لا تغضب) الذي لا يعيره البعض

اهتماما ذهابا منه الى انه مجرد تكرار توصية للتحريض على عدم الغضب ، مع انه ذو مغاز كما يجليه التوضيح .

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذلك الغرائز التي يجب الاقلاع عنها ، وهو توضيح للغرائز ، وتنبيه على مالها من التأثير ، لم يتوصل اليه علم النفس الحديث الا بعد محاولات وتلاقح فكري بين علماء مختلفين من امم شتى ، ومع هذا التلاقح لم يقع التوصل لما وصل اليه الحديث النبوي الشريف .

اشار الحديث المذكور الى التقسيم الثالث للشعور الانساني ، وهو النواحي النزوعية ، كما عند علماء النفس الذين يقسمون الشعور الانساني الى ثلاثة اقسام :

١) **النواحي الادراكية** : وهي النواحي العقلية التي اذا سيطرت على الشعور الانساني استقام امره بشرط ان تتهذب وتتعلم ، لأن العلم الصحيح قائد الخير .

٢) **النواحي الوجدانية** : وهي النواحي المترتبة على الشهوة النفسية الراغبة في الملذات ، وما يجلبها .

٣) **النواحي النزوعية** : وهي التي أشير اليها في الحديث هذا ، ونجد الأقسام الثلاثة التي توصل اليها علماء النفس اخيرا بعد تفكير من العلماء ، وعصور متلاحقة ، وازمنة مختلفة وفي اقطار متنوعة ، نجدها في الحديث النبوي موضحة محكمة في تقسيمها وانما تحتاج الى درس وبحث عميقين في الاطلاع على الاحاديث الموزعة على كتب السنة .

النفس الغضبية أو النواحي النزوعية :

ركز قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تغضب) على قسم هام من الشعور الانساني وهي النواحي النزوعية المركبة في الخلقة البشرية ، وهي نوازع الشر ، وقد اراد الله اظهارها من النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جارية بن قدامة عن نصيحة مختصرة فأجابه بقوله لا تغضب .

وقد اشار بقوله هذا الى مصدر الشر ومنبعه ، ومنه يتوصل الى تفاريع متعددة يتنبه لها الباحث ، ومن هؤلاء الامام الغزالي في كتابه الاحياء حيث اشار الى داء الغضب في ربع المهلكات ، وعقب هذا الربع بربع المنجيات .

حتى يكون الدواء مذكورا بعد ذكر الامراض ، فالنفس الانسانية معروضة لامراض عدة منها انسياقها مع النواحي النزوعية منها

وداء النزوع الى الشر موجود في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

لماذا تكرر النهي عن الغضب وما المراد منه ؟

جاء النهي عن الغضب في حديث جارية بن قدامة وغيره ، ومن ذلك :

ان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

قل لي قولا واقلله لعلي اعقله ، فقال لا تغضب ، فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع الى لا تغضب رواه ابو يعلي باسناد حسن .

ومنه ما رواه عنه عبد الله بن عمرو ابن العاص من انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله ؟

قال : لا تغضب

رواه الطبراني في مكارم الاخلاق ، وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن ومنه الحديث الشارح لامتلاك النفس حتى لا تذهب بها نوازع الشر الى المخاطر ، وهو الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تعدون الرقوب فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يولد له

قال : ليس ذاك بالرقوب ، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا .

قال : فما تعدون الصرعة فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال

قال : ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب .

اخرج الحديث مسلم في صحيحه .

في الحديث أمران :

الأمر الأول : هو استفهام النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقوب ، وهو بفتح الراء وضم القاف المدودة المخففة ـ فأجابوه بأنه الذي لا يعيش له ولد .

فأجابهم بأنه الذي لم يمت له ولد فيحتسبه .

الأمر الثاني : هو استفهامه عن الصرعة ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ فأجابوه بأنه هو الذي لا يصرعه الرجال ، وهو الذي يصرع الناس كثيرا .

فأجابهم بأن الصرعة هو من يملك نفسه عند الغضب ، فهو الممدوح لا الذي لا يصرعه الرجال .

والمستخرج من الحديث فضل المحتسب لموت ولده بالصبر والرجوع الى الله الذي اعطى ثم اخذ .

وكذلك التحريض على كظم الغيظ ، وامتلاك النفس عند اشتداد الغضب وجمع صلى الله عليه وسلم بين فضل احتساب موت الولد ، وبين امتلاك النفس عند الغضب لمعنى لطيف ، وهو ان امتلاك النفس في هذين الموطنين شديد غاية الشدة ولا يستطيعه الا الذين يكونون في نفوسهم شخصية قوية في امكانها ان تتغلب في المواقف الصعبة .

فصاحب الشخصية القوية ربان سفينة لا تؤثر فيه العواصف ، لأن من تؤثر فيه العواصف يلقي بمقود سفينته فتصبح ألعوبة للامواج .

ترمي الاحاديث العدة المتكرر فيها النهي عن الغضب الى اجتناب اسباب الغضب ، والى عدم الاسترسال معه فيما يدعو اليه .

اما النهي عن ذات الغضب فلا يمكن ، لأن نفس الغضب مطبوع عليه الانسان ولا يمكن اخراج الانسان عن طبيعته كما تدعوه الى عدم الجوع المفطور عليه الانسان فاذا قلت له لا تجع ، لم تنهه عن الجوع ، وانما نهيته عن اسبابه ، وعن عدم ادخاله على نفسه .

ثم ان الغضب حمية للحق ممدوح فلا يمكن ان يتجرد الانسان من التأثر غضبا ، اذ هو نقصان في الانسان ، وانحلال وذوبان .

واذا انهارت الامم اخلاقيا فقدت الحمية ، وذهب منها الاحساس ، وهو ما عليه الكثير من الشباب المتميع في اخلاقه ، ومؤدى ذلك ان تصبح الامة لا تذود عن حياضها .

وحفاظا على تلك الحمية للحق ، صونا له من الدوس بأرجل العاتين ، وصف الله المؤمنين اصحابه صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) ٢٩/ الفتح وفقدان الحمية يجعل صاحبه كالحمار كما قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » .

اسباب ونتائج

للغضب اسباب ونتائج متعددة ، فمن اسبابه :

الكبر ، والحمية في الباطل ، والزهو ، والمزاح ، والهزل والهزء ، والتعيير والمماراة ، والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على المال ، والجاه ، وتتجنب هذه الاسباب بأخذ الحريص على السمو النفسي في اضدادها مثلا يقلع الزهو بالتواضع ، والعجب بمعرفة الانسان حقيقة نفسه ، والمزاح بالتشاغل بالمهمات الدينية ، وما ينفع في الدنيا ، والهزء بتجنب إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن ان تكون محل هزء للغير ، والتعيير بالحذر عن قول القبيح والاجوبة الجارحة .

ونتائج الغضب لا تحصر وما نراه من الجرائم الكثيرة يرجع اما الى الغضب ، او الطمع فالاوراح المزهقة ، والاجسام المحطمة ، والاموال المبددة ، والحروب المسعرة والشتائم المنهالة ، والمعالم المزالة ، والبناءات المنقوضة وما هو من افساد وتحطيم كل ذلك مبعثه الغضب وكما للغضب هذه الآثار فله اثار سيئة اخرى منها الامراض النفسية ، ومنها الجسمية مثل الجلطة الدموية وغيرها .

فالغاضب حين يغضب وتهم نفسه بشيء من ذلك ليقلع عنه يتحكم في نفسه ، وأسباب الاقلاع متعددة :

منها الرجوع الى ما امر الله في كتابه الكريم من العفو ، وكظم الغيظ قال :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الاعراف/ ١٩٩ ذكر مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب غضب على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين :

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

فردد عمر قوله تعالى ذلك ، فتامل فيها ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه ، كثير التدبر فيه ، فتدبر في الآية ، وخلى الرجل .

واين هذه القصة من قصة اخرى جرت في انكلترا ، وهي من البلدان الشهيرة بأن قضاتها من ارقى الناس ، واشدهم تمسكا بالقانون ، وهي ان بعض القضاة وقف بين يديه متهم صدر منه ما يسيء يحكم عليه بعام سجنا ، فقال له : زدني ، فزاده عاما آخر ، فطلب الزيادة في السجن فزاده الى أن بلغ الامر الى انه حكم عليه بعشر سنين سجنا حسب طلبه .

وسنتبين من موقف عمر في القضاء ، وموقف هذا القاضي في عصر المدنية في بلد يحمل راية الديمقراطية ، ان التكوين الاسلامي للسمو النفسي لا يعادله اي تكوين آخر وذلك ان التكوين الاسلامي يجعل الضمير مرهفا لقبول الحق والنصيحة ، مطواعا للرأفة والرحمة ، ميالا لما يجبر القلوب ، ويقصي عنها الفظاظة .

والمثال الكامل في البعد عن الفظاظة والقساوة والغلاظة من اختاره الله لمهمة ارشاد البشر ، واقتلاع جذور الفساد منهم ، والتبرئة لهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه قوله تعالى :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)
آل عمران/١٥٩

ومن اسباب الاقلاع عن الغضب ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى ، فالذي يذكر الله عند غضبه ، ويذكر غضبه جل وعلا عنه ، ورجاءه في عفوه ، لا بد ان يقلع عن الانتقام .

ومن اسباب الاقلاع ، وانكفاف النفس الحذر من عاقبة العداوة فان من شفى غيظه من الذي غضب عليه ، لا يأمن أن يأتي يوم يستطيع ذلك المغضوب عليه والمنتقم منه ان يشفي هو ايضا غيظه وهكذا دواليك او يقوم مقامه في الانتقام اقاربه حمية لمن انتقم منه .

وتبادل الانتقام من أكبر أدواء الأمم فبه يتحطم كيانها ، وينهار بنيانها ، وتذهب اعمالها سدى ، وتبيد امكانياتها .

فما يتبجح به الشعراء مثل قوله :

فتى لا يبيت على دمنة
ولا يشرب الماء الا بدم

الدمنة الحقد ، ومعنى البيت انه لا يبيت على حقد لا لصفاء نفسه وانما يشفي غليله من اعدائه بالانتقام .

فيه قطع البنان ، وهدم البنيان فهذا قيس بن زهير بن جذيعة العبسي الذي كانت بسببه حرب داحس والغبراء يعرب عن هذا في قوله :

شفيت النفس من حمل بن بدر
وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان اك قد بردت بهم غليلي
فلم اقطع بهم الا بناني

المثالية الكاملة في محو اسباب الغيظ :

نجد المثالية المتناهية في الكمال في محو اسباب الغيظ في النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتجلى ذلك في غزوة فتح مكة ، والتمكن من ناصية قريش الاعداء الألداء لصاحب الرسالة صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وللدعوة ، فانهم لما حاربوا الاسلام حاربوه بكل ما أوتوا من قوة ، وسلطوا على من أمكنهم التسلط عليهم إذايتهم والعذاب الشديد حتى مات من مات تحت سوط عذابهم .

ولو تمكنوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وظفروا به ليلة هجرته ، لمكنوا من جسده الشريف سيوفهم ، ولتفرق دمه في القبائل .

ولم يكفهم ما صنعوا بالمسلمين قبل الهجرة فأضافوا الى ذلك وحشيتهم في قتلى احد فمثلوا بقتلاه من المسلمين ، وفيهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ولولا عناية الله ثم عزيمة المسلمين لجعلوا المدينة اثرا بعد عين في غزوة الاحزاب ، فانهم البوا العرب انصياعا ليهود بني قريظة ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم ونفوسهم ملأى بالحقد والغيظ ، تريد الانتقام والتشفي من الاسلام والمسلمين .

ولا يشك احد من المسلمين انهم لو انتصروا في غزوة الاحزاب ولم يرجعوا ، وكيدهم في نحرهم ، لحكموا السيف في كل المسلمين ابرادا لغليلهم ، وانتقاما من دين الله القويم .

وكانت غزوة فتح مكة التي تجلى فيها السمو الانساني والطهارة النفسية في رمضان السنة الثامنة من الهجرة النبوية .

فهو عليه الصلاة والسلام خرج لفتح مكة بعد الاستعداد لذلك ، وأخذ الحيطة حتى لا يؤتي المسلمون وهم بعيدون عن حاضرة الاسلام المدينة المنورة وحين تهيأ المسلمون لفتح مكة كانت حادثة حاطب بن ابي بلتعة اذ بعث بكتاب الى زعماء قريش مع امرأة تسمى سارة يخبرهم فيه باستعداد المسلمين لفتح مكة واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وحيا بما صنع حاطب بن ابي بلتعة فبعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ليلحقا بها فلحقا بها فلم يجدا الكتاب ، فهددها علي ابن ابي طالب فأخرجت الكتاب فجيء به اليه فخاطب حاطبا في ذلك ، فنفى عن نفسه الردة لكن عمر رآه مخالفا للاوامر واحب القصاص منه فلم يأذن له النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهذا من كرمه وعدم غضبه فتمتع حاطب بالعفو .

خرج رسول الله الى مكة جادا في سيره فخرج اليه من خرج مسلما ومنهم ابو سفيان فلما عفا عنه قال :

بأبي انت وامي ما اوصلك وما احلمك .

ثم دخل مكة لعشر بقين من رمضان السنة الثامنة من الهجرة ، بعد ان اعلن في الناس ان من دخل دار ابى سفيان فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن

ومن اغلق عليه بابه فهو آمن

وقصد الكعبة حين دخوله مكه فطاف ، بالبيت وهو حلال غير محرم ، وصلى ركعتي الطواف

ثم جلس في ناحية من المسجد ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، وهزم الاحزاب وحده .

ثم قال صلى الله عليه وسلم :
يامعشر قريش ويا أهل مكة
ما ترون اني فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم

فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ضرب الرسول الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم المثل الكامل في العفو ومحو آثار الغضب ، بل في التعالي عن الغضب ، اذ جعل اهل مكة عتقاء ، وهم قد نكلوا بالمسلمين ، وصدوا دعوة الله عن أن تكون مدوية ، فلولا انها دعوة الله لوادوها في المهد ، وقبروها الى الابد .

لم يؤاخذهم بالجرائر ، وعفا واصلح فسل سخائم القلوب ، وحبب الايمان للنفوس فانشرحت الصدور ودخل الناس في دين الله افواجا .

الغضب والقضاء

اعتنى الاسلام الدين الحنيف بالقضاء حتى لا يدخله الغضب فيخرج به عن كونه قضاء الى كونه انتقاما وتشفيا ، واحق شيء بالبعد عن الانتقام والتشفي وابراد الغليل هو القضاء ، لكونه الميزان العدل الذي يتحاكم الناس اليه ، فاذا دخلته الاهواء سواء كانت من ناحية المراعاة او من ناحية الانتقام اختل نظامه وساءت احكامه .

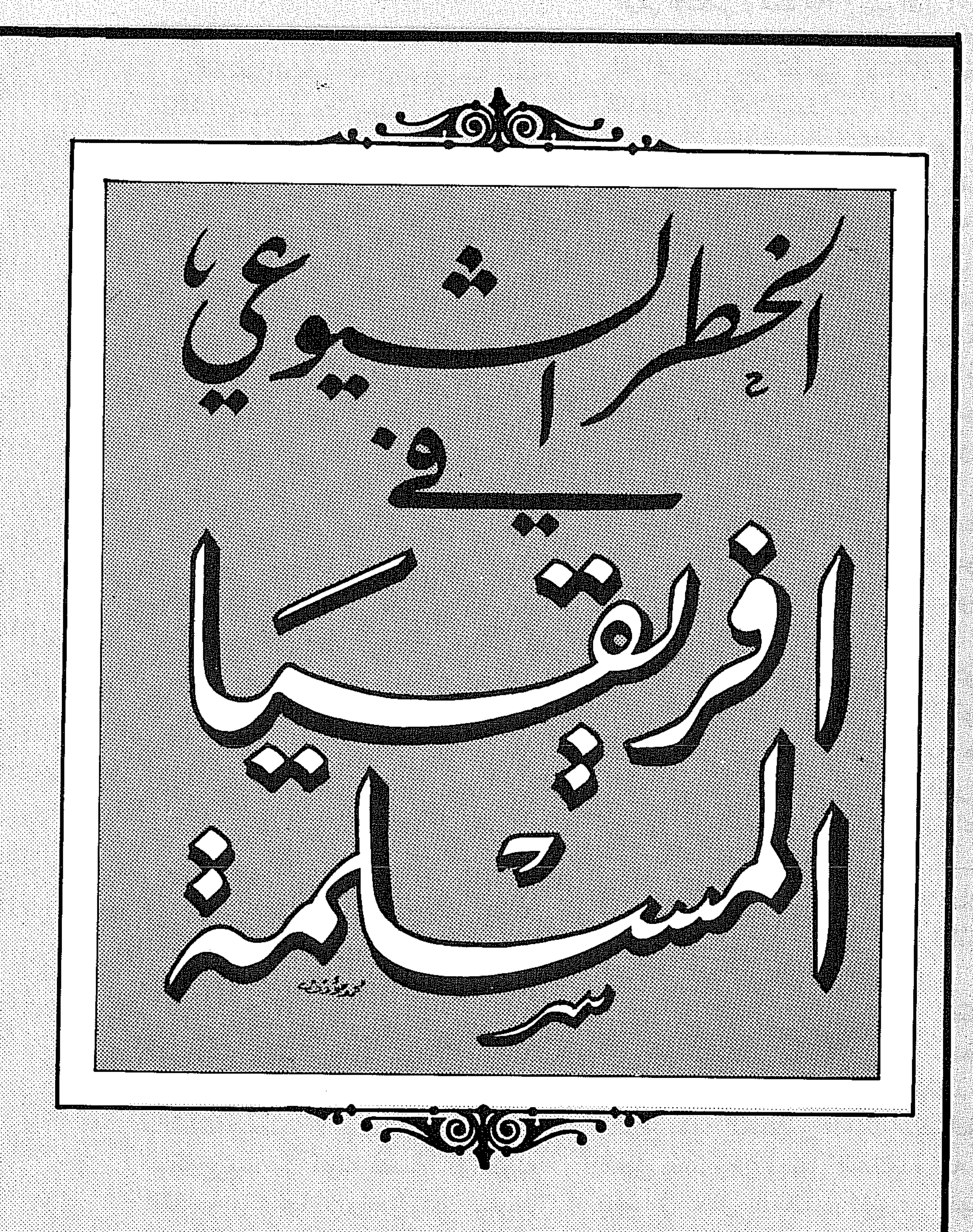
وابعادا للقضاء عن كل ما هو من الحيف جاء عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو بكرة رضي الله عنه لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان .

وقد اخذ فقهاؤنا بهذا الحديث حتى يكون القضاء بريئا من كل شائبة من الشوائب ، لا فرق فيها بين ما ينفع بدون حق او ما يضر بدونه فاشترطوا ان لا يقضي القاضي وهو غضبان ، والحقوا بالغضب كل ما يدهش الفكر مما لا يجعله في غير الحال الطبيعية ، مثل شدة الجوع والتخمة والمرض المؤلم والخوف المزعج .

فالقاضي ينبغي بل يتحتم ألا يكون عليه تأثير ما ، بل يرجع الى القانون العدل ، وهو ما أمر الله به من الاحكام ، حسبما جاء به في القران الكريم او الحديث المنزه عن المطاعن وما استنبط منهما بوجه صحيح مقبول جار على مقتضى قواعد الاسلام ومبادئه ، وهو ما افنى فيه الائمة الفقهاء اعمارهم .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الحاكم في حال الغضب اذا صادف الحق هل ينفذ حكمه أولا ينفذ ؟ فالذي عليه الجمهور أنه مع مصادفة الحق ينفذ وعن بعض الحنابلة انه لا ينفذ في حال الغضب لثبوت النهي عنه ، والنهي يقتضي الفساد .

ولأهمية هذا الحديث اعتني به المخرجون من المحدثين اذ اخرجه أصحاب الصحاح الستة .



للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

تدور على أرض القارة الافريقية هذه الايام صراعات عنيفة بين قوى عالمية مختلفة ، وذلك لتحقيق بعض الاهداف التي تسعى من اجلها هذه القوى ، وهي : جعل تلك القارة منطقة نفوذ لها او تدور في فلكها السياسي ، ومن اجل ذلك توضع الخطط والبرامج من اجل الوصول الى تلك الغايات بشتى الطرق والوسائل .

ومن تلك القوى التي تريد السيطرة على القارة الافريقية : الشيوعية العالمية ، سواء نظام الحكم الشيوعي في موسكو او بكين فكلاهما موحد الاهداف والغايات ، يسعيان سويا من اجل اقامة نظم الحكم الشيوعية « اليسارية » ولكي يتم صبغ القارة بالصبغة الشيوعية ، ولكي يتم حكم القارة عن طريق موسكو وتصبح افريقيا خاضعة خضوعا نهائيا للسيطرة الشيوعية .

وتوجد الى جانب القوى الشيوعية : القوى الاستعمارية التبشيرية التنصيرية ، التي تكثف جهودها وترسم خططها وتنفذ برامجها وتبعث بعثاتها التنصيرية من اجل السعي لتحقيق احلامها في ان تصبح افريقيا بالذات والعالم اجمع : دولة مسيحية واحدة تخضع لحكم البابا في الفاتيكان .

بالاضافة الى القوى الصهيونية اليهودية التي تسلك شتى السبل من اجل النفاذ الى كل قطر في تلك القارة وذلك بمساعدة القوى الاستعمارية التي تساند الصهيونية في التسلل الى صفوف الدول الافريقية .

ومهما اختلفت الوسائل او السبل التي تسلكها هذه القوى : الا انها في النهاية متحدة الهدف ومصممة على القضاء على القوى الاسلامية في تلك القارة ومحاربة الاسلام وجذوره القوية الراسخة بشتى الطرق . وذلك لان هذه القوى ترى في الاسلام القوة العظمى والكبرى التي تهدد كيانها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ولان الاسلام كل يوم يكسب ارضا جديدة .. وقوما يدخلون فيه وينضوون تحت رايته الخالدة الباقية بقاء الدهر . القوية على مر الايام والعصور .

ولكن : لماذا تسعى القوى الشيوعية للسيطرة على القارة ؟

ان الشيوعية تسعى في المقام الاول لمحاربة الاسلام ودين الله الخالد : لانها ترى ان الدين افيون الشعوب وكذلك فانها تسعى من اجل السيطرة على اغنى القارات ، فافريقيا ، قارة تبلغ مساحتها ١/٥ مساحة الكرة الارضية كلها وسكانها يمثلون ٨٪ من سكان الكرة الارضية جميعهم وامكانياتها الاقتصادية تفوق الوصف من حيث تنوع الموارد الاقتصادية بتنوع البيئات المناخية .

وهي تساهم بنصيب وافر في الانتاج العالمي في ميدان السلع العالمية فهي تنتج نحو ٩٨٪ من انتاج الماس في العالم ، ٥٥ ٪ من ذهب العالم ، ٢٥ ٪ من نحاس العالم ، وكذلك المنجنيز والكروم واليورانيوم ، ومن المعادن الاخرى القصدير

وخام الالمونيوم والفوسفات ، كذلك يوجد بها مصادر كثيرة للقوى المائية التي لم تستغل بعد ، وهي فوق هذا تنتج نحو ٢/٣ محصول الكاكاو العالمي ، ونحو ٣/٥ انتاج العالم من زيت النخيل ، بالاضافة الى دخولها ميدان انتاج البترول وتصديره « ليبيا ، الجزائر ـ نيجيريا ـ جامبيا .. وغيرها من الدول » . . اذن هذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والمواد الخام الغابية والرعوية ، ولهذا فقد ادركت القوى الشيوعية هذه الحقائق المذهلة في السنين الاخيرة ، فبدأ الاهتمام بالقارة الافريقية اهتماما بالغا ، وكذلك فهي تسعى الى غرض استراتيجي وذلك من اجل اقامة قواعد استراتجية عسكرية لها على ارض القارة .

افريقيا قارة المستقبل : ومن كل هذا فان القارة الافريقية ذات الامكانيات العظيمة والهائلة تستحق بحق ان تكون قارة المستقبل وذلك لما أشرنا اليه من ثروات معدنية وزراعية وكهربائية وغيرها من الثروات وكذلك سعة مساحة أرضها باعتبارها القارة الكبرى الثانية . بعد اسيا .. واقلها سكانا ، يبلغ عدد سكان القارة الافريقية وفق آخر الاحصائيات ـ احصاء عام ١٩٧٦ ـ ٣٧٠ مليون نسمة ، كذلك فانها تملك ثقلا سياسيا عظيما في الامم المتحدة حيث يقدر عدد اصوات اعضائها في المجموعة الدولية بـ ٤٨ صوتا ، كذلك باتحاد دولها في منظمة الوحدة الافريقية ، باعتبارها اكبر كتلة متماسكة في العالم ، ولمركزها القيادي والريادي في العالم الثالث ، ودول عدم الانحياز ، وبموقعها الجغرافي والاستراتيجي ، اذ ان القارة تتوسط المحيطين الاطلسي والهندي ، وتطل على البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى انها تتوسط قارات العالم ، اوربا ، اسيا ، امريكا .

فلا غرو اذن ان يقوم الصراع ويشتد بين القوى الشيوعية والقوى التنصيرية من اجل السيطرة عليها ، وقد كانت كل منها تريد ان تبعد الاخرى من هذا المكان ، واستطاعت الشيوعية ان تقيم لها رأس جسر على ارض القارة .

القوى الشيوعية ومخططاتها في القارة : ان القوى الشيوعية العالمية تسعى للسيطرة على القارة الافريقية ، وذلك من اجل ان تحارب الاسلام في المقام الاول لانهم يرون فيه وفي تعاليمه القوة الصلبة ، والارادة القوية ، والمقاومة الحقيقية لافكارهم الالحادية ، ومبادئهم الهدامة المدمرة ، ومن ثم فانهم يريدون ان يحولوا المسلمين الى معتقداتهم الزائفة ، وافكارهم الباطلة التي تستمد اصولها من مصدر مادي الحادي ، ينافي كل القيم والمبادىء الانسانية التي تستمد اصولها من القيم الروحية ، كذلك فان مخططهم الاجرامي الشيوعي لا يريد ان يبقى للاسلام اثر ولا لرابطته صلة ، انهم يريدون ان تسيطر الشيوعية الحمراء على بلاد المسلمين جميعها كما سيطرت على بلاد اسلامية كثيرة في وسط اسيا ، ومن هنا كان سعيهم للسيطرة على افريقيا ، والتي تعتبر قارة اسلامية ، اذ ان عدد المسلمين بها وفق اخر الاحصائيات « احصاء عام ١٩٧٦ » ٢٥٠ مليون مسلم من ٣٧٠ مليون ، يريدون ان تكون الماركسية اللينينية ، البلشفية ،

المادية . هي عقيدة القارة الافريقية ومصدر حكمها .

وعلى هذا فان القوى الشيوعية العالمية الروسية والصينية واذنابها في القارة الافريقية قد دخلت بكل ثقلها ، وبكامل امكانياتها واجهزتها ومخططاتها ، مستغلة للوصول الى اهدافها حركات التحرر الوطنية الحاقدة على الاستعمار بشكله القديم ، وذلك لكي تقع فريسة لاخطر انواع الاستعمار ، وهو الاستعمار الشيوعي الفكري الذي يسيطر سيطرة كاملة وتامة على مقدرات الشعوب والحكومات ، ويحكمها بالحديد والنار ، ويجبرها على السير في فلكه السياسي ، وربطها بقيود لا تنفك منها .وعلى الذين يحاولون التقرب من المعسكر الشرقي الشيوعي من الدول الافريقية وحكامها ان يتذكروا التدخل السافر المزري في شئون المجر عام ١٩٥٦ ، وسيطرة القوات العسكرية الشيوعية على مقدرات شعبه ، وكذلك تدخل دول حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ واجبار هذه الدولة على السير في المخطط الذي تضعه الدولة الشيوعية الكبرى « روسيا » .

القوى الشيوعية والدول الافريقية : ان القوى الشيوعية هي اخطر القوى العالمية في عالمنا المعاصر ، اذ انها تضع مخططاتها الرهيبة من اجل السعي للسيطرة على كل العالم بقاراته ، واقامة دولة المطرقة والمنجل ، دولة العمال ، ومن هنا فان موسكو تحلم بان تكون هي العاصمة الوحيدة في العالم ، والتي تخضع لحكمها المباشر كل العواصم الاخرى ومن هنا كانت افريقيا داخل مخططاتهم ، بعد ان استقرت لهم الامور في شرق اسيا « فيتنام وكمبوديا » .

ولقد استغلت القوى الشيوعية الصراع العربي الاسرائيلي وارادت ان تقيم نفوذا لها في مصر العربية الاسلامية حصن الاسلام ودرعه الامين على مر الايام والسنين ، ولكن فشل هذا المخطط وتم ابعاد النفوذ الشيوعي نهائيا من ارض الكنانة ، ولكن القوى الشيوعية لم تستسلم لهذه الضربة ، بل حاولت ان تجد لها قدما في احدى دول شرق افريقيا وكل ذلك من اجل وضع مخططها موضع التنفيذ .

ولقد ركزت الشيوعية العالمية على شرق افريقيا لانه اقرب جوانبها الى العالم العربي ــ قلب العالم الاسلامي ــ ففجرت الانقلابات ومحاولات الانقلابات حتى قام في اثيوبيا نظام حكم يتجاوب تماما مع الشيوعية وفي الصومال وتنزانيا تيارات قوية متعاطفة مع الشيوعية ، اما موزمبيق : فقد قام بها نظام حكم ماركسي ١٠٠٪ يعلن وجود الشيوعية في هذه المنطقة وقامت قواعد عسكرية شيوعية قريبا من المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، ومن خلال ذلك قامت محاولات لقلب نظام الحكم في السودان لكي يصبح هذا الاقليم الاسلامي العربي الفسيح تحت نفوذ الشيوعية مباشرة ، ولقد تم تحطيم الحزب الشيوعي السوداني الذي كان يعتبر اقوى الاحزاب الشيوعية في شرق افريقيا .

وفي غرب افريقيا فان الشيوعية لها دور كبير في اقامة نظام الحكم اليساري في انجولا عن طريق القوات الكوبية الشيوعية التي ساعدت حركة التحرير الموالية للشيوعية في السيطرة على الحكم ، كذلك فانه عن طريق القوات الكوبية يتم هذه

الايام التدخل في شئون دولة زائير لاجل اقامة نظام شيوعي في اكبر دوله من حيث المساحة في غرب افريقيا « اغنى دول افريقيا من حيث المصادر الطبيعية » وكذلك خلق الصراعات والمنازعات بين الدول الافريقية من اجل اقامة نظم الحكم الموالية لها كذلك فان نظام الحكم العسكري في اثيوبيا بدأ يستعين بعدة الاف من القوات الكوبية لاجل محاربة ثوار ارتيريا ، الذين يكافحون من اجل تحرير وطنهم من قبضة اثيوبيا ، كذلك فان لروسيا دورا كبيرا في حركة تحرير ناميبيا « جنوب غرب افريقيا » .

بالاضافة الى ان الصين الشيوعية بدأت تقيم لها قواعد شيوعية في ارض تنزانيا وماجاورها من بعض دول شرق افريقيا ووسطها وايضا فانها تساعد حركات التحرير في زمبابوي « روديسيا » وفي جنوب افريقيا بالمال والعتاد وتقوم بتدريب افرادها وذلك لكي يتم خلق كوادر شيوعية بين صفوف المقاتلين ، فتستطيع ان تسيطر على مقاليد الامور في هذه البلاد بعد تحريرها .

ولقد ساعد القوى الشيوعية على تحقيق اهدافها مظاهر الشعور بالعداء لدى الافريقيين ضد الاستعمار واستغلال مشاعر الحقد في قلوبهم واستغلوا ذلك احسن استغلال فكانت جامعة بياترس موسوميا في موسكو مكتظة بابناء افريقيا الذين انتقتهم الحركة الشيوعية من داخل بلادهم لاعدادهم اعدادا شيوعيا ماديا من اجل تولي قيادة بلادهم في المستقبل واقامة نظم الحكم الشيوعية .

كذلك يضاف الى الشيوعيين الروس والصين ، الشيوعيون الفرنسيون الذين تغلغلوا في كل انحاء الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية لاجل نشر الافكار الشيوعية الهدامة يساعدهم في ذلك كثير من الاذناب الذين سرت الشيوعية في دمائهم ولم تكتف القوى الشيوعية بذلك ولكن مراكزها الثقافية في بلدان القارة الافريقية تقوم باصدار النشرات التي تدعو الى اعتناق الشيوعية كمذهب وكذلك توزيع الكتب التي تتحدث عن الشيوعية ومنجزاتها العلمية والصناعية واسباب تقدمها كذلك الاقلام التي تدعو للشيوعية .

ومن كل هذا نستطيع القول انه ثبت فعلا ان الشيوعية بمقدورها الحصول على ارضية خصبة وسهلة في القارة الافريقية نظرا للفقر والجهل السائدين معظم شعوبها ولوجود النظام القبلي الطبقي بينهم ولسهولة تقبل شباب افريقيا لايدلوجات تتمشى وروحهم الثائرة المتمردة الكارهة لنظم الاستعمار الماضية ولا زالت اثار هذه الحركات الشيوعية الالحادية عميقة بين كوادر المقاتلين وكان التحرير التي تناضل حاليا من اجل الحصول على حكم الاغلبية الافريقية في روديسيا سابقا وغامبيا .

الحركات التنصيرية تفتح المجال امام الشيوعية :

ان القوى التنصيرية وقد هالها الفزع بعد ان رأت الشعوب الافريقية تدير ظهرها لدين الرجل الابيض المستعمر وبدأ الرجل الافريقي يعتنق دين الاسلام ،

دين الشرق الحضاري،ودين المساواة غير المستغل وبعد ان نبذ الافريقي كل ما يتعلق بالغرب وما جاء معه من معتقدات جاءت النصرانية خلف رجال الاستعمار البيض الذين استعمروا القارة بعد حركة الكشوف الجغرافية وخضوع كل بلاد القارة للسيطرة الاستعمارية .

وبعد ان رأت الصليبة العالمية كبار الرؤساء في افريقيا والوزراء الذين في ايديهم مقاليد الحكم ورؤساء القبائل ينهجون الى الاسلام ويعتقونه ويصبح عقيدة لهم وبعد ان رأت الصليبية العالمية امام اعينها الالاف المؤلفة من ملايين الدولارات والاعمال الخيرية والتعليمية والبرامج الطبية والاقتصادية وكل الطرق التي سلكتها لم تؤد الى النتيجة التي كانت تحكم بها وهي ان تجعل افريقيا قارة مسيحية ١٠٠٪ فانها امام هذه الحقائق وامام الصمود الاسلامي القوي الانتشار السريع لدين الله والوقفة الصليبية في مواجهة الاستعمار وحركات التنصير والاستشراق والصهيونية فان قوى الصليب قد بدأت تفسح المجال امام الشيوعية العالمية في افريقيا سواء افساح المجال علانية او بطرق خفية او التظاهر امام العالم بمحاربة الشيوعية في افريقيا الا ان كل هذا لا ينطلي على الرجل الافريقي المسلم فان حركات التنصير بعد جهود تزيد عن اربعة قرون لم تستطع ان تنصر اكثر من ٤٠ مليون من عدد سكان القارة البالغ ٣٧٠ مليونا ومن هنا كان على الماركسية ان تدخل افريقيا لتعيث في بلاد الاسلام فسادا وذلك من اجل تحطيم حصون الاسلام القوية المنيعة .

فشل المخطط الشيوعي :

ان هذه المخططات الشيوعية الماركسية التي بدأت تتسرب الى صفوف الدول الافريقية مآلها كغيرها من الحركات الاخرى الى الفشل فلا سبيل لها في مجتمع الاسلام في دول افريقيا المسلمة لان مجتمع الاسلام حريص على القيم والمثل والفضائل والدين ولان الدين الاسلامي لدى الشعوب الافريقية المسلمة هو اعز ما تملكه ولان الدين وهو جزء اساسي من الطبيعة البشرية وخاصة الرجل الافريقي الذي وجد في الاسلام الطريق الذي ينشده والمآل الذي يلجأ اليه ولأن كل شياطين الارض من شيوعيين او غيرهم مجتمعين او متفرقين لن يصدوا افريقيا عن الاسلام ولن يقدروا ان يصدوا الاسلام عن بلوغ اهدافه في جعل افريقيا قارة اسلامية ولان الاسلام تيار جارف سيجرف امامه كل اوثان الشيوعية والرجس مهما فعلوا وخططوا ولهم في دروس التاريخ عبرة فكم من عقبات وقفت في طريق الاسلام في كل العصور ولكنها انهارت وكم من مذاهب وافكار هدامة قامت لصرف المسلمين عن دينهم الحنيف او لتزييف مبادئه في نفوس المسلمين وكم من قوى كثيرة مدمرة حاربت الاسلام على امتداد الايام فهزمها الاسلام شر هزيمة فبالاسلام انتصرنا في الماضي على قوى الشر « الصليبيين ــ المغول ــ التتار ــ الاستعمار الحديث » وبالاسلام سوف ننتصر باذن الله في الحاضر والمستقبل ، لن ينطفيء نور الاسلام ابدا من هذه الارض وذلك مصداقا لوعد الله الحق لعباده المؤمنين (**يريدون**

ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الصف / ٨
ويقول المولى عز وجل (**كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين)** المائدة / ٦٤ .

ومن هنا فان الشيوعية مهما بذلت وسعت بطرقها المختلفة في افريقيا فسيبقى الاسلام فيها قمة سامقة وكوكباوضاء ونورا هاديا لانه معجزة السماء على الارض ولان الاسلام صانع التاريخ والحضارة والتقدم والرقي والازدهار ولانه هادي البشرية الى طريق الحق والخير والصواب ولان قرآنه الكريم كتاب الله وشريعته على أرضه ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الابصار والبصائر وانه لا طريقة الا عبادة الله ولاصلاح إلامن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولسوف تبقى عقيدة الاسلام في افريقيا وفي كل مكان العقيدة التي تعلو ابدا على كل الالام وعلى كل احداث التاريخ والايام وعلى كل المحن والشدائد ولسوف يظل الاسلام في افريقيا منارة للشعوب الافريقية كما كان منارا لها قبل قدوم الاستعمار وسيبقى الاسلام منارة لكل الاجيال والعصور وهو الدين الذي يسعد البشرية في ظلال قرآنه الكريم وفي حركة انبعاث في طريق التقدم والرقي والابداع ولان الاسلام ورسالته سائر في طريق الانتشار والتوسع وسيزداد عدد الداخلين فيه كل يوم في افريقيا وسوف تعود الشيوعية خائبة خاسرة مردودة على اعقابها لان المسلم الافريقي لن يرتضى غير الاسلام دينا ولن يعبد غير الله خالقا ولن يكون له كتابا غير القرآن دستورا ولن يتجه إلا الى مكة المكرمة قبلته وقبلة كل المسلمين .

الدعوة الاسلامية والشيوعية :

ازاء الدور الذي تقوم به الشيوعية العالمية في افريقيا وازاء ما يتعرض له الاسلام من خطر من جراء مؤامرات الشيوعية من اجل القضاء عليه فسأبين دور الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية وابين نشاطها ورجالها من الدعاة وجهودهم وهنا نقول انه امام هذه القوى الجبارة التي تملك الامكانيات والطاقات المادية والبشرية والعلمية والفكرية والدعائية فان الدعوة الاسلامية تقف بقوتها الذاتية وامكانياتها المحدودة امام هذه التيارات والافكار الهدامة وليس معها الا تعاليم الاسلام السمحة ورسوخها في قلوب الملايين من الافارقة ومطابقتها للفطرة البشرية ويتف خلف الدعوة رجال من المخلصين لله ولدينه الحنيف الذين يجاهدون بانفسهم واموالهم دون تخطيط او تنظيم ولولا هؤلاء لا نمحي اسم الدعوة من هذه القارة التي عرفت بانها قارة الاسلام وكان الاسلام قد شق طريقه اليها منذ اول عصر الدعوة الاسلامية .

لذا فان الدعوة الاسلامية داخل القارة في حاجة الى الدعم والمساندة والمساعدة والتخطيط والتنظيم والتوجيه لأن اعداءها من الشيوعيين ركزوا نشاطهم في مناطق القارة المختلفة في شرقها ووسطها وشمالها وجنوبها وركزوا على الدول القيادية بها ذوات الامكانيات الطبيعية الهائلة .

لذا فان الا مر يحتاج من المسلمين في القارة وفي كل مكان الى مزيد من العناية

واليقظة لضرب كل محاولة من اعداء الاسلام تريد النيل من دينهم وتقاليدهم وقيمهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله كذلك الوقوف خلف الجهود القليلة المبذولة اليوم والتي تدعو للاسلام بين الوثنيين والنصارى وشد ازرها وتنشيطها والمحافظة على العقيدة الاسلامية وتعميقها في نفوس الافريقيين .

ومن هنا يمكن القول ان الدعوة الاسلامية في هذه المنطقة من العالم لابد ان ترتكز على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك باهداب التعاليم الاسلامية قولا وعملا وسلوكا وان تتجه الدعوة الى الشباب خاصة لانهم عدة المستقبل والتفويت على الحركات الشيوعية التي تتنشر دائما بين صفوف الشباب وان تعمل الدعوة على نبذ الاخلاق والتقاليد القادمة من الشرق والغرب والتي لاتتلاءم وتقاليدنا الاسلامية تلك التقاليد التي تنبع من تراثنا الاسلامي العريق الذي تمتد جذوره الى اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية مطالبة اليوم بالتصدي لتلك الحركات الهدامة بكل ما تملك من وسائل وامكانيات فالدعوة الاسلامية رسالة وامانة خص بها الله الشعوب الاسلامية وهي دعوة عالمية لكل البشر في شتى اقطار الارض وامانة في عنق كل مسلم ومسلمة يجب ان يدعو لها بين الشعوب والاقوام فالحكام المسلمون في كل ارجاء المعمورة مسئولون عن تنشيط الدعوة في افريقيا وكذلك الحكومات والمؤسسات الاسلامية والهيئات التعليمية وكل افراد المجتمع الاسلامي .

وان الفرد الافريقي الذي يعيش اليوم على ارض القارة مطالب بان يدعو اخوانه الافارقة وعشيرته وذويه الى تعاليم الاسلام المستمدة من كتاب السنة وان تتوحد اساليب الدعوة لكي تمتد وتنتشر ولكي يتم فضح اساليب الشيوعية الملتوية والتي تريد ان تسيطر على الرجل الافريقي وتستغله كما استغله وسيطر عليه من قبل الرجل الابيض الغربي .

كيف نواجه الخطر الشيوعي :

إذا كانت الشيوعية قد استطاعت ان تقتطع ارضا اسلامية من العالم الاسلامي الواسع وتضمها الى دائرة املاكها ونفوذها في آسيا الوسطى وحول بحر قزوين والبحر الاسود ، ارضا أخرجت للامة الاسلامية الكثير من رجال الدين والعلماء في علوم القرآن وتفسيره وعلوم الحديث « البخاري » وفي علوم الرياضة « الخوارزمي » و «البيروني » وفي الفقة وشتى المعارف الاسلامية والذين ساهموا في حمل لواء الحضارة الاسلامية ورقيها وساهموا بنشاط وافر وملحوظ في نهضتها ، واذا كانت الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من اربعين مليونا أو يزيد عن إخوانهم المسلمين في شتى ارجاء الارض الاسلامية ، بل انها كثفت الدعوة الماركسية بينهم ! وكذلك إذا كانت الصين الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من ٦٠ مليون مسلم في ارضها عن إخوانهم المسلمين ، بل انها تسعى جاهدة لمحاربة الاسلام في جنوب شرق آسيا .

فان الدول الاسلامية والعربية مطالبة اليوم بألا تقف مكتوفة الايدي ازاء ما يحدث على ارض القارة الافريقية حتى لا تترك الشيوعية تنفذ مخططاتها في السيطرة على شعوبها واستغلالهم ، ومحاصرة العالم الاسلامي لكي تكون دائرة حول المنطقة العربية في وسط افريقيا ثم حول البلاد العربية في آسيا : دائرة كاملة ومحكمة الحلقات وبذلك تكون الشيوعية شرقا في آسيا وغربا في افريقيا وبذلك تكون قد نجحت في عزل العالم العربي قلب العالم الاسلامي عن باقي اقطار الاسلام .

ولهذا فانه يمكن القول ان الجهود التي تبذلها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة وادارة الجامع الازهر وجمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ، والجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم في تونس ، ورابطة العلماء في المغرب ، والجهود التي تبذلها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والمؤسسات الاسلامية في البلاد الافريقية الاخرى ، مثل الرابطة الموريتانية للدفاع عن الاسلام ، واتحاد الجمعيات الاسلاميــة في السنغال ، والاتحاد الثقافي الاسلامي في مالي وغيرها من المؤسسات الاسلامية في غرب القارة ووسطها وكذلك المؤسسات الاسلامية في شرق القارة مثل المجلس الاعلى في اوغندا ، والمجلس الاسلامي الاعلى في تنزانيا والمؤسسات الاسلامية في جنوب القارة ، ليست قادرة على وقف التحدي الشيوعي أو القضاء عليه نهائيا في الاماكن التي بدأ ينتشر فيها ، بل وقلع جذوره قبل ان تمتد وتتسع .

وعلى هذا فنحن نطالب ان تتضافر الجهود وتتوحد في مركز اسلامي قاري ، تخضع له كل المؤسسات والهيئات الاسلامية التي تعمل بالقارة ، ذلك لان كل هذه المؤسسات تعمل كل منها بعيدا عن الاخرى دون ادنى ترابط او تعاون او تنسيق او تخطيط مشترك ، ولهذا فانها لا تستطيع ان تؤدي الدور المطلوب في مواجهة التحدي وصبغ البلاد الافريقية بالصبغة الاسلامية .

فليس فتح مكتب اسلامي ثقافي او انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية او بناء مسجد في عاصمة من العواصم الافريقية مثل لاجوس ، نيامي ، كوناكري او غيرها من الدول الافريقية بكاف لرد الخطر المحدق بالقارة من كل الارجاء .

بل إن الجهود يجب ان تبذل وتكثف لكي تصل الدعوة الاسلامية والثقافة العربية الاسلامية الى كل جزء من اجزاء القارة المختلفة الى الغابات والاحراش ، الى البوادي والواحات ، والقرى الصغيرة وكل المدن الاقليمية وعواصم المحافظات والاقاليم ، بل يجب ان يتم مسح كامل وشامل لكل فرد مسلم يعيش على أرض القارة الافريقية ، يجب أن يصل الداعي المسلم والطبيب المسلم والمدرس المسلم والمهندس المسلم والفني المسلم الى كل الاصقاع في القارة يجب ان ينتشر المسلمون الموفدون من البلاد العربية والاسلامية في كل ارجاء القارة . يجب ان يضع المركز القاري « قارة افريقيا » مصحفا في يد كل مسلم افريقي وان تصل له خدمات اخوانه المسلمين في باقي القارات الاخرى وذلك لان المسلمين في كل قطر

اسلامي يتطلعون الى التعليم الديني الاسلامي ، والى الاخوة المسلمين في الاقطار العربية الاسلامية وذلك لانهم في أمس الحاجة الى المدارس الاسلامية على مختلف مراحلها الدراسية فيجب ان تحشد هذه المدارس بالمدرسين الاكفاء ذوى الثقافة الاسلامية الواسعة بجانب ثقافة العصر لكي يستطيع المدرس ان يدحض الافكار الهدامة .

إن الدول الاسلامية والعربية جميعها حكومات وجمعيات وافراد ، مطالبة اليوم بالنظر الى افريقيا نظرة من يحيط به الخطر من كل جانب ولذا يجب ان توحد الجهود الاسلامية وتكثف من أجل حماية القارة المسلمة ولكي يزداد المد الاسلامي ويتم اعتصام المسلمين جميعا برباط الله القوي المتين .

إن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية يجب أن يضع امامه الخطر المحدق بافريقيا ويجب ان تتوحد السبل وتتخذ القرارات الكافية بردع الخطر الشيوعي وحماية المسلمين من الماركسية .

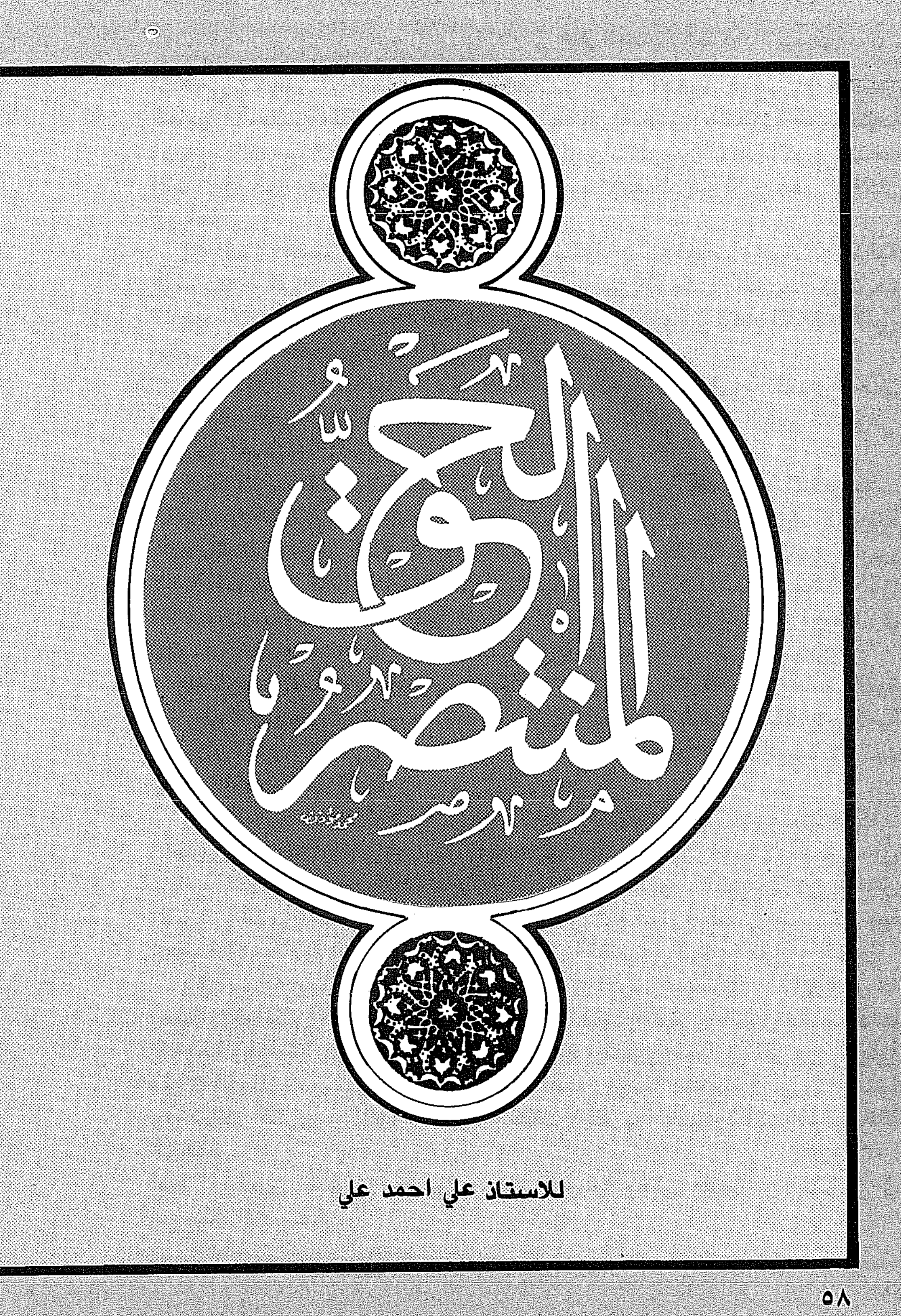
كذلك فان المبالغ المالية الضخمة التي رصدتها الدول العربية (السعودية ـ الكويت ـ الامارات ـ صندوق جامعة الدول العربية) لمساعدة الدول الافريقية والتي اقرت في مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي عقد بالقاهرة خلال شهر مارس ١٩٧٧ ليست بكافية بل يجب ان تزداد وان تدعم ، بل ان دول البترول مطالبة بان تخصص نسبة معينة من دخلها السنوى لاجل الدعوة الاسلامية من افريقيا وفي باقي الدول العربية ، لان الدعم المالي ليس بكاف لرد الخطر الشيوعي .

ان الوجود الاسلامي والعربي في القارة لابد ان يظهر كقوة عظمى بجانب القوة الشيوعية بل يجب ان تطرده وذلك بوجود رجل الدين المسلح بالعقيدة الاسلامية والدارس لتاريخ الشعوب الافريقية ولغاتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها لان ذلك يسهل الوصول الى الهدف .

إن المساعدات المالية والمعدات العسكرية والمتطوعين الذين يساعدون حركات التحرير « جبهات تحرير اريتريا » ليست بكافية وحدها للوجود الاسلامي ، بل بجانب هذا يجب ان يكون الداعية المسلم بين صفوف المقاتلين لان المقاتل الافريقي الذي يدافع عن قضية معينة إذا نمى فيه الوازع الديني وترسخت فيه العقيدة الاسلامية فلن يهزم ابدا لان القتال القائم على العقيدة نهايته النصر .

وفي النهاية ايها الاخوة المسلمون في مشارق الارض ومغاربها : تنبهوا الى ما يحيط باخوانكم الافارقة من خطر شيوعي . فأمدوا لهم يد العون بالمساعدات المختلفة وحافظوا على عقيدة الاسلام المنتشرة بينهم وادفعوا الخطر عن افريقيا فان تغافل المسلمين وسهوهم في الماضي قد اضاع ارضا اسلامية في اوروبا وآسيا وفي مناطق اخرى من العالم ، ارضا كانت تزخر بها حضارة الاسلام وثقافته الخالدة .

أيها المسلمون تنبهوا !! تنبهوا .. فان افريقيا يخشى عليها من الانزلاق في احضان الشيوعية .



للاستاذ علي احمد علي

لابد للحق أن ينتصر مهما تألب عليه الظالمون ، ووضع العقبات في طريقه الجاحدون ، وتنكر له المبطلون .

سينتصر الحق ولو كره المجرمون ، وهذه سنة الله في خلقه **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** الأحزاب/٦٢ ، ونصر الله يأتي ولو ادلهمت الخطوب ، واضطربت الصفوف ، وتحرجت المواقف ، وساءت الظنون ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)** يوسف/١١٠ .

مازالت قريش سادرة في غيها ، ماضية في طغيانها ، تزلزل جوانب الأرض من جبروتها ، وتوقدهانارا من حقدها وبغيها ، فهي سائرة في طريق الشر والغواية ، تحاول صد المسلمين عن دينهم ، وفتنهم في عقيدتهم ، ولما أعيتها الحيل ، ورأت أن أتباع محمد يزيدون ولا ينقصون ، وأن دعوته تذيع وتنتشر بين الناس ، وأن سلطانهم – قريش – لا يلبث أن يزول ، وأن الزمام سيفلت من أيديهم ، وهم سادة العرب وعظماء مكة .

فكر الشرك ودبر ، واجتمع أشراف مكة ، ووجوه قريش ، وأصحاب الرأي يتشاورون ، فوقف زعيم الكفر ، ورأس الضلال ، أبو الحكم بن هشام – أبو جهل – فقال :

ياقوم أما إنه ليوشك أن يكون أمر شديد ، وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره ، فان لم يكن قتله ، واستئصال خضرائه ، حتى يذهب ونذهب به ، فليكن تدبير جديد .

وهنا اشرأبت الأعناق ، وأرهفت الآذان ، وساد المكان صمت رهيب ، واتجه الجميع بحواسهم ومشاعرهم نحو الطاغية فقال :

ألا إن هذا الحي من بني عبد مناف ، هو منا ومنكم حيث علمتم ، وإنهم يطلبون غاية ليس إليها سبيل ، أفنتركهم وما يحاولون حتى يؤول أمرهم إلى أمر ؟ ثم قال :

وهذا أبو طالب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره ، فما لنا سبيل عليه بعد ، فليجتمع أمرهم على ما يريدون ، وليجتمع أمرنا ، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحي من قريش ، لا معونة بيننا وبينهم ، فلا نبيعهم شيئا ، ولا نبتاع منهم ، ولا نخالطهم في شئ ، وكل رحم بيننا مقطوعة ، حتى يفيئوا إلى أمرنا فانهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضراؤهم ، فيموتوا جوعا وعطشا وعريا ، أو يعودوا إلينا مغلوبين ، وما تجرد سيف من غمده ، وما أريق دم ، ثم قال :

ياقوم : فان رأيتم فهذه يدي ، وليكن بيننا عهد مكتوب ، نعلقه في جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه .

وإن أبيتم .. فارتفع صوت من أقصى المجلس يقول :

رضينا يا أبا الحكم .
وجاء كاتبهم « منصور بن عكرمة » فتولى إثم تدوينها ، وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه فشلت يده .

« نص المعاهدة »

باسمك اللهم ، هذا ما تعاقد عليه أشراف مكة ، وذوو الرأي من قريش ، ابو الحكم بن هشام ، وأبو لهب بن عبدالمطلب ، ومنصور بن شرحبيل وبغيض بن عامر .
أنهم برآء من بني هاشم وبني المطلب ، لا يبيعونهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يخالطونهم في شيء ، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا .
وأخذ أبو الحكم ــ أبو جهل ــ الصحيفة ، وطواها ، وعلقها في جوف الكعبة .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب ، من شعاب مكة ، ومعه صحبه الكرام .
فآوى إليه الطهر والصفاء .
وفتح التاريخ صفحاته ليسجل
أخطر مقاطعة
وأشنع جرم
وأبشع قرار
لمحاربة أعدل الناس
وأرحم الناس بالناس
فإما أن ينتصر الاسلام ، فيمضي في طريقه ، يحطم كل الحواجز
وإما أن ينهزم المسلمون ، فلا تقوم لهم بعد اليوم قائمة
وشتان بين قوتين : قوة تؤيدها السماء ، ويقودها رسول كريم ، رائدها العدل والرحمة ، وخير الانسانية .
وقوة يؤيدها الشيطان ، ويقودها الحكم بن هشام ، رائدها الظلم والقطيعة .
وفي النهاية لابد للحق أن ينتصر ، وللباطل أن يندحر .

« الموكب الحزين »

سار هذا الموكب الحزين ليدخل شعب أبي طالب ، ولم يكن هذا الحصار قاصرا على المسلمين ، بل دخل بعض المشركين تضامنا ، وانحاز إليهم بنو المطلب مؤمنهم وكافرهم على السواء عصبية .

سار هذا الموكب الحزين ، يتقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أثبت قلبا من ذلك الجبل الذي يضم الشعب ، هادئ النفس ، مطمئن الفؤاد ، رافع الرأس .

سار هذا الموكب الحزين يضم خلاصة البشر ، وصفوة الانسانية .

لم تعرف الدنيا أنبل منهم ولا أكرم ، ولا أرأف ولا أرحم ، ولا أجل ولا أعظم ، ولا أرقى ولا أعلم . أطهارا في أرواحهم ، أعزة في نفوسهم .

سار هذا الموكب الحزين ، عزيزا بدينه ، قويا بايمانه ، واثقا بربه .

لقد كان نور الحق يتألق في حواشي الصحراء ، ويتوهج في قمم الجبال .

كان هذا النور يلمس القلوب المريضة فيبرئها .

والصدور المظلمة فيضيئها .

والنفوس الحزينة فيواسيها .

فما باله اليوم ، تعلن عليه حرب ، لا هوادة فيها ولا رحمة ؟

سار هذا الموكب الحزين . المتفائل .

الحزين على ما يلقي من ظلم واضطهاد .

المتفائل الآمل في وعد الله ونصره .

المتوثب المسرور الذي يتوارد على ذهنه شتى الصور ، وتتلاحق امام عينيه شواخص المستقبل الزاهر .

ترى ماذا كان يدور بخلد هؤلاء ، وهم ذاهبون الى الشعب ؟

وماذا كان شعورهم ، وقد امتد حصارهم سنتين ؟

هل كان يعلم هؤلاء ، وقد قاطعتهم قريش سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، أنهم بعد فترة وجيزة من الزمن ، سيلقى إليهم التاريخ زمامه ، ليقودوه حسب ما يمليه عليهم دينهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ما ينتظرهم من عظائم الأمور ، وأنهم سيحملون إلى الناس بلاغة العروبة ، وأخلاق الاسلام ، وهداية الدين ، وأنهم سيمنحون البشرية سعادة الدنيا وخيرها ، وأجر الآخرة ونعيمها ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن الدنيا ستخضع لسلطانهم ، وأن العالم كله سيكون تحت سيطرتهم ، وأن الكفر سترتعد فرائصه من ذكرهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن هناك معارك دامية ، تنتظرهم في البر والبحر ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن راية الاسلام سترتفع ، في فارس والروم والصين والأندلس ؟؟

لقد كان هؤلاء ، في الذروة العليا ، من قوة الروح ، ويقظة الضمير .

كانوا يعافون الضيم ، ويأبون الهوان .

يالسخرية القدر !!

أليس هذا محمد بن عبدالله الذي عرف بينهم بالصادق ، ولقب بالأمين ، واشتهر بالعفة والوفاء ، وكان الحكم بينهم ، حينما اختلفت آراؤهم ، في وضع

الحجر الأسود ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ؟؟

أفضل خلق الله على الله ؟؟

أطهر من مشى على الغبراء ؟؟

وأكرم من ظللته السماء ؟؟

وخاتم الرسل والأنبياء ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ومعه صحبه الكرام ؟؟

أتقى من أنجبت الدنيا ؟؟

وأعدل من حكموا بين الناس ؟؟

وخير من قادوا الشعوب والأمم ، بعد الأنبياء والرسل ؟؟

ولما فتحت الدنيا لهم أبوابها لم يطغهم الترف ، ولم تفسدهم النعمة ، بل كانوا مثلا تسرى وفضيلة تمشى بين الناس ، وطهرا يتحرك على الأرض .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشعب ، ووقف الأعداء يمنعون أن يدخل إليهم أحد بشيء من طعام ، ومرت أيام ، وتعاقبت شهور ، وانقضت أعوام ، والمسلمون في شعب أبي طالب لا يجدون من الطعام ما يشبع جائعا ، ولا من الشراب ما يروي ظامئا ، ولا من الثياب ما يكسو عاريا .

وكانت هناك عواطف تحركت ، ونفوس سئمت هذا الحصار ، وللقوم إخوة وأبناء عمومة وخئولة ، ويألم « حكيم بن حزام » لما أصاب « فضالة بن هشام » أخاه من أمه ، وكان « حكيم » تأتيه العير من الشام ، تحمل الحنطة ، فيوجهها نحو الشعب ، ويضرب أعجازها فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة ، وذلك في غفلة من قريش .

فقد روى أن « حكيم بن حزام » سارو معه غلام له ، يحمل قمحا ، يريد عمته خديجة ، فتعلق به أبوجهل ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ، والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك بمكة ، فجاء أبو البحتري بن هشام فقال : مالك وله ؟؟

ـ أبو جهل : إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم .

ـ أبو البحتري : طعام كان عنده لعمته ، بعثت إليه به أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خل سبيل الرجل .

فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البحتري لحى بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا .

أحكم الحصار ، وانقضت أعوام عجاف ، أصاب المسلمين الجهد ، فذبلت أجسامهم التي أنحلها الجوع ، وأرهقها الظمأ ، وأذهلها انتظار الطعام والشراب ، وأشرفت نفوسهم على التلف .

أكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، واشتد الألم ، ألم الجوع على

« سعد بن أبي وقاص » فيخرج في سواد الليل ، فيطأ على شيء رطب ، فيضعه في فمه ، فيبتلعه ، لا يدري أي شيء هو ، ولا يجد له طعما في فمه .

ويتصايح اطفال المسلمين ، فقد كادوا يهلكون جوعا وعطشا وعريا ، ويتسامع المشركون بما أصاب المسلمين من الجهد والتعب والمسغبة فيسر أناسا ، ويسوء آخرين .

ومرت الأيام ، وأقبل موسم الحج ، ووفد الحجيج إلى بيت الله من كل فج عميق ، معهم إبلهم عليها تجارتهم من الطعام والثياب ، وفكر المسلمون المحاصرون . أن هؤلاء القادمين لم يوقعوا على صحيفة المقاطعة ، إذن فهم في حل أن يبيعوا بني عبد مناف ويبتاعون منهم ، وراود المسلمين الأمل ، فبعد قليل سيكون بين أيديهم ما يسدون به رمقهم ، ويطفئون ظمأهم ، ويسترون أجسادهم .

وخرج من المسلمين من يشتري زادا ، ووقف على أحد التجار ، وكان يعرض قمحا ، وهم المسلمون بالشراء ، وبصر بهم أبو لهب ، فوقف في السوق مناديا :

يامعشر التجار : غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا ، فقد علمتم ما لي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن ألا خسار عليكم ، ويسمع التجار ذلك فيزيدون الثمن أضعافا ، وأخفق المسلمون ، ورجعوا ولم يحصلوا على ما يريدون ، ويفد التجار على أبي لهب فيضاعف ربحهم ، فيما معهم من الطعام والثياب ، ويفرح أبو جهل لما أصاب المسلمين .

وتحركت العواطف مرة أخرى ، قال أبو طالب لابن أخيه .

أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا الجهد ما ترى ، وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه ، لولا شرف السمعة ، وتهمة الخيانة ، لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به ، من عهد الصحيفة .

وقد أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن صحيفة المقاطعة قد محيت ، ولم يبق منها إلا اسم الله تبارك وتعالى ، ويخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عمه بذلك .

أبو طالب : يتساءل مسرورا : هل ربك أخبرك بهذا ؟؟

الرسول صلى الله عليه وسلم : (نعم) .

يخرج أبو طالب منشرح الصدر ، ليتحدث إلى القوم ، فما عهد على ابن أخيه كذبا قط ، حتى ألد أعدائه لم يجرؤ أحد منهم على وصفه بهذا الوصف الشائن ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** الأنعام/٣٣ .

« نقض الصحيفة »

وتتحرك العواطف ، وتثور العصبية مرة أخرى ، ويتولى « هشام بن عمرو »

تألب الناس على الصحيفة ، ويؤلمه ما يلقي أخوه « فضالة بن عمرو » فيسعى الى أشراف من قريش ، لهم في بني عبد مناف صهر وخئولة .

ذهب إلى « زهير بن أمية »

فقال له : يازهير : أرضيت أن نأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وننكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؟! أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ، ما أجابك أبدا .

زهير : فماذا أصنع ، وأنا رجل واحد ؟ والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها .

هشام : قد وجدت رجلا

زهير : من هو

هشام : أنا

زهير : أبغنا ثالثا

وذهب هشام الى « المطعم بن عدى » ليجنده لنقض الصحيفة .

هشام لمطعم بن عدى : أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد ذلك ، موافق عليه ، أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم أسرع .

المطعم : ماذا أصنع وانا رجل واحد ؟؟

هشام : قد وجدت ثانيا .

المطعم : من هو

هشام : أنا

المطعم : أبغنا ثالثا

هشام : قد فعلت

المطعم : من هو

هشام : زهير بن أمية

المطعم : أبغنا رابعا

ذهب هشام الى « أبي البحتري » ليضمه لقوته ، وقال له ما قال لصاحبه .

أبو البحتري : أبغنا خامسا

وذهب هشام إلى « زمعة بن الأسود » ليستعين به في مهمته ، وقال له ما قال لأصحابه ، وذكره بقرابته من بني عبد مناف .

زمعة : وهل على هذا الأمر معين ؟؟

هشام : نعم وذكر له زهير بن أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو البحتري بن هشام .

واتفقوا على اللقاء في مكان بأعلى مكة ، يسمى (خطم الحجون) وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، حفاظا للدم ، ورعاية للحرمات ، ودفعا للظلم ، وتولى زعامتهم « زهير بن أمية » فلما أصبحوا ذهب إلى الكعبة حيث كان وجوه قريش

مجتمعين في ناديهم ، فتقدم زهير ، وطاف ، ثم أقبل على الناس .
زهير : ياأهل مكة أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى ، لا يباع لهم ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .
وارتج أبو جهل في مجلسه ، فقد ظن أنه صوت عابر لا يلبث أن يذوب ويتوارى ، وتململ في مجلسه ، وتحفز للرد ، فعلت الأصوات من كل جانب ، وارتفع صوت كل من : المطعم بن عدى ، وهشام بن عمرو ، وزهير بن أمية .
أبو جهل يصيح في حدة وغضب : كذبت والله لا تشق .
زمعة بن الأسود يتصدى لأبي جهل ويقول : أنت والله أكذب ، ما رضبينا بها حين كتبت .
وتلاحقت الأصوات من كل جانب فكانت كالسهام الصائبة .
المطعم بن عدى : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك .
وعلت أصوات التأييد فتضاءل أبو جهل ، وقال .
أبو جهل : هذ أمر دبر بليل ، وما احسبكم إلا دبرتموها في غير هذا المكان .
أبوطالب : يبادره في جماعة من قومه ، بل هو أمر قضاه رب محمد .
وتطاولت الأعناق نحو أبي طالب ، كأنهم يطلبون المزيد من التوضيح .
أبو طالب : إن ابن أخي أخبرني ، وهو عندي صادق أمين ، أن الأرضة أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى ، فهلموا إلى صحيفتكم فأحضروها بين هذا الملأ ، فان كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا ، قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذبا ، علمنا أنكم على حق ، وإنا على باطل ، دفعته اليكم فما شئتم فافعلوا به .
وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ، فتناولها من جوف الكعبة ، وفض غلافها ، فاذا الأرضة قد أكلتها ، ولم تترك بها إلا « باسمك اللهم » .
ففغر الناس أفواههم ، وانعقدت الألسنة من الدهشة ، إلا أبا طالب الذي رفع بقيتها في يده ، وصاح بصوت مسموع .
أبو طالب : الآن قد تبين لكم أنكم أولو الظلم والقطيعة ، فبهت القوم ، ونكست الرؤوس الشامخة .

« الموكب المنتصر »

من قام بفض هذه الصحيفة ؟؟
والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل جيشا لمحوها ، ولم يجرد حساما من غمده ليمزقها ، بل قام بفكها أضعف مخلوق بمكة « إن الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى » .
وصدق الله العظيم إذ يقول : **(ولله جنود السموات والأرض)** الفتح/ ٤ .

(**وما يعلم جنود ربك إلا هو**) المدثر/ ٣١ .

علم المسلمون وبنو هاشم وبنو المطلب المحاصرون في الشعب ، بأمر تمزيق الصحيفة ، فكبر المسلمون فرحين مستبشرين ، وحزموا أمتعتهم ، وخرجوا من الشعب متوجهين الى مكة ، وساروا في طرقاتها يلتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالات حول القمر .

سار هذا الموكب المنتصر ليعود الى نشر دعوة الله مستهينا بما سوف يلقي في سبيل الله .

ياقدرة السماء : أليس هذا الموكب المنتصر المسرور ، الفرح بتأييد الله ، ونصره وعونه ، هو الذي خرج بالأمس القريب في موكبه الحزين ؟؟!!

الحزين على ظلم أهله وقومه

الحزين على هذه المقاطعة الآثمة الظالمة .

إذا به اليوم يخرج في موكب النصر بين التهليل والتكبير .

فرح الطغاة بهذه المقاطعة الظالمة ، وظنوا أنهم سددوا للمسلمين ضربة قاصمة ، تفرق جمعهم ، وتبدد شملهم ، ولكن طاش سهمهم ، وخاب فألهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم .

إن المسلمين أكبر من أن تهزهم هذه السفاسف وإن عظمت ، أو تفرقهم هذه الأحداث وإن تتابعت ، أو تفتر عزيمتهم الدنيا كلها وإن تجمعت .

لقد بهروا العالم بمبادئهم .

وهزوا عروش كسرى وقيصر بايمانهم .

إذن فلتتعاهد قريش ولتمض في طريق الشر والغواية والظلم والقطيعة .

فالمسلمون ثابتون على دينهم ، متمسكون بعقيدتهم ، واثقون من نصر الله لهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون**) الصافات/ ١٧١ ــ ١٧٣ .

لقد علا صوت الحق ، ورفرفت راية الاسلام ، وعلا وجه الكفر الذل والخزي والعار .

وخرج المسلمون المحاصرون في شعب أبي طالب .

ودار الفلك دورته ، وإنقضت أعوام ، هاجر المسلمون بعدها إلى المدينة المنورة ، فتكونت دولة الاسلام . الفتية القوية .

ثم عادوا الى مكة .

مكة التي كانوا محاصرين فيها لا يبيعون ولا يبتاعون ، عادوا إليها فاتحين مظفرين ، واستسلم قادة الكفر ، ورؤوس الضلال ، واستسلموا صاغرين مدحورين .

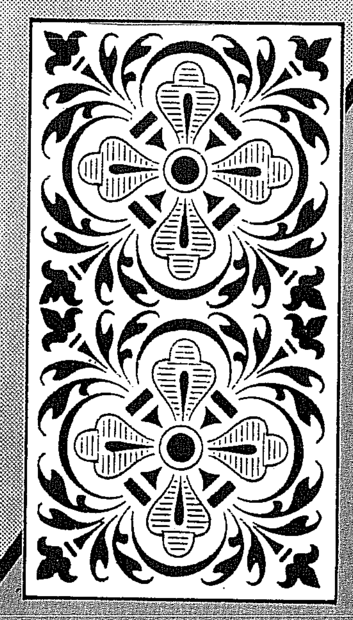
(**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض**) القصص/ ٥ ، ٦ .



للدكتور/احمد حسنين القفل

إن كنت للاسلام خير دعاته … هذا رسول الله خير حماته
كان الأمين ، وذا الوفاء لعهده … والطاهر المفضال في خطواته
كان اليتيم ، فما تخاذل وانثنى … فاليتم لا يثنيه عن غاياته
لله درك من عصامي سما … فوق السماك ، وزاد عن هاماته
ياأعزلا ، خضع العتاة لحكمه … بالعدل والانصاف في طياته
ياهاديا ، راد الطريق بحكمة … حتى أنار الكون من ظلماته
ناضلت عن حق فأزهق باطلا … قد شوه الأخلاق من نكباته
وأد البنات ، وهتك عرض بعضه … والقتل والشحناء بعض صفاته
عجبي لأمي ، تناهى علمه … أثرى الأنام بهديه وعظاته
نور على نور ، فمن يبغي هدى … فهو الذي يشفيه من علاته
يادولة الاسلام ، هيا للعلا … هيا ، فضمي الشمل بعد شتاته
هيا ارفعي علم الجهاد وأسرعي … للمجد ، فالاسلام خير بناته
لن يستسيغ الذل من أسلافه … كانوا ملوك الدهر ، من هالاته
كانوا الأباة ، فان دين « محمد » … حاشاه يرضى الضيم من عاداته
ليس الذليل النذل من أبنائه … أبدا ، وليس اليأس من شاراته
هذا « محمد » كان فردا أعزلا … فاذا العروش تهد من صولاته
قد أرغم الخصم العنيد لركبه … وغدا سراج الكون ، من ساداته
لم تثنه الأحداث ، وهي فواجع … صبت عليه من جميع جهاته
أن ينصر الدين الذي يدعو له … ويقر غير الحق في خطواته
عرضوا عليه المال ، إذ هو معسر … والملك ، كي ينحاز عن دعواته
فأبى ، وعاش على الكفاف مناضلا … عن خير دين ، قد أحب لذاته
بأبي وأمي أنت ياأصل الهدى … ياخير خلق الله في طاعاته
ياأسوة سعد الأنام بنورها … نور أضاء الكون في رحباته
أنت السراج يضيء أركان الورى … يهدى الحيارى من عظيم هباته





إن ذكرى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه مستقرة في نفس كل مؤمن ، لا تنسى ولا يختص بها زمان دون زمان . ومن عظم شأنه وعلو قدره صلى الله عليه واله وسلم فقد قرن الله بينه وبين اسمه الكريم في كلمة التوحيد التي يكون بها المرء مسلما ، والتي هي الحد الفاصل بين الايمان والكفر ، وهي « لا إله إلا الله محمد رسول الله » صلى الله عليه واله وسلم . وجعل المناداة باسمه جزءا من الاذان الذي يكرر خمس مرات في كل ليل ونهار بصوت مسموع تتجاوب به المآذن في بيوت الله من الصباح

للدكتور / عبدالله بن عبد القادر بلفقيه الحسيني

والمساء ، إيذانا وإعلاما بالصلوات المكتوبة ، وجمعا على عبادة الله ، فيتعارفون ويتحابون ويتعاونون ويتحدون ، وانه ليذكر في التشهد كلما صلى مسلم فرضا او نفلا .

وذكر محمد عليه الصلاة والسلام قد خلده الله في كتابه الخالد ، ذكره باسمه الصريح ، وذكره بوصف الرسالة اصطفاء من الله على علم ، وذكره بوصف العبودية لله الواحد ، وذكره بعظمة خلقه ، وذكره برحمته للناس اجمعين وذكره بأنه المزكى للنفوس ، المعلم للكتاب والحكمة ، وذكره بالتبشير والانذار ، وأنه شهيد على أمته ، وبأنه صاحب المقام المحمود ، وجعل محبته من محبته ، وطاعته من طاعته ، وعصيانه من عصيانه صلى الله عليه واله وسلم .

وهكذا تلمع هذه الذكرى المحببة في كل موطن الاسلام عقيدة ، وعبادة ، وقدوة واهتداء ،وتفتر عنها ملايين الألسنة والشفاه في مشارق الأرض ومغاربها حينما أذن مؤذن أو أجاب مجيب أو صلى مصل أو آمن مؤمن أو تلا قاريء أو حدث محدث .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

كان ايمان الأولين السابقين بهذه الذكرى وبصاحب هذه الذكرى عليه الصلاة والسلام ايمانا عمليا بالأفعال قبل الأقوال ، بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح ، بالدموع والدماء ، بالأموال والأنجال ، بالأهل والعشيرة ، بالمتاع والنعيم ، بكل لون من ألوان التضحية والايثار والجهاد ، آمنوا بنبيهم ، وذكرى نبيهم لا عن طريق الخطب التي تلقى في شمائله ، ولا عن طريق الحفلات تطلق فيها الأنوار الصناعية والزخارف المزينة ، وإنما آمنوا عن طريق اتباعه وإحياء سننه والتحلي بأخلاقه ، واقامة شرعه ودينه ، آمنوا بهذا وعلموا ان الايمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة للمحبوب ، والرضا بما يرضيه ، والغضب لما يغضبه ، ومن تبعاته تحمل المشاق والتضحية بأعز شيء في سبيل الوصول الى رضاه : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)ال عمران / ٣١ : (**قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**) التوبة / ٢٤

هكذا شأن المؤمنين الأولين يوم كان الايمان قويا في النفوس ، تشتعل

جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، وهكذا كانت الذكرى ماثلة في كل شيء ، في اقوالهم اذا نطقوا في حركاتهم اذا تحركوا وفي سكونهم اذا سكنوا ، وفي جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والأخروية اساسها هذا النور المبين الذي جاء به محمد عن ربه ، فكان دستور الحياة وينبوع العزة والقوة والسعادة ، :(**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**) الاسراء /٩

هكذا كان شأنهم ، كانت جميع اوقاتهم وجميع اعمالهم ذكريات متتابعة بهذا الرسول الكريم ، وكانت حالتهم مثالا صادقا ومرآة صافية ترى منها سيرته صلى الله عليه واله وسلم وشرعته واخلاقه ، فلم تكن بهم حاجة الى مذكر وهم في الذكرى دائما سابحون وبنورها مهتدون .

ظل المسلمون كذلك حتى ضعفوا واستكانوا ، فانطفأ هذا النور من قلوبهم ، وأقفرت بصائرهم من أسراره ، ولم يبق لهم منه الا صور مرسومة بحروف في الصحف أو الكتب يرجعون اليها كلما عاودتهم الذكرى أو اهل عليهم ربيع .

اكتفوا بذكرى محمد صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع من كل عام كما اكتفى غيرهم ، وانه كان على خلق عظيم ، وان شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وتركوا الاقتداء والتأسي ، وانحازوا الى شرائع وتقاليد واخلاق لا يعرفها محمد ، وما انزل الله بها من سلطان فانخفضت رءوسهم واستوت اعناقهم ، وضعف سلطانهم ، وتفرق شملهم وتناثرت عزتهم ، شغلوا بالقول ونسوا ان دينهم ومنبع عظمتهم ومجدهم ، اساسه الايمان والعمل : (**والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**)سورة العصر .

لا نعلم في القران ولا في تعاليم الرسول اية واحدة او حديثا واحدا يجعل سبيل السعادة مجرد القول ، بل نراهما ينوطان النجاح دائما بالايمان والعمل ، وينعيان على القوالين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم : (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) الصف / ٢و٣ .

نعم ، قد اجد القول في شيءمن الايات والأحاديث ، ولكن تجده ، مقرونا بطلب العمل « قل امنت بالله ثم استقم »

وهكذا كان صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه فعالا قبل ان يكون قوالا ، وكان فعله اكثر من قوله ، كان معلما للخير بفعل الخير ، وكان داعيا للفضيلة ، وكان قدوة في اعماله واسوة بأفعاله ، يتوضأ ويقول لأصحابه « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » رواه ابن ماجه واحمد وكان يصلي ويقول لأصحابه « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وكان يحج ويقول : « خذوا

عني مناسككم » رواه النسائي

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم شجاعا كأتم ما تكون الشجاعة ولم يكن شجاعا بالقول فقط وانما كان شجاعا بالفعل ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب لقد كنا اذا حمى الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا الى العدو ، وكان من اشد الناس يومئذ بأسا ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه .

والتاريخ لم يعرف قائدا حكيما صبورا جلدا كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فر أصحابه من موقعهم يوم أحد متلهين بالغنائم ، ومعاندين أمره الذي أمرهم به . الا يبرحوا الشعب ولو رأوه واصحابه يقتلون . فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي بنفسه عن قوسه حتى تحطمت ، واحاط نفر من المسلمين به يدفعون عنه ويحمونه ، وترس أبو دجانة ، بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحنى ظهره والنبل يقع فيه ، ووقف سعد بن أبي وقاص الى جانبه يرمي بالنبل دونه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناوله النبل ويقول له ارم فداك أبي وأمي .

واصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقع لشقه وكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وجرحت شفتاه ، ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستتر به وجهه في وجنته ، ولكنه مع كل هذا تمالك نفسه وأخذ ينادي المسلمين « إلى عباد الله » فاذا به يقع في حفرة حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون فيأخذ علي بن أبي طالب بيده ويرفعه طلحة بن عبد الله حتى يستوي .

موقف من مواقف الشجاعة العملية لا يعهد لقائد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي هذا الموقف العملي يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون**) ال عمران ١٥٢ . ١٥٣

ولقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشترك مع اصحابه فيما يفعلون من شئون الحرب كأنه جندي منهم ، وكان يحمل التراب في غزوة الخندق على كاهله ، وهو يعلم أن فيهم من يكفيه ذلك راضيا مسرورا ، ولكنه يضرب لهم الأمثال بما يفعل ويثير في قلوبهم حماسة الايمان : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الاحزاب /٢١ .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

كتاب الشهر

أضواء على كتاب منهاج الصالحين

منهاج الصالحين
من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين
تأليف
عز الدين بليق
دار المنهاج للطباعة والنشر
صندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت

المؤلف : مؤلف [منهاج الصالحين] هو الأستاذ عز الدين بليق ، الكاتب الاسلامي اللبناني الذي عرفته الصحافة العربية الاسلامية من خلال مقالاته التي نشرت في بيروت والعالم العربي ، وهو مندوب المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية بمنطقة الشرق الاوسط ، وقد زار اندونيسيا بدعوة من الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا الاسبق ، واصدر كتابه الاول عن رحلته الى اندونيسيا بعنوان [انقذوا اندونيسيا يا مسلمون] استعرض فيه أوضاع المسلمين ونشاط الحركة الاسلامية والحركات التبشيرية مدعما بالخرائط والصور البيانية .

وقد اصدر كتابه الثاني الكبير [منهاج الصالحين] منذ عدة أشهر ، والذي استقبلته الاوساط والمراكز العلمية والجامعات بالترحاب ، كما استقبلته الصحف والمجلات في العالم العربي بالثناء والتقدير وقد بذل فيه المؤلف جهدا مباركا مشكورا يشبع رغبة ملحة لدى الكثيرين من المسلمين في العصر الحاضر في الاطلاع على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، من أقرب طريق ، كما جعله مرجعا شاملا للعقائد والعبادات والقوانين العامة ، والآداب الاجتماعية ، وهو الى جانب ذلك يقدم البلاغة النبوية الى القراء بصورة جميلة شيقة في العرض ، ممتازة في الاختيار حيث عرض أنماطا من البلاغة النبوية في كل باب من أبواب الكتاب ، وفي كل فصل من فصوله .

ومن الجدير بالذكر أنه لا

يتسنى للباحث أو القاريء أو طالب العلم أن يجد هذه الاحاديث التي اشتمل عليها الكتاب في مرجع واحد ، أو مصدر معين من مصادر كتب الحديث .

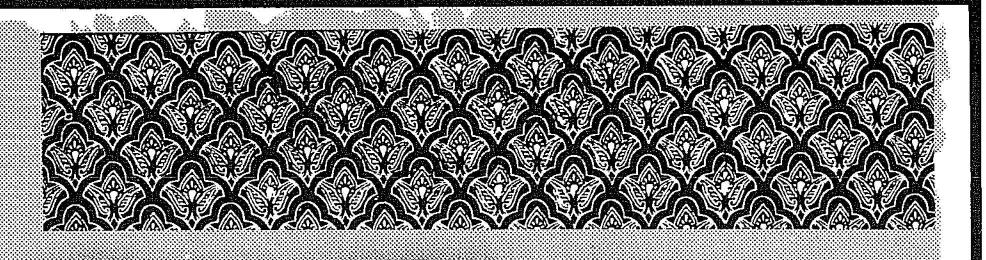
وها هو الأستاذ عز الدين بليق يساهم مساهمة مشكورة في جمع الأحاديث وتبويبها تبويبا جميلا وتقريبها الى القراء ، ويضع العناوين المناسبة والملائمة لمضمونها .

الكتاب :

ومنهاج الصالحين يحتوي على :

- مقدمة مهمة في علم الحديث .
- وعلى الخطوط الرئيسية لرسالة الاسلام بعنوان [معالم الاسلام] .
- وعلى (تعريفات أساسية) توضح معنى الاسلام والايمان والاحسان ، والمسلم والمؤمن ، والكافر والمشرك والملحد ، والمنافق ، والمستأمن والحربي ، وأهل الكتاب والذمة والمواطنين ، والانسان وبنى آدم ، والحياة الدنيا .
- والمؤلف يصدر كل ابواب الحديث بآيات كريمة من القرآن الكريم تناسب ابواب الحديث .
- وأهمية [منهاج الصالحين]أنه خلا من الأحاديث المتعارضة والأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكررة ، بل إن المؤلف استبعد بعض الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح على أنها صحيحة ، إذا تبين له أن فيها علة تقدح في صحتها من ناحية المتن .
- كما يسلط الأضواء على رسالة الاسلام الأخلاقية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد أورد في الكتاب أجمع ما ورد في الاخلاق الفاضلة ـ ٢٧ بابا ـ وما يقابل ذلك من النهي عن الأخلاق السيئة .
- بالاضافة الى ذلك تجد أبواب (السياسة الداخلية للرسول) و (السياسة الخارجية والعلاقات الدولية) في هذا الكتاب والتي لا يجدها القاريء في كتب الحديث بل يجدها في كتب السيرة والتاريخ .
- و [منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين] كتاب شامل جامع يمتاز بالتنسيق والتبويب ويصلح لعامة المسلمين ، للطالب والمدرس ، للطبيب والمهندس ، والعامل ورب العمل ، وللزوج والزوجة وليس فقط للخاصة والعلماء والفقهاء .

وهو يقع في ١٠٢٤ صفحة من القطع الكبير ، في مجلد واحد . وقد صدر عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .



ماذا تعرف عن مكة عند البعثة؟

للاستاذ علي القاضي

موقع مكة :

تقع مكة بين الأخشبين ـ جبل أبي قبيس المشرف على الصفا ، وجبل الاحمر المشرف وجهه على قعيقعان ، كما أنها تقع في مكان تلتقي فيه جميع الطرق الآتيــة من كل الجهــات ـ الطريق الغربي الذي يبدأ من ظفار جنوبا ، وينتهي عند تيماء عبر مكة ، والطريق الشرقي الذي يبدأ من ظفار جنوبا وينتهي عند الطائف ، وتتصل بالبحر الاحمر عبر طريق ميقاتهـا جدة .

كانت مكة معبرا رئيسيا للقوافل الآتية من الشمال او الجنوب فتأثرت

بأوضاعهم ، وهي من اقدم مدن العالم ، يقول جارج بال ــ مترجم القرآن بالانجليزية في مقدمة الترجمة : « إن مكة معناها مكان تجمع عظيم ، وهي من أقدم مدن العالم بالتأكيد » .

كيف نشأت مكة

ذهب ابراهيم عليه السلام بالسيدة هاجر وابنها إسماعيل إلى مكان مكة التي لم يكن يسكنها أحد في ذلك الوقت ، ولم يكن بها ماء ولا طعام ، وحين طلب اسماعيل الماء ذهبت والدته يمنة ويسرة علها تجد ماء يروي غليل طفلها الرضيع ، فلم تجد ما تبتغيه ، فجعلت تحفر في مكان بئر زمزم ، فخرج الماء فشرب وليدها ، وشربت ، وقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وأبوه ، إن الله لا يضيع أهله .

في هذه الفترة مرت رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فرأوا طائرا يحوم في السماء ،فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما به ماء ، فارسلوا رسولا فاذا هم بالماء فرجعوا وأخبروا قومهم ، فأقبلوا وقالوا لأم اسماعيل : أتأذنين لنا ان ننزل عندك ، قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : نعم ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ــ وشب اسماعيل وتعلم العربية منهم وقد أحبوه ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل ، وجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل ..

قال ابراهيم لابنه اسماعيل : إن الله آمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمر ربك ، قال : وتعينني ، قال : وأعينك ، قال : فان الله أمرني ان ابني هنا بيتا ، واشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ــ فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه لهم ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

فصارت ولاية البيت ومكة لاسماعيل ، ثم لذريته من بعده ، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثرت ، ثم غالبهم عليه اخوالهم من جرهم ولم ينازعهم بنو اسماعيل لقرابتهم وإعظامهم للحرمة ألا يكون بمكة قتال ، ثم ان جرهم بغوا في مكة وظلموا من دخلها ، فلما رأى ذلك بنو بكر ابن عبد مناف من كنانة وغبشان من خزاعة اجمعوا على جرهم فا قتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان ونفوهم خارج مكة ، فقد كانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ، ولا يبغي فيها أحدالا اخرج ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك .

ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بكر ، وقريش اذ ذاك بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك ، حتى كان آخرهم جليل بن معينة فتزوج قصي بن كلاب ابنته ، فلما عظم شرف قصي وكثر

بنوه وماله ، هلك جليل ، فرأى قصي انه اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة وبني بكر ، وان قريشا رؤوس آل اسماعيل وصريحهم ، فكلم رجالا من قريش وكنانة في اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه ، وقال لهم : نحن اولى بهذا البيت منكم ، فا قتتل الناس قتالا شديدا ، وغلب قصي ، وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي ، وعرفوا انه سيمنعهم ويحول بينهم وبين الكعبة وامر مكة ، فلما انحازوا بادأهم وأجمع لحربهم ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم تداعوا الى الصلح فحكموا يعمر بن عوف احد بني بكر ، فقضى بينهم « قصيا اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة ، وكل دم اصابته قصي منهم موضوع شدخه تحت قدميه ، وما اصابت خزاعة وبنو بكر فيه الدية وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة » فسمي يومئذ يعمر الشداخ - فوليها قصي وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك عليهم وملكوه ، وأقر للعرب ما كانوا عليه لأنه يراه دينا لا يتغير .

مكة الجديدة وقصي :

ملك قصي على قومه واهل مكة وصارت اليه الحجامة ، والسقاية ، والرفادة والندوة ، واللواء ، وبذلك حاز شرف مكة كلها ، فأعاد تخطيط مكة ، فقطعها رباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها ، واصبحت داره بيت شورى لقريش والعرب ، فلا يقضي امر من امورها الا فيها تشريف له ، وقد سموه مجمعا ، لما جمع من امرهم واصبحوا يأتمرون بأمره .

فلما هلك اقام بنوه امره لا نزاع بينهم ، ثم إن بني عبد مناف ارادوا اخذ ما بيد عبد الدار ، واخيرا تداعوا الى الصلح ، على ان لعبد مناف السقاية والرفادة ، ولعبد الدار اللواء والحجابة والندوة ، فرضوا ، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام ، فقال : صلى الله عليه وسلم : « كل حلف في الجاهلية لم يزده الله الا شدة » .

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي ، انتقلت مكة من طور البداوة الى طور الحضارة المحدود ، وخضعت لنظام يقوم على انفاق تطوعي ، وتفاهم جماعي ، وتوزيع للمسئوليات والمهام ، وذلك على يدي قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام ، وبذلك اصبحت مكة كبرى مدن الجزيرة العربية ، وبدأت تنافس صنعاء اليمن في زعامة الجزيرة بل انها تفوقت عليها بعد ما حدث باليمن من استيلاء الحبشة عليها ، وأصبحت مكة عاصمة الجزيرة العربية الروحية والاجتماعية ، وقد سماها القرآن الكريم « ام القرى » (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها) الشورى/٧ .

دار الندوة :

هي دار قصي بن كلاب اسسها لاصقة بالمسجد الحرام ، وجعل بابها الى مسجد الكعبة ، وقد اصبحت دار الشوري لقريش ، ودار الحكم في مكة ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، ولا يتشارون في امر نزل بهم ، ولا يعقد لواء لحرب لقوم من غيرهم الا في هذه الدار ، يعقده لهم بعض ولده ، ولا يرد عليه شيء صنعه ، وكان تعظيمه بعد وفاته كما كان في حياته ، ولم يكن يدخل دار الندوة من غير قصي الا ابن الاربعين ، ويدخلها بنو قصي جميعا وكذلك حلفاؤهم ، وكانت تجمع اقيال العرب وكبراء القبائل من شتى انحاء الجزيرة من اليمن جنوبا الى الغساسنة شمالا ، فاذا اهم العرب امر واحتاجوا الى امر جامع ، لا يجدون بنايةتجمعهم الادار الندوة في ارض مكة ، وكانت الرياسة فيها لقريش ..

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ندوة قريش في صدر حياته ، وكان مع هدوء نفسه واطمئنان قلبه يلفت الأنظار ، وتتطلع اليه الابصار ، ويروي ان النبي عليه الصلاة والسلام (كما ذكر في كتاب « زهر الآداب » حضر الندوة ، وكان فيها قيل من اقيال اليمن ، فرأى الرسول ، ولاحظ انه كل ما عرض يراه خيرا اطمأن الى القول اطمئنان المؤمن ، واذا كان ما يرى فيه غير ذلك أحد البصر في هوادة من غير لين ، فقال ذلك القيل : ما لي أرى هذا الغلام ينظر اليكم تارة بعيني لبؤة ، وتارة بعيني عذراء خضرة ، والله لو أن نظرته الاولى كانت سهاما لانتظمت افئدتكم فؤادا فؤادا ، ولو أن نظرته الثانية كانت نسيما لأنشرت أمواتكم » .

وكانت المسئوليات موزعة بين رجال من قريش اقرت لهم بالفضل وحصافة الرأي ، وكانوا يتوارثون المكارم كابرا عن كابر ، وعند البعثة كان الذين يتولون هذه المناصب على النظام الآتي :

كان لأبي بكر ، وهو من تيم الاشنان ، الديات والمغارم ، فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه ، وامضوا حمالة من نهض معه ، واذا احتمل غيره خذلوه ، وكان لخالد بن الوليد وهو من بني مخزوم القبة والاعنة (القبة يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش الاعنة – كان على خيل قريش في الحرب) وكان لعمر بن الخطاب – وهو من بني عدي – السفارة فاذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا ، وان ناداهم حي بمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به ، وكان لصفوان بن امية وهو من جمح الاسار ، وهي الأزلام فكان لا يسبق بأمر هام حتى يكون هو الذي يسيره على يديه ، وكان للحارث بن قيس الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهتهم .

حلف الفضول :

اجتمعوا له في دار عبد الله بن

جدعان لشرفه وسنه وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب واسد بن عبد العزي وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة — وتعاهدوا على ان لا يوجد بمكة مظلوم من أهلها او ممن دخلها الا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته فقال الزبير بن العوام

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا
ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تحالفوا وتعاقدوا
فالجار والمعتر فيه سالم

شهد رسول الله عليه الصلاة والسلام حلف الفضول وقال بعد ان ارسله الله تعالى (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان مع عمومتي حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت)

الوثنية في مكة :

كانت ذرية اسماعيل عليه السلام على دين اسماعيل قرونا طويلة ، ولم يزالوا على ذلك حتى نشأ فيهم عمرو ابن لحي الخزاعي ، نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على امور الدين فأحبه الناس حبا عظيما ودانوا له لذلك ، حتى ملكوه عليهم فصار ملك مكة وولاية البيت بيده ، وظنوا انه من اكابر العلماء وافاضل الأولياء ، ثم انه سافر الى الشام فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقا ، لأن الشام محل الرسل والكتب فلهم الفضيلة بذلك على اهل الحجاز وغيرهم فرجع الى مكة وقدم ومعه « هبل » وجعله في جوف الكعبة ودعا الى الشرك اهل مكة فأجابوه ، وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة ، لأنهم ولاة البيت واهل الحرم ، والى جانب ذلك فهناك اسباب اخرى للوثنية ، فالوثنية من بقايا الديانات القديمة مثل قوم نوح فقد كانوا وثنيين كما ان من اسبابها انتقال العدوى من الرومان ، وعدوى العقائد تسري كعدوى الأمراض ، والغساسنة عرب ، وكانوا يخضعون للروم والى جانب ذلك ما يقولونه من ان اول ما كانت عليه عبادة الامجاد من بني اسماعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت بهم مكة ، الا حمل حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، ويطوفون به كطوافهم للكعبة ، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه الآباء وعبدوا الحجارة ، ومع ذلك فهم لم ينسوا الله تعالى ، وهذا فرق واضح بين وثنية العرب التي فيها ايمان بالله بلا وحدانية ووثنية الروم التي ليس فيها ذكر لله ، وفي ذلك يقول الله تعالى **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)** لقمان/ ٢٥ .

ومن الاشياء التي ابتدعوها ما رواه قتادة قال : عمد ناس من اهل الضلالة فجزءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله وجزءا لشركائهم وكان اذا خالط شيء مما جزءوا لله فيما جزءوا لشركائهم خلوه ، واذا اخالط شيء مما جزأ لشركائهم فيما جزءوا لله ردوه على شركائهم — وكان

اذا اصابتهم السنة ـ يعني الجدب ـ استعانوا بما جزءوا لله وأقروا ما جزأ لشركائهم ـ ولهذا نزل قوله تعالى (**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون**) الأنعام / ١٣٦ .

وعدد الاصنام التي كانت في مكة في جوف الكعبة عند البعثة ٣٦٠ ، كبيرها هبل ، وهو الذي نادى به ابو سفيان بعد موقعة بدر بقوله : اعل هبل ، وكان على بئر في جوف الكعبة وهو الذي يجمع فيها ما يهدي للكعبة ، وكان بالعقيق الأحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ادركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب .. وكان امام البيت صنمان ، اساف ونائلة ، وكانوا يذبحون عندهما ، وكان في كل دار بمكة صنم يعبدونه وكانت الاصنام يطاف بها في مكة فيشتريها اهل البادية ويخرجون بها الى بيوتهم ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، ومن اشهر الاصنام « ود » بدومة الجندل لكلب ، وسواع لبني هذيل ، ويغوث لبني مذحج ، ويعوق لهمذان ، ونسرا بأرض حمير لذى الكلاع ، واللات بالطائف لثقيف وقد هدمها المغيرة بن شعبة ، ومناة بيثرب للخزرج هدمها علي ، والعزى لكنانة بنواحي مكة هدمها خالد بن الوليد وأساف ونائلة على الصفا والمروة ..

واهل مكة على وثنيتهم كانوا يعظمون الكعبة يطوفون بها ويقفون بعرفات والمزدلفة وان كانت التلبية قد اصبح فيها زيادات ..

وبدأت قريش ، مع توالي الزمن ، ترى أن لها حقوقا على سائر العرب في شئون الحج فخالفوا الناس في كثير من المناسك وابتدعوا اشياء بقصد الكسب المادي وسميت قريش حمسا لتشددهم وتحمسهم وتنطعهم في الدين بقصد الترفع والتعالي .

امتيازات :

قالت قريش : نحن بنو ابراهيم وولاة البيت فليس لأحد من العرب مثل حقنافلا نعظم اشياء من الحل مثلما نعظم الحرم ، لئلا تستخف العرب بحرمتنا ، فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها ، مع معرفتهم انها من المشاعر من دين ابراهيم ، ويرون لسائر العرب ان يقفوا بها ويفيضوا منها ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من اهل الحرم مثل ما لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك ، ثم ابتدعوا في ذلك امورا فقالوا : لا ينبغي للحمس ان يقطوا الاقط ولا أن يسلوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ، ولا أن يستظلوا إلا في بيت من الأدم ما داموا حرما ـ ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل ان يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل الى الحرم اذا كانوا حجاجا او عمارا ، ولا

يطوفــوا بالبيــت اذا قدمــوا اول طوافهم ، الا في ثياب من الحمس ، فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة ، فان لم يجد القادم ثيــاب احمس طاف في ثيابه والقاها اذا فرغ ولم ينتفع بها احد غيره فكانت قريش تسميها الكفــى وحملــوا على ذلك العرب ــ فدانت به ــ أما الرجــال فيطوفون عراة واما النساء فتضع المرأة ثيابها كلها الا درعا مفرجا ثم تطوف به فقالت ضاعة بنت عامر بن صعصعة وهي تطوف :

اليوم يبدو كله او بعضه
وما بدا منه فلا احله

قال السهيلي : ابتدعت قريش هذا لتبيع الثياب للحجاج وتكســب ما تشاء من المال ثم تغالت حتى عجز كثير عن الأثمان التي تطلبها قريش فأمروهم ان يطوفوا عراة ، ولم يزالوا كذلك حتى جاء الله بالاسلام فأنزل **(ثم أفيضوا من حيــث أفــاض الناس)** البقرة/ ١٩٩ وانزل **(يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشــا ولبــاس التقوى ذلك خير)** الاعراف / ٢٦

النشاط التجاري والثقافي .

كان لقريش رحلتان تجاريتــان احداهما الى الشام في زمن الصيف والاخرى الى اليمن في زمن الشتاء ، وكان اول من سن الرحلتين هاشم ابن عبد مناف ، وكانت عير قريش العائدة من الشام عند غزوة بدر قد بلغت الف بعير وبلغ المنقول عليها خمسين الف دينار ، وكانت المتاجر تغدو وتروح ذاهبة الى اليمن حاملة اليها بضائع الروم ومن اليمن تنفذ الى ما وراءها ، وكانت بضائع الفرس التي تؤخذ من اليمن تذهب الى الشام لتصل الى ما وراءها من الرومان ، وكان من النساء تاجرات لهن نشاط في ارسال القوافــل التجاريــة الى الشام ــ منهــن السيــدة خديجــة والحنظلة ام ابي جهل .

وكانت اشهر الحج عندهم اشهرا حرما يعقدون فيها اسواقهم التجارية بجانب البيت وداخل حدود الحرم ، والناس يهرعون الى هذه الاســواق يؤمونها من جهات الجزيرة البعيدة ليقضوا فيها حاجاتهــم ويتــزودوا لقومهم منهــا اســواق العطاريــن والفاكهة والرطب ــ وكان هناك مكان للحجامين والحلاقين ، وكانت رحيبة واسعة تباع فيها الحنطة والسمن والعسل والحبوب يحملها البعير من الخارج ــ وكانت اليمامة ريف مكة ، ولذلك فحين منع ثمامة بن اثال ، سيد بني حنيفة حمل الحنطة الى مكة بعد ما اسلم جهدت قريش وكتبوا الى رسول الله عليه الصلاة والســلام يسألونه ان يكتب الى ثمامة يخلي اليهم حمل الطعام فقبل ، وكان في مكة زقاق للحذائين وسوق للبزازين ، وكان تجار مكة يتجولون في بلاد كثيرة من افريقية واسيا ، وكانوا ينقلون من افريقية الصمغ والعاج والتبــر وخشب الابنوس ومن اليمن الجلود والبخور والثياب ومن العراق التوابل ومــن الهنــد الذهــب والقصديــر

والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والزعفران ، ومن مصر والشام الزيوت والغلال والاسلحة والحرير والخمور وكانوا يرسلون الى الامراء والملوك من بضائع مكة الجلود ، كما فعلت قريش حين بعثت الى النجاشي عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ليستردوا من هاجر من المسلمين الى الحبشة ولكنهم كانوا يحتقرون الصناعة ولم يباشرها الا الموالي وابناء العجم الا بعض صناعات كانوا مضطرين اليها .

وقد جعلوا من اشهر السنة اربعة اشهر يحرم فيها الصراع ، وفي اثناء هذه الأشهر تقام الاسواق حول مكة ، فتختلط التجارة وهي عملهم — بالحج الاكبر وهو عقيدتهم وبالشعر والخطابة وهو رمز قوميتهم ، فاذا جاء الموسم خرج الناس الى مواسمهم فيجتمعون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة ، فيقيمون عشرين ليلة تقام فيها اسواقهم بعكاظ ، والناس يبيعون ويشترون فاذا مضت العشرون ، انصرفوا الى مجنة فاقاموا بها عشرا واسواقهم قائمة فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثمان ليال اسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية الى عرفة آخر اسواقهم ، وبذلك يحضر اكبر عدد من المناطق النائية لكي يزودوهم بالشعر والاقتصاد ، وكانت تقام المسابقات الادبية حيث يتبارى الشعراء والخطباء في ذكر مفاخر قبائلهم ، وكان لهم حكام يحكمونهم في من هو اشعر الناس ، ومن هؤلاء الحكام النابغة الذبياني الذي حكم للخنساء في سوق عكاظ بقوله : لولا ان ابا بصير (يعني الاعشي) انشدني آنفا لقلت : انك اشعرمن بالسوق ، وهذا الحكم لم يعجب حسان الذي قال له : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك فقال له النابغة الذبياني : حيث تقول ماذا ؟ وجرى بينهما حوار طريف ذكرته كتب الأدب .

وكانت عامة مجالس اشرافهم امام البيت ينشدون فيها الشعر ويحضرها بعض كبار شعرائهم مثل لبيد بن ربيعة صاحب المعلقة المشهورة — وقد ذكر ان عبد المطلب بن هاشم كان يوضع له فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له .

وقد عززت قريش وضعها الاقتصادي برحلاتها التجارية وعززت وضعها القبلي بتشريعاتها الوثنية وارتباطها بالبيت الحرام — حتى اصبح كل من يتمرد على قريش فانما يتمرد على قدسية البيت ، وبذلك أصلت الوثنية الوضع القبلي واصبح هدم النظام القبلي يستدعي هدم النظام الوثني .

وكان من اهل قريش اغنياء مترفون منهم الوليد بن المغيرة وعبد العزي أبو لهب وأبو احيحة بن سعد ابن العاص الذي اسهم بثلاثين الف دينار في القافلة التي كان يقودها ابو سفيان وعبد الله بن جدعان الذي كان

يشرب في كأس من الذهب واشتهر باطعام المساكين والعباس بن عبد المطلب الذي كان ينفق امواله في الناس ويتعامل بالربا .. وكان منهم مترفون ، لهم مجالس سمر ولهم أرائك منصوبة وموائد ممدودة ونواد للشرب يلهون فيها ويسكرون وكان لهم منتزهات يقيمها المكيون في الاصائل من شهور القيظ وكان المتنعمون منهم يشتون بمكة ويصطافون بالطائف ، وقد اشتهر كثير من فتيانهم بالاناقة في الحياة والتجمل في اللباس ، وكانت كسوة بعضهم تقوم بمئات من الدراهم .. ومن الناحية المقابلة وجدت طبقة فقيرة تعرف بالصعاليك وقد اتخذت هذه الطبقة لنفسها مراكز في الخلاء الواسع ومنه تغير لتنهب حتى يمكنها أن تعيش .

وكانوا يتعاملون بالعملة الرومانية البيزنطية والعملة الايرانية الساسانية الدرهم والدينار وكانت الموازين والمكاييل منها الصاع والمد والرطل والاوقية والمثقال وكان عندهم علم بالحساب اعتمد عليه القرآن في ذكر السهام والفرائض .

وكان فيهم كتاب يعرفون القراءة والكتابة ـ ولكن الأمية كانت غالبة عليهم ولذلك يقول الله تعالى (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**) الجمعة / ٢

وكان أهل مكة مثلا في سلامة الذوق والظرف والاناقة ، وكانت اللغة هي الميزان وعليها الاعتماد في سائر اطراف الجزيرة ، وكانوا ابلغ العرب وكانوا شامة بين الناس يجمعون بين الفتوة والمروءة وكانوا يعنون بالأنساب وأخبارها ، ثم بالشعر ثم بالنجوم والانواء والعيافة وشيء من حلية الخيل والمعرفة الدقيقة بأعضائها وصفاتها .

الطب

كان عندهم بعض معلومات عن الطب من التجارب التي كانت عندهم والوصفات المتوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ، وكان الكي عندهم عماد معالجتهم في كل مرض معضل .. وقد اعتقدوا في الأرواح الشريرة وانها سبب الامراض ولا يشفي منها الا السحر والتمائم على يد الكهان والعرافين وزاجري الطير والسحرة والمشعوذين ، وقد زعموا ان بين طلوع الشمس وغروبها امراضا واوبئة وعاهات وكانوا ينسبون اليها التأثيرات من خير وشر ، وانه اذا فشا فيهم الموت والجرذان اخصب الناس وانه اذا اذن ديك في دار فشا فيها مرض الرجال ـ واذا اذنت دجاجة فشا مرض النساء (دكتور عبد المعطي قلعجي في مقدمة كتابه الطب النبوي لابن القيم الجوزية) .

وقد تعلم بعض العرب من الهنود والفرس بعض القواعد الطبية وعلموها في بلادهم ومن اشهرهم الحارث بن كلدة من الطائف تعلم الطب في مدينةجنديسا بور وتمرن هناك وحصل على معارف في الداء والدواء وكان الرسول عليه الصلاة

والسلام يوصي بالتطبيب عنده ومن حكمه « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » (ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة) الذي اسلم على يد الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة والشفاء بنت عبدالله التي أسلمت وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام .

الحرب

كانت قريش تؤثر السلم والهدوء في عامة الاحوال ، فهي تؤمن بالتعايش السلمي ما لم تتحد عقيدتها ولم تثر غيرتها القبلية او الدينية .

ومع ذلك فقد كانت قريش قوة حربية يحسب لها حساب ، وكانت شجاعتها مضرب المثل بالفروسية والغضبة المضرية معروفة في جزيرة العرب وآدابها وأمثالها .

وكانت تستخدم ايضا قوة الأحابيش وهم بطون من القبائل العربية الضاربة حول مكة من كنانة وخزيمة بن مدركة وكان لقريش عدد كبير من العبيد والموالي الذين كانوا يقاتلون في صفوفهم وكانت تستطيع ايضا ان توجه عدة الوف وفي غزوة الاحزاب جمعت عشرة الاف مقاتل وهي اكبر قوة حربية عرفها تاريخ الجزيرة العربية .

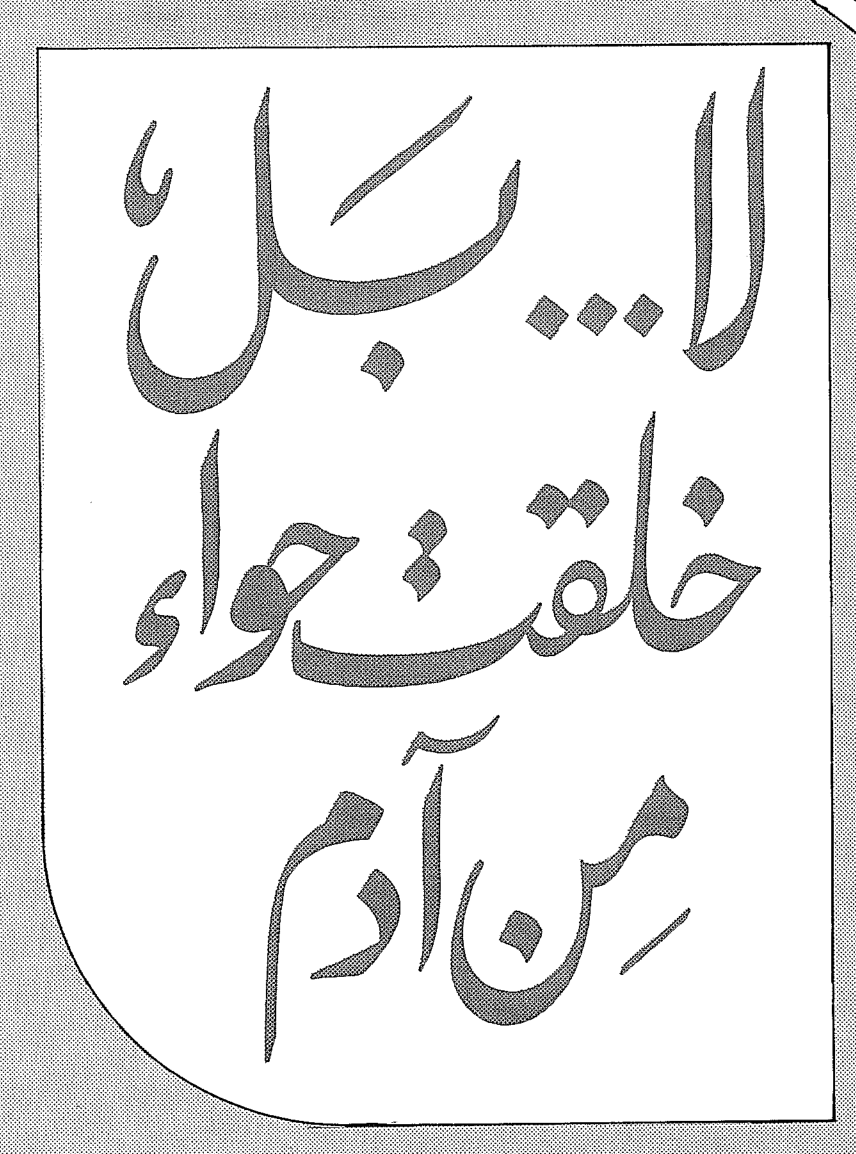
الاخلاق

فشا في مكة القمار والميسر وافتخروا به وفشت فيهم الخمر وانتشرت مجالس اللهو والقيان وحفلات العزف التي يكثر فيها الشراب كما فشت فيهم بعض الفواحش وقد وجد فيهم الظلم والقسوة وغمط الناس حقوقهم واكل اموال الناس بالباطل وقد قال جعفر ابن ابي طالب للنجاشي (ايها الملك كنا قوما في جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي بالفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل الضعيف منا القوي ..)

وكان فيهم قتل الأولاد خشية الاملاق او البنات خشية العار والسبي ، وكذلك كانوا يفعلون في النذر للالهة كما فعل عبد المطلب من نذر ذبح احد ولده ان رزقه الله بعشرة منهم يحمونه ويمنعونه .

خاتمة :

هذه هي مكة عند البعثة النبوية الشريفة في مختلف جوانبها ، وقد ارسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق فأعاد بناءها على اسس الاسلام وغير من مفاهيمها واخلاقها وعاداتها حتى تكون على اساس الايمان بالله وحده لا شريك له ، ومحا الوثنية واعاد الى الحج شعائره الاصيلة وجعلها تبدأ صفحة جديدة في حياة جديدة وقاد رجالاتها — بعد ان دخلوا الاسلام — لواء نشر الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية الى الدنيا كلها — حيث نعمت فترات طويلة بالأمن والعدالة والحرية والكرامة — هؤلاء هم الذين رباهم رسول الله عليه الصلاة والسلام تربية اسلامية كاملة .



للاستاذ محمد حسن عبدالعزيز

من المسلم به أن آدم هو الانسان الأول وقد خلقه الله من تراب ، وجعله خليفة في الأرض ، وهو النفس الواحدة التي خلق الله منها زوجها .
لكن للاستاذة « زينب عزام » مؤلفة كتاب (الروح وتطور الأنواع) رأي مخالف نقله عنها الدكتور مصطفى محمود في مقال له بمجلة « صباح الخير » بتاريخ ١٩٧٦/٩/٩ بعنوان « هل كانت حواء أما لآدم » يقول : إن آدم لم يأت من تراب مباشرة ، وإنما جاء من حواء بالنفخ ، كما جاء عيسى ابن مريم ، نقله معلقا بأن ليس لديه من العلم بالأسرار ما يؤهله للفصل في هذه القضية ، بل ولا يظن أن أحدا يملك القول الفصل فيه ، وغاية الأمر عنده أن السيدة المؤلفة قد اجتهدت اجتهادا جديرا بالنظر .
ومع أن الرأي الجديد قد استند الى بعض آيات القرآن ، ولكن استنبط بطريق الخطأ النتائج التي توصل إليها ، فيقول : إن النفس الواحدة التي وردت في الآية الكريمة **(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا)** الأعراف / ١٨٩ ، هي حواء وإن الزوج هو آدم ، قياسا على آية أخرى في القرآن تقول : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)** آل عمران ٥٩ .

وإذا حاولنا أن نستعرض الآيات القرآنية التي وردت في هذا المعنى وجدناها **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم / ٢١
(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) النساء / ١ .
(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) الزمر ٦

فاننا نلاحظ أن « ثم » في الآية الأخيرة حرف عطف ، يقتضي تأخر ما بعده عما قبله بالذات ، أو بالمرتبة ، أو بالوضع و« جعل » في الآية الأولى بمعنى خلق ، وبمعنى إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ، وبمعنى فعل ، والجعل أعم من الفعل مثل **(جاعل الملائكة رسلا)** فاطر / ١ و**(وجعل الظلمات والنور)** الأنعام / ١ والخلق في الآيات الثلاثة بمعنى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، مثل « خلق السموات والارض » أي ابدعها على غير نسق سابق .
كذلك نجد أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة « زوج » في الأعداد على مجموع الاثنين كما تطلق على الواحد منهما باعتباره مكملا لصاحبه زوجا ، فلم يعد فردا واحدا ، وعلى

القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات وغيرها وعلى كل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا ، فلفظ زوجة في لغة العرب لغة رديئة جمعها زوجات أما زوج فجمعه « ازواج » وقد ورد اللفظ في القرآن على أربعة عشر وجها :

١ ـ (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**) البقرة ٣٥ . بمعنى حواء .(**فقلنا يا أدم ان هذا عدو لك ولزوجك**) طه ١١٧ . (**وخلق منها زوجها**) النساء ١ .

٢ ـ (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها**) يس ٣٦ بمعنى اصناف الموجودات .

٣ ـ (**ثمانية أزواج من الضأن**) الانعام ١٤٣ بمعنى الحيوانات المأكولات . (**وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج**) الزمر ٦ .

٤ ـ (**قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين**) هود ٤٠ بمعنى أجناس الحيوانات

٥ ـ (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) الذاريات ٤٩ بمعنى كل ما له زوج .

٦ ـ (**من كل زوج بهيج**) ق ٧ بمعنى الاشجار والنباتات

٧ ـ (**أويزوجهم ذكرانا واناثا**) الشورى ٥٠ بمعنى البنين والبنات

٨ ـ (**جعل لكم من أنفسكم أزواجا**) النحل ٧٢ بمعنى المنكوحات والمحللات .

٩ ـ (**ولهم فيها أزواج مطهرة**) البقرة ٢٥ بمعنى الحوراء والعيناء من حرائر الجنات .

١٠ ـ (**ويذرون أزواجا**) البقرة ٢٣٤ بمعنى المخلفات في عدة الوفاة .

١١ ـ (**حتى تنكح زوجا غيره**) البقرة ٢٣٠ بمعنى المحلل في حق المطلقات .

١٢ ـ (**فيهما من كل فاكهة زوجان**) الرحمن ٥٢ بمعنى الفواكه والثمرات

١٣ ـ (**وإذا النفوس زوجت**) التكوير ٧ بمعنى اقتران الروح بالجسد .

١٤ ـ (**وأزواجه امهاتهم**) الاحزاب ٦ . (**زوجناكها**) الاحزاب ٣٧ بمعنى مخدرات بيت النبوة .

وهكذا نجد ان كلمة زوج في القرآن في قصة الخلق تعني حواء ، والنفس الواحدة آدم وأن التفسير الذي جاء في الكتاب حول الآية الكريمة (**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا**) الأعراف / ١٨٩ . بأن حواء هي

النفس الواحدة ، وأن الرجل هو الذي يتغشى المرأة فتحمل ، فيه تحميل للنص فوق ما يحتمل وألفاظ القرآن لا تحمل على المجاز إلا اذا تعذرت الحقيقة ، لكن الحقيقة واضحة بلا لبس ولا إبهام فالنفس الواحدة خلق الله منها زوجها ، من نفس جنسها ليأنس اليها ، وآدم حينما مس زوجته حملت منه حملا خفيفا لا يمنعها عن الحركة ، فلما ثقل عليها الحمل في نهاية مدته دعت الله هي وزوجها لئن منحتنا ولدا صالحا لنكونن من الشاكرين .

ويلاحظ ايضا ان القرآن كله قد خلا تماما من ذكر اسم حواء ، كما يلاحظ أيضا ان ذكر آدم ورد في القرآن كله متقدما على زوجه ، وهو لا يقدم ولا يؤخر الا لحكمة ، كما هو الحال في تقديم المرأة في آية الزنا ، وتقديم الرجل في آية السرقة ، وفي هذا دليل قاطع على أن آدم خلق أولا ، ومنه خلقت حواء .

وإذا عدنا الى قصة الخلق من واقع القرآن الكريم والنصوص المقدسة ، نجد ان القرآن الكريم قد عرض القصة في اكثر من ست وستين آية ، من خلال سبع سور تتلخص في ايجاز شديد في أن الله تعالى أبلغ ملائكته أنه سيخلق من الطين خليفة في الأرض ، فاذا سوى ونفخ فيه من روح الله ، عليهم أن يسجدوا له ، وكان الملائكة على علم مسبق أن آدم سيستخلف في الأرض ، وأنه سيكون منه فساد وسفك دماء بحكم طبيعته التي تجمع بين الخير والشر ، فبين الله لهم ان الأمر فوق تقديرهم فعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . وهنا عرفوا حقيقة المخلوق الجديد ، واطمأنوا الى صنع الله ، وأن المسألة أبعد من أن تقاس بمادة الخلق أو بالعبادات فلآدم صلاحيات أهلته لخلافة رب العالمين ، وسجد الملائكة اجمعون سجود تكريم إلا ابليس ابى فسوقا واستكبارا أن يكون بين الساجدين ، وهنا ظهر للانسان حاقدون وللعلم خصوم .

ومعنى انتصار آدم على الملائكة يأتي في إطار القاعدة والمبدأ العام المقرر في القرآن الكريم (**ولقد كرمنا بني آدم**) الاسراء / ٧٠ وذلك لاستعداده العقلي والنفسي والروحاني للتلقي والتعلم والتطور والتقدم ، وأنه بحكم تركيبه المعرض للخطأ والصواب محل الابتلاء ليعلم الله المجاهدين والصابرين ، وبالابتلاء تتقدم الحياة ، ويتنقل الانسان من الضعف الى القوة ، ومن الكفر إلى الايمان ومن الجهل الى العلم .

كما أن هناك دعامة هامة تنبع من قاعدة الابتلاء وهي العفو بعد التوبة ، فقد شاء الله تعالى ان يهيىء لأدم مناخ الاستخلاف ليؤدي وظيفته التي خلق من أجلها ، وخلق له حواء من ضلعه لتكون له سكنا وأنيسا في الجنة ، وضمن له فيها (**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**) طه ١١٨ و ١١٩ ثم نهاه نهيا قاطعا أن يأكل من شجرة معينة ، وكان وقتئذ من طبيعة

تؤذن بالخلود ، وأراد إبليس أن يثأر لهزيمته الأولى فوسوس لهما ، وهنا دار صراع بين صريح الأمر الالهي بالنهي ، وبين طموح الانسان الذي يحـــاول أن يقفـــز وراء حدوده وامكانياته **(ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهمـــا اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغـــرور)** الاعـــراف ٢٠ـ ٢٢ ، فالصراع كان طلبا للخلود ، أو أن يكونا ملكين ، حتى اقنعهما بالأكل مما نهيا عنه فبدت سوآتهما جزاء وعقابا ، وأصبحا عرضـــة للفنـــاء والجهل والشقاء ، وطردا من الجنة ومعهما الشيطان ، وعتب عليهمـــا ربهما ، ومن قبل حذرهما **(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنـــة فتشقـــى)** طه / ١١٧ عرف آدم ذنبه فنـــدم وتاب ، وتقبل الله توبتـــه واجتبـــاه **(وعصي آدم ربـــه فغـــوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** طه ١٢١ ـ ١٢٢ .

وهكذا ربط الله بين آدم وحواء في زوجية مقدسة ، وارتبـــاط موثـــق ، لتقوم الحياة بين الحليلين في امتزاج روحي ، وائتناس واجتماع ومجانسة في الميول ، وحياة تقوم على السكينة والهدوء والاطمئنان وتأتلف بالرحمة والمودة .

ويلاحظ في قصة الخلق ان القرآن قد جعل وزر الخروج كله على آدم ، ولم يخص حواء بأدنى نصيب ، لأن آدم خالف إرادة ربه ، وهـــو في تمـــام الاستقلال الذاتي ، وهذا سر فضله وهناك من يحاول تصوير حواء بأنها أداة الشيطان ، ووسيلة الغوايـــة ، وهو مخالف تمامـــا لصريـــح نص القرآن ، وتلك النقطة محل الخلاف الوحيد بين القرآن وسفر التكوين في الكتاب المقدس . فقـــد خلـــق آدم مستعدا للخير بطبعه ، والشر طارىء عليه ، يأتيه من خارج نفسه ، وقد سقط في الغوايـــة لأنـــه لم يقـــاوم الشيطان ، ومن هنا كان مأمـــورا وذريته بالتحصن ضد وسوسة ذلك اللعين .

وبانزال آدم إلى الأرض وزوجه ، بدأ تنفيذ تكليف الأمانة التي حملهـــا الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا .

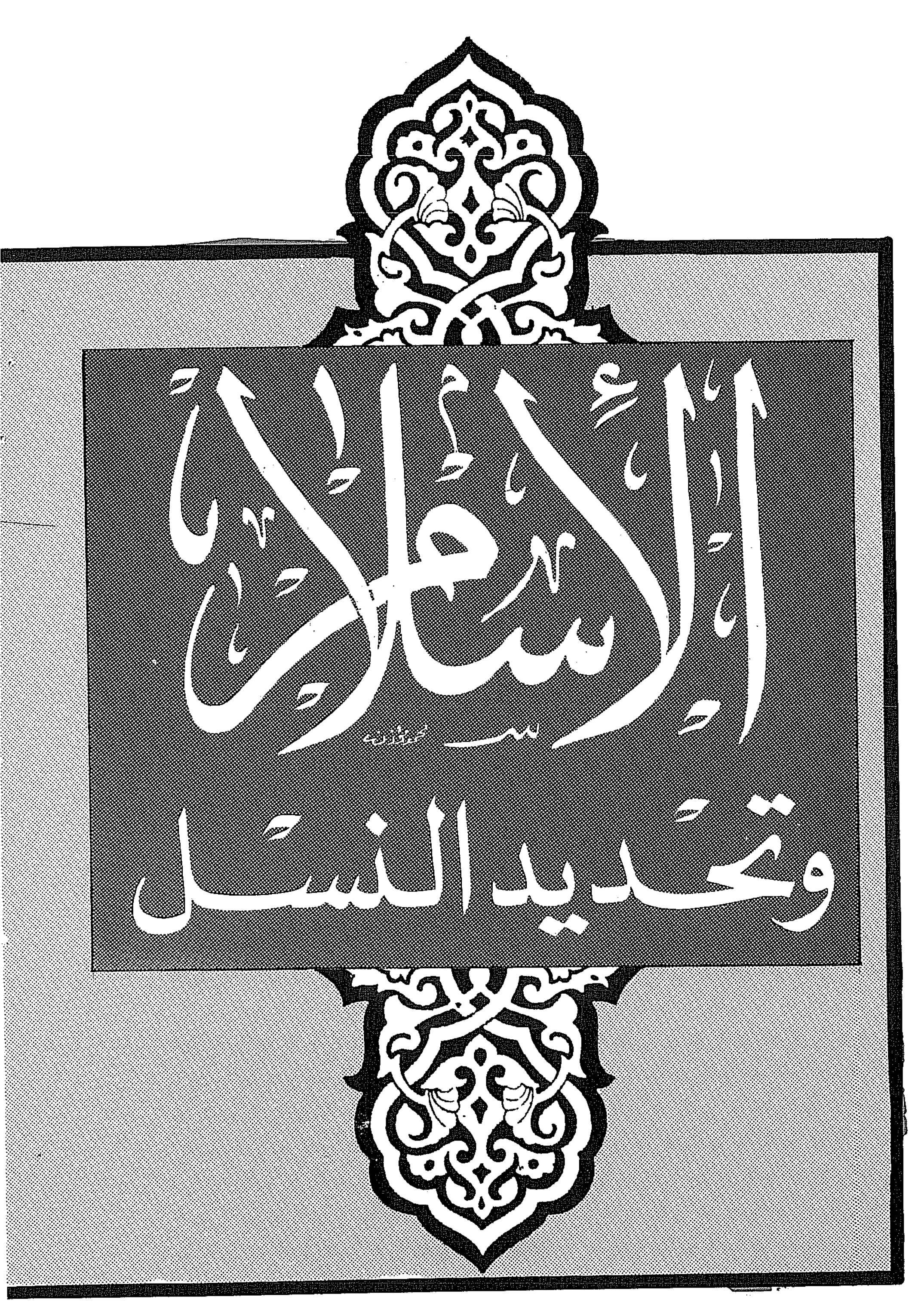
ومن هنا يتبين أن آدم هو الانسان الأول صاحب التكليف وحواء زوجة خلقت من أحد اضلاعه ، ومنهما معا يستمر سليل التراب لعمار الكون ، وعبادة الله .

ونعود إلى مقال الدكتور مصطفـــى محمود الذي يقول في تفسير الآية **(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبـــوت / ٢٠ ان المعنى المقصود ان الانسان لم يأت من طين مباشرة ، بل مر بمراحـــل وأزمنة مديدة ، وخطوات وتفاصيل كثيرة محجوبة ولو أن الانسان جاء من طين لما بقي هناك شيء يعرف في مسألة الخلق ، ومن هنا يكون الأمر لمعرفة كيفية بدء الخليقة له ما يبرره .

ولو حاولنا قراءة الآيـــة السابقـــة مباشرة لوجدناها تقـــول : **(او لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم**

يعيده إن ذلك على الله يسـير) العنكبوت / ١٩ . والمعنى ان طبيعة كل شيء تبدأ من العدم ، ثم تحيا ، ثم تفنى ، وهكذا الانسان ، وأن الله الذي خلق في البداية هو القادر على الاعادة ، وليس في الآيتين اشارة من قريب أو بعيد الى البحث عن المراحل الزمنية التي سبقت مرحلة الطين ، والقرآن قد أغنانا عن هذا السؤال مؤكدا اكثر من مرة ان الانسان خلق من طين ، وان نسله جعل من سلالة من ماء مهين ، ثم سوى ونفخ فيه من روح الله ، فلا مراحل زمنيـة ولا تفاصيل محجوبة ، وانما امر الله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . والاستناد الى الآية الكريمة : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** آل عمران / ٥٩ ومحاولة تفسيرها بأن عيسى لم يأت من طين مباشرة ، وانما جاء من مريم بطريق النفخ ، وإن كان الأصل طينا وصولا الى أن آدم هو الآخر جاء من سلالة سابقة ، وأنه عن طريق النفخ ، وأن الروح المنفوخ في حواء وهي الطينة المسواة عبـر ألوف السنين ، والتي أدت الى نقلة التطور الهائلة من المرتبة الحيوانية الى المرتبة الانسانية والى مجيء آدم الابن الذي لا أب له . هذا الاستناد وهذا التفسير فيه تحميل للألفاظ فوق ما تحتمل فضلا عما فيه من نقص واضح في معرفة أسباب النزول ، فقد نزلت الآية في نصارى نجران الذين ادعوا الوهية المسيح بسؤالهم النبي عليه الصلاة والسلام عن أبيه فنزلت الآية والمتعمق في قراءتها يلاحظ انها عدلت عن ذكر الطين في خلق آدم بذكر التراب والطين مجموع التراب والماء ، والتراب ادنى العنصرين ، واكثفهما حيث كان المقصود مقابلة من ادعى الالوهية للمسيح بما يصغر امر خلقه فخلق آدم كان أكثر اعجازا من خلق المسيح ، عيسى جاء من امرأة بغير أب بنفخ الروح بقدرة الله وآدم خلقه الله من تراب بغير أب ولا أم ، وهو أمر اغرب واعجز ومن أحد اضلعه خلق زوجه من جنسه .

الاجتهاد مطلوب ، ولكن فيما لم يرد بشأنه نص صريح في القرآن أو في السنـة ، فلا اجتهـاد مع صريـح النص ، والانسان مطالب باعمـال فكره ، فما اكثر ما علم وما اكثر ما يجهل والخطأ كل الخطأ في محاولة التوفيق بين الكيفيات التي يفهمها العلم والكيفيات التي يقرها العقل لفهم المسائل الكونية في بداءتها الاولى ونهايتها الأخيرة ، فاليوم اذا نسب إلى الله أو إلى عمر الكون لن يفهم على أنه اليوم من عمر الانسان قبل ان يوجد ، وقبل أن توجد الأرض ، ولا يملك أحد أن يفسر خلق السلالـة الآدمية من الطين على نحو واحد يمنع ما عداه ، وكل ما يجوز هو وجوب الايمان بأن الله تعالى سوى الطين وبث فيه روح الحياة ، وصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم ، أما كيفية التسوية والنفخ وخلق السلالة والزمن ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل على أي وجه من الوجوه مهما كانت النية الباعثة عليه .


الإسلام
وتحديد النسل

للاستاذ ابراهيم النعمة

كان كثير من الفقهاء الاوائل وما زال المعاصرون منهم ينظرون الى مسألة تحديد النسل أو تنظيمه نظرة خاصة ، حيث يعتقدونها مسألة اجتهادية ، إذ لا يجد الفقيه من نصوص الشريعة نصا قطعي الثبوت والدلالة يجعل الأمر غير قابل للاجتهاد . لذلك اختلفت وجهات نظرهم وتعددت أقوالهم وتباين استنباطهم في مسألة تحديد النسل وكل منهم حريص على الوصول الى الحق ومرضات الله وخدمة الأمة .

ويستطيع الباحث ان يجد في بطون الكتب الفقهية مادة غزيرة واسعة حول هذه المسألة ، فقد أبدع الفقهاء أيما ابداع وهم يقررون آراءهم فيها واستنباطاتهم حولها .. والمتأمل في كتاب الله عز وجل يدرك من سياق الآيات التي يقترن فيها ذكر الزواج بالنسل صراحة او كناية أن النسل مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية حرصت على المحافظة عليه وأولته اهتماما كبيرا لأنه من أهداف الزوجية ، أضف إلى ذلك ما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى قال الله تعالى :

(وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) الفرقان / ٥٤ .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. النساء / ١ .

(وابتغوا ما كتب الله لكم) البقرة / ١٨٧ . وذكر بعض العلماء في تفسيرها أن المقصود من الزواج هو طلب الذرية التي كتبها الله لا اللذة المعهودة .

ومما يؤكد هذه المعاني أيضا ويدعو لكثرة النسل قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ **(تزوجوا الودود الولود فانى مكاثربكم الانبياء يوم القيامة)** رواه احمد وقوله : (سوداء ولود خير من حسناء عقيم) رواه احمد والطبراني .

ولا بد للباحث في مسألة تحديد النسل أو تنظيمه أن يحيط علما بالأحاديث الواردة في موضوع العزل المجيزة منها والمانعة إذ انها من اهم أسباب الاختلاف في أمر تحديد النسل قديما وحديثا .

من أدلة المانعين للعزل حديث جذامة بنت وهب قالت : حضرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أناس

وهو يقول : لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون اولادهم فلا يضر ذلك اولادهم شيئا ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله (ذلك الوأد الخفي) رواه مسلم ويشير الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا إلى قوله تعالى (**واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت**) التكوير / ٨، ٩ .

وعن أسامة بن زيد (أن رجلا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إني أعزل عن امرأتي فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تفعل ذلك ؟ فقال له الرجل : أشفق على ولدها أو أولادها : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو كان ضارا ضر فارس والروم) رواه مسلم وفي الصحيحين : (خرجنا مع رسول الله في غزوة بني المصطلق واحببنا العزل وسألنا عن ذلك رسول الله فقال : (ما عليكم أن تفعلوا فان الله عز وجل كتب ما هو خالق الى يوم القيامة) . وفي رواية البخاري : (لا عليكم ان لا تفعلوا) . وفسر العلماء هذا على انه حث على عدم العزل حتى قال الحسن بأن قوله (لا عليكم ان لا تفعلوا) تشبه الزجر . وقال ابن سيرين : هذا خبر الى النهى اقرب .

وهناك أحاديث أخرى في هذه المعاني لا يتسع المجال لذكرها .

على أن الذين يقولون بجواز العزل لهم من ظاهر بعض احاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يتمسكون بها ويتخذونها دليلا في جواز العزل منها ما جاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال (كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل) رواه البخاري وفي صحيح مسلم : (فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا) . وأول ما يتبادر الى الذهن من هذا الحديث ان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم ينه عن العزل بل أقره ولو كان حراما لنهى عنه .

وعن جابر(أن رجلا أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جارية هي خادمتنا في النخل وانا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال : اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها) رواه مسلم فقد كان السائل يطلب من الرسول الحكم في امر العزل فجاءه النص صريحا في اباحة العزل .

وعن ابي سعيد الخدري قال : قالت اليهود : العزل الموءودة الصغرى ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كذبت يهود ان الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع احد ان يصرفه) رواه احمد وابو داود .

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال : (نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يعزل عن الحرة الا باذنها) رواه احمد وابن ماجة .

ومن أدلة المجيزين لتحديد النسل كذلك قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء) رواه الحاكم وقوله : (توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الاكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا

بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..) رواه ابو داود .
على ان استقراءنا لهذه الاحاديث وغيرها يهدينا الى ان الذين نقل عنهم اباحة الرسول العزل لهم انما هم أفراد قلائل ، ولربما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على معرفة بظروفهم ، أو هم الذين عرفوا الرسول بأحوالهم فأفتاهم باباحة العزل ، في الوقت الذي لم يبح العزل لسائلين آخرين ، إذ لم يجد لعزلهم مبررا ، فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ينظر إلى أحوال السائل ثم يفتيه ، مثال ذلك ان شابا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسأله عن القبلة في الصيام فنهاه عنها . ثم سأله شيخ فرخص له حيث كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينظر الى المصالح التي لا تتعارض وشرع الله ثم يجتهد في اجابة السائل عن سؤاله بما يتبين ويترجح له من علة فارقة ، وهكذا جوابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتحريم أو الكراهة او الاباحة .. يقول ولي الله الدهلوي وهو يتحدث عن العزل .
(ان المصالح متعارضة ، فالمصلحة الخاصة بنفسه في السبى مثلا ان يعزل ، والمصلحة النوعية الا يعزل ، ليتحقق كثرة الاولاد وقيام النسل ، والنظر الى المصلحة النوعية أرجح من النظر الى المصلحة الشخصية في عامة احكام الله تعالى التشريعية والتكوينية) .
على أن حديث جذامة القاضي بالتحريم يجوز أن يكون الناسخ لجميع الاباحات المتقدمة ، ويقرر ابن حزم ان هذا امر متيقن فهو لذلك لا يحل العزل عن حرة ولا عن امة .. كما يجوز ان تحمل أحاديث الجواز على الاباحة الاصلية ..
فاذا كانت هذه الأحاديث محتملة لكل هذه الاحتمالات وغيرها فقد بطل استدلال من يستدل بها على جواز العزل لأن الحديث إذا طرقه الاحتمال بطل الاستدلال به .
واذا كان العزل من غير مبرر معقول غير جائز فان تحديد النسل من غير ضرورة غير جائز من باب أولى ، على اننا اذا قلنا ـ كما قال كثير من العلماء ـ بجواز العزل فان تحديد النسل باستعمال الادويةوالعقاقير المستعملة الان في جميع أرجاء العالم غير جائز ، ومن قاس تحديد النسل على العزل فقد أخطأ إذ هو قياس مع الفارق ، كما نستطيع القول بتحريم تحديد النسل أو تنظيمه إذا أخذنا بقاعدة سد الذرائع .
وأشير هنا الى ان النظر الفقهي الدقيق كثيرا ما يرجح بواسطة رأي الطب الحديث والتجارب الصحيحة في المسألة فما هو رأي الطب في تحديد النسل ؟

تحديد النسل والطب :

قرر الطب الحديث ان ضررا كبيرا وخطورة فادحة مترتبة على استعمال العقاقير والادوية المانعة للحمل بصحة المرأة ويكاد يجمع أطباء العالم على أنه لا توجد وسيلة من وسائل منع

الحمل الا ويترتب على استعمالهـا أضرار كبيرة بصحة المرأة عامة وعلى جهازها العصبي خاصـة ، يقـول الدكتور (كلير فولسوم) (ليسـت عندنا حتى اليوم أية وسيلة معلومة سهلة او رخيصة غير ضارة يمكن استخدامها لتحديد النسل) .
ويقول الدكتور (رينيل ديـوكس) (فالمرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع حملها ، فهي لا تتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب ، بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان) وتقول الدكتورة (ميري شارليـب) (ان وسائـل تحديـد النسل ـ سواء اكانت هي اللولبيات المعدنية أو الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ـ وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهـري ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان ، فلا بد أن يصيبها الانهيار العصبي قبل ان تبلغ سن اليأس ومن النتائـج الملازمـة لاستخـدام هذه الوسائل التبرم والتذمر والقلق والنزق والأرق وتوتر الاعصاب وتشـويش الفكر وهجوم الأحزان وضعف القلب ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية) .
وشهادات أطباء العالـم في تأثيـر الحبوب والعقاقير المانعة للحمل على صحة المرأة اكثر من ان تحصى ، وقد سقنا هذه الشهـادات على سبيـل التمثيل فقط .
واذا تركنا رأي الطب جانبا فان نظرة في كتاب الله الحكيم تهدينا الى حرمة تحديد النسل وتلك في قوله تعالى (**ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحـن نرزقكم واياهم**) الانعـام / ١٥١ وقوله تعالى (**ولا تقتلوا اولادكم خشيـة إمـلاق نحـن نرزقهـم وايـاكم**) الاسراء/ ٣١ واذا كان القرآن الحكيم قد نعى على الجاهلية فعلتها الشنعاء هذه ، فمـا الـذي يستعمل الحبوب والعقاقـير لقتـل الضيف المنتظر ـ ولو قبل تكوينه ـ بأحسن حالا من الجاهلية التي نعى القرآن على اهلها قتل أولادهم إذ قتل الولد قبل الخلق كقتله بعد خروجه الى نور الحياة ..
وإذا كان كثير من الفقهاء قد ذهب الى جواز تنظيم النسل بشروطه المحددة ، فان هؤلاء الفقهاء لم يلزموا أحدا بآرائهم لا في عصرهم ولا بعدهم .

ضوابط معقولة لتحديد النسل :

ولكن شريعة الله شريعة سمحاء ، فهي لم تغلق جميع الابواب بوجه تحديد النسل إنما فتحته بقدر الضرورة ، والضرورات تقدر بقدرهـا ، فمـن المبررات المقبولة لتحديد النسل :
١ ـ الخشية على الأم من الحمل أو الوضـع إذا كانـت المرأة عسرة الولادة ، أو كان الحمل يلحق بها أضرارا تعرضها للموت .
٢ ـ إذا كان بالاب او الأم مرض سار خطير يعرض المولود لآلام كبيرة طوال حياته ، او يجيىء المولود مشوها .



للأستاذ / محمد الدراجيلي

أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجا الى آماله وتعلقا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الأنعام/ ١٢٤ ، وهو صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : **(فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)** ، رأى الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : **(قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)** الأعراف / ٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم

يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد ــ محمد ــ أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار الموضوعية ، والموازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة

الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

ـ ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر ـ بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكرم المنح ، وأسمى الهبات .

ـ ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر الله .

ـ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلميـــة ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمـل عطاءهـا وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفـــل المؤسســـات العلميـــة والتعليمية ، وقد أخرجـت للعالـم برامج علميـــة ومؤلفـــات اسلاميـــة تستهدي في خططهـا بهـدي اللــه وتستوحي ضمير الأمة الاسلاميـــة الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهييء لأبناء هذا الدين التمكين في الأرض ، ويعينهـم على ضرب الالحاد والزيف في حصونــه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخـذ في اعتبارها ارتيـــاد الآخريـــن لأسرار الحيـــاة ، واكتشـــاف المجاهيـــل واستحـــداث النظريـــات العلميـــة الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ـ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليــه الاحساس ـ أبدا ـ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصـــدة المال . لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكان يفاخـــر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ـ وأمثال مصعب بن عمير .

ـ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخـــر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقـد هذه المواقع وتلك المواقـف في تاريخنـا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحـوث الأكاديميـــة ، وأخذهـم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون اللــه وحولــه من سيستـــرد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن الأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :(**ويومئـذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيـم**) الروم/ ٤و٥

ـ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .



للدكتور / احمد الشرباصي

انعقد إجماع العقلاء البصراء من الناس على أن شخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخص في الدنيا بتاريخها القديم وتاريخها الحديث ، وهو إذا أردنا تشبيهه كالبسمة المضيئة المشرقة في ثغر الدنيا : شرقها وغربها ، وحينما نرجع في شأن هذا النبي العظيم الى حديث القرآن المجيد ، أصدق الحديث ، نجده يرسم لنا شخصية الرسول الأمين في معرضين أساسيين واضحين ، والمعرض الأول هو معرض التوقير والتكريم ، لأنه أهل لكل تعظيم ، والمعرض الثاني هو معرض التأديب والتكليف ، فتارة ينوه القرآن بالرسول ويمجده حتى يرفعه إلى أعلى عليين ، وتارة يمحص معدنه الكريم تمحيص النار للذهب الابريز .

وكأن الغرض من المعرض الأول هو الايحاء بأن محمدا أهل للنبوة والرسالة ، والهداية والامامة (**الله اعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام / ١٢٤ . والغرض من المعرض الثاني هو بيان أن العظمة لله وحده ، وأن الكبرياء شأنه وحده ، ومن نازع ربه ثوب الكبرياء قصمه الله ولا يبالي ، ولذلك يقول الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما ، قصمته ولا أبالي » . وبيان أن شرعة الثواب والعقاب ، وأسلوب الحساب والجزاء ، لا يتخلص منه أحد ، ولا يستعلى عليه انسان .

ومن هنا يتنوع حديث القرآن عن الرسول إلى أنواع نلحظ منها خمسة وهي : عنصر التكريم والتشريف ، وعنصر التكليف ، وعنصر الجمع بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية ، وعدم القدرة أمام قدرة

الله ، وعنصر العتاب والمراجعة .

ولنستعرض طائفة من الآيات التي تنطق بالتكريم ، وتفيض بالتشريف .

فالله تعالى يقول لنبيه : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) القلم / ٤ ، ويقول في سورة التوبة آية /١٢٨ : (**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**) ويقول في سورة الانبياء /١٠٧ (**وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين**) ، ويقول في سورة الأحزاب /٤٥ ، ٤٦ (**ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**) ، ويقول في السورة نفسها : (**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**) الأحزاب /٦ .

بل يتابع القرآن حديث التشريف والتكريم ، فيجعل طاعة النبي من طاعة الله ، فيقول تعالى في سورة النساء /٨٠ : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**) ، ويقول في السورة نفسها : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء /٦٥

ويجعل مبايعة الرسول كمبايعة الله فيقول في سورة الفتح /١٠ (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما**)

ولا ينقضي إعجاب الانسان بهذه المكانة العلية التي رفعه إليها القرآن ، فهو صاحب الخلق العظيم ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، وهو رحمة الله للعالمين ، وهو السراج المنير ، وطاعته من طاعة الله ، وحكمه من حكم الله ، ومبايعته مبايعة لله ، وليس وراء ذلك تكريم أو تشريف .

***

وقد يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن هذا التكريم الواسع لا ضابط له ، ولا مقابل أمامه ، فتذهب الظنون السيئة مذاهبها ، ولو تعقل الانسان وتدبر ، لوجد أمام هذا التشريف ألوانا من التبعات والتكليف تنوء بحملها الجبال ، فاذا كان القرآن قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من مراتب عالية ، ومنازل شريفة فاضت بآيات التكريم والتمجيد ، فان الله جل جلاله قد حمل نبيه في مقابل هذا اوامر وواجبات وتبعات هي كفاء لهذه المراتب والمنازل ، ولنستعرض طائفة من هذه الأوامر الالهية ، والتكليفات المتوالية التي كلف بها الله خاتم أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى في سورة الأحقاف مخاطبا نبيه :(**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**). ويقول في سورة الكهف / ٢٨ (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم**

بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) ، ويقول في سورة يوسف /١٠٨ (**قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)** ، ويقول في سورة الشورى /١٥ : (**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)** ويقول الله عز وجل في سورة هود /١١٢ : (**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)** ويقول لنبيه في سورة الحجر : ٩٤ : (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)** ، ويقول في سورة الشعراء : (**وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)** الشعراء /٢١٤ ، ٢١٥

فها نحن أولاء نرى أن الله تبارك وتعالى قد صنع نبيه على عينه ، وجعله خيرة خلقه ، واختاره لأكرم رسالة وأعظم دعوة ، وكان هذا المقام يحتاج إلى التأييد والتمجيد ، والتكريم ، والتعظيم ، لأن العظائم كفؤها العظماء ، فكان اختيارا لرجل مناسب في مكان مناسب كما يقول أهل عصرنا ، فأعطاه ما أعطاه من الخصائص والميزات ، وحصنه بما حصنه به من قوى وطاقات ، ثم طالبه أمام هذا بما طالبه به من تبعات .

وقد بدأت سلسلة التكليف الالهي منذ طليعة الاختيار لهذا الداعي وهذه الدعوة ، ولذلك نجد في طلائع الوحي الالهي يأتي هذا النداء اللائق بالمثل الاعلى والنموذج الكامل للانسان في طهارته الحسية والمعنوية : (**يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) المدثر / ١ ـ ٧** وما هو إلا مدى قصير يمر بعد هذا التنزيل حتى يفاجأ الرسول بتنزيل مجيد آخر ، كله أوامر وواجبات ثقيلة تحتاج إلى جهد الأبطال ، فيقول له القرآن : (**يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا)** المزمل / ١ ـ ٨ .

***

ثم يأتي عنصر الجمع بين التأديب والتعظيم ، أو بين التكليف والامتنان ، ليتحقق التوازن العميق الدقيق بين ما ساقه الله إلى نبيه من فضل وتشريف ، وما طالبه به من واجب وتكليف ، ونحن نرى في القرآن الكريم مواطن يجتمع فيها هذان الامران ، فنرى آيات مكرمة معظمة ، ومعها آيات تفرض

وتوجب : ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم سورة الضحى ، فقد تضمنت هذه السورة على إيجازها آيات صدقت وتصدرت ، وفيها ما فيها من تبيان لعلو الشأن وسمو الشأو لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فذلك في الآيات الأولى من السورة وهي تقول : (**والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى**) **الضحى / ١ ــ ٥ .**

وعقب هذه الآيات يأتي تذكير من الله تعالى لنبيه بما سيق اليه من هبات وعطايا في الماضي ، فذلك حيث يقول النص الكريم : (**ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى**) الضحى / ٦ ــ ٨ ويأتي عقب ذلك الآيات الآمرة الموجهة المكلفة ، فتقول : (**فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث**) الضحى / ٩ ــ ١١ .

وهذه السورة التي جمعت بين مقام التشريف ومقام التكليف سورة وجيزة قصيرة ، وكأن الله تبارك وتعالى قد أراد من هذا الجمع بين التكليف والتشريف أن يظل الانسان في مجالات حياته وشعاب مسيرته على بصيرة من أمره ، وبصر بالميزان المتعادل الكفتين بين ماله وما عليه ، أو بين حقوقه وواجباته ، فكلما سعى الانسان ، وتعب في سعيه ، وأحس بقطرات العرق تسيل من جبينه ، تذكر أن هذا وفاء بما أمره الله به ودعاه اليه ، وأن هذا التعب المرهق له عاقبة مرضية ، وثمرة مرتقبة ، فيهون هذا التذكر عليه ما يشعر به من تعب ، أو يعانيه من نصب ، وحينما ينتقل الانسان إلى التمتع بثمرات سعيه ، ورآها ثمرات يانعة ، وخيرات ممتعة ، تذكر أنه مطالب بالجمع بينها وبين واجبه ، فلا يغتر بهذه الخيرات ، ولا يركن إلى هذه الثمرات ، بل يستبقي في نفسه العزم والعزيمة ، ليعود من جديد إلى السعي والعمل ، والنهوض بالتبعات والواجبات التي يؤهله أداؤها والقيام بها لكي تعاوده هذه الثمرات والخيرات ، وهكذا دواليك تسير مراحل الحياة ، وقد اجتمع فيها صفة التكريم لمن عمل وسعى ، وصفة العطاء والمنح لمن استحق ذلك ، وسار على الدرب بلا انقطاع .

وانما يأخذ الانسان العاقل هذا الدرس النافع من تصوير القرآن المعجز لعناصر الشخصية المحمدية التي جلاها لنا بأجلى منطق وأروع بيان .

***

ويأتي بعد ذلك التذكير الالهي للرسول الأكرم بعدم سلطته امام سلطة الله عز وجل ، فالرسول هو خير الناس ، وهو قائد المؤمنين ، وهو امام المتقين ، وهو أقرب الخلق إلى الله

عز وجل ، والمسلمون يفدونه بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، وهم لا يعصونه في أمر ، ولا يخالفونه في حكم ، ولكن هذا الرسول أمام جلال الله وسلطانه عبد من عباده ، فاذا كان له سلطة أو طاعة على غيره من الناس فهو أمام الله أعبد الناس وأطوعهم لله .

ونستطيع أن نستعرض طائفة من الآيات تتحدث عن ذلك ، فالقرآن يقول في سورة آل عمران / ١٤٤ : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)** . وتقبل سورة الكهف بهذا الأمر : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** الكهف / ١١٠ وفي سورة الأنفال ٦٣ : **(لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** ويقول في سورة البقرة / ٢٧٢ : **(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)** وفي سورة آل عمران / ١٢٨ : **(ليس لك من الأمر شيء)** ، وفي سورة النازعات ٤٢ ـ ٤٤ : **(يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها)** . وفي سورة الغاشية ٢١ و ٢٢ : **(فذكر إنما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر)** وفي سورة الاعراف ١٨٨ : **(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** .

وقد يضل ضال فيتوهم أن هذا التجريد من السلطة فيه استهانة بمقام رسول الله ، او استخفاف بأمره ، ومعاذ الله ، فان رسول الله أحب خلق الله إلى الله ، وهو عنده بمكان عظيم ، وقد تعرضنا من قبل الى طائفة من آيات التشريف له والتكريم لشأنه . ولكن الحق جل جلاله أراد أن يفرق بين الخالق والمخلوق ، وأن يقرر أنه المعبود دون سواه ، وأنه يفعل ما يريد وما يختار ، لايشركه في ذلك نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد ، وهنا ليس للنبي من الأمر شيء ، ولو أنه إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، والشفيع المشفع يوم الدين ، وهو رسول الرحمة وكاشف الغمة والمنقذ للامة ، وجامع الكلمة ، وهو بالنسبة الى الكائنات سيد العالمين ، ولكن الأمر إذا انتهى إلى ساحة الله عز وجل ، فهو عبد الله ، وصفة عبد الله هي أعظم وسام يتحلى به رسول الله .

ومن الدقائق اللافتة للبصيرة هنا أن القرآن لا يكاد يذكر النبي الأمين في موطن تشريف أو تكريم إلا اختار له صفة العبودية على غيرها من كرائم الصفات ، فهو مثلا يتحدث عن إنزال

القرآن على الرسول وهو أكبر المعجزات فيصف الرسول بالعبودية فيقول : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)** . البقرة /٢٣ ويتحدث عن الاسراء وهي من كبريات المعجزات ، فيصف النبي بالعبودية فيقول : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** الاسراء /١

ويفتتح سورة الكهف في الحديث عن الكتاب الذي أنزله على « عبده » محمد فيقول : **(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)** الكهف /١ ويفتتح سورة الفرقان بمثل هذه الطريقة قائلا : **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** الفرقان /١ ويقول ايضا في سورة الأنفال : **(واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)** الأنفال /٤١ ويقول في سورة النجم : **(فأوحى إلى عبده ما أوحى)** النجم /١٠ ويقول تعالى في سورة الجن عن دعوة الرسول الى الله : **(وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)** الجن /١٩ .

ثم يأتي عنصر العتاب والمراجعة ، فنحن نرى في القرآن الكريم آيات يعاتب الله فيها رسوله على بعض الأعمال أو التصرفات ، وينبغي لنا أن نتذكر أن العتاب في أغلب أحواله دليل المحبة والمودة ، ولذلك قال شوقي :

أما العتاب فبالأحبة أخلق
والحب يحلو بالعتاب ويصدق

وينبغي لنا أن نتذكر أيضا أن العتاب يسمو لفظا ومعنى كلما سما طرفاه ، فعتاب العلماء غير عتاب العامة والرعاع ، وعتاب العارفين غير عتاب الجهلاء ، وعتاب المقربين غير عتاب الأبرار وقديما قيل :

« حسنات الابرار سيئات المقربين » ، فمن لنا بأن نبلغ شأو العتاب بين الله عز في علاه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن تلك منزلة أسمى من إدراك الناس ومتناولهم ، فلعتاب الحبيب الأول مع محبه النقي مذاق يعلو على كل مذاق ، وإدراك يسمو فوق كل إدراك ونحن حين نستعرض آيات العتاب من الله لرسوله في القرآن نرى العتاب مغلفا بستار رقيق أنيق يشعر بالمحبة ، ويوحي بالمودة ، فها هو ذا مثلا لون من عتاب الله لنبيه في سورة التحريم ، حيث تبدأ هكذا : **(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)** التحريم /١ فآية العتاب تبدأ كما نرى بمخاطبة « النبي » وهو

وصف فيه مودة ومحبة وتشريف ، والعتاب يساق إلى هذا النبي بأسلوب الاستفهام ، لا بأسلوب « المؤاخذة ، « لم تحرم ؟ » . وأقرب سبب لنزول هذه الآية الكريمة خلاصته أن النبي صلوات الله وسلامه عليه حرم على نفسه بنفسه لونا من الحلوى كان يحبه ويتناوله ، وكان يقصد بذلك إرضاء بعض زوجاته ، ولذلك قالت الآية : (**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**) ثم ساقت الآية الغرض النبوي الكريم الذي قصده هو ، وهو إرضاء بعض زوجاته ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه مثلا أعلى وقدوة تحتذى في الاحسان إلى الزوجات ، يقول النص : (**تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم**) ، فكأن الله سبحانه تولى عن رسوله الاعتذار عنه : وتبيان الغرض الشريف من تحريمه ما حرمه ، وسارع الله اليه بالحكم الكريم الرحيم : (**والله غفور رحيم**) .

ويقول الله تعالى مخاطبا رسوله في سورة التوبة : (**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**) التوبة /٤٣ والعتاب هنا يبدأ بداية حبيبة عجيبة ، إنه يبدأ بالعفو ولأمر ما كان أول الاية (**عفا الله عنك**) أي أن الحكم بالعفو والغفران قد سبق ذكر المعاتبة .

وقد يسأل سائل : ما الحكمة في إيراد القرآن لمواقف العتاب بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ويلوح لنا — والله أعلم بمراده — أن القرآن الكريم قد أورد آيات العتاب في القرآن ليشعر الناس بأن قاعدة الحساب والجزاء عامة مطردة ، لا يستثنى منها أحد حتى ولو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فها هو ذا القرآن يعاتبه ويراجعه ، ونكاد نقول : ويؤاخذه ، وها هو ذا يقرع السمع النبوي الكريم بمثل قوله عز من قائل في سورة الانفال :(**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**)الانفال /٦٧

وهكذا كلما مرت علينا ذكرى من ذكريات محمد عليه الصلاة والسلام ، وأقبل علينا موسم من مواسمه الجليلة ، وأردنا له صورة مشرقة مونقة ، يعمرها الصدق والحق ، وعدنا إلى كتاب العربية الأقدس ، وهو القرآن المجيد ، وجدنا فيه هذه الصورة المثالية لرسول الله ، وهي صورة قائمة على عناصرها الخمسة : عنصر التنويه والتشريف ، وعنصر المطالبة والتكليف ، وعنصر المزج بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية والتجريد من السلطة أمام سلطة الله عز وجل ، وعنصر المعاتبة والمراجعة ، وبهذه العناصر تتضح الملامح الباهرة للشخصية الفريدة المنقطعة النظير ، شخصية محمد رسول الله عليه صلوات الله وسلامه .

(**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**) . الاسراء /٩ .

الذكرى في منطق العصر

أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجـا الى آمـاله وتعلقـا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الأنعام/ ١٢٤ ، وهو صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : **(فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)** ، رأي الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكـريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : **(قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)** الأعراف /٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد

الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد – محمد – أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار الموضوعية ، والموازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها

المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :(**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

ـ ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر ـ بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكرم المنح ، وأسمى الهبات .

ـ ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر

الله .

ــ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلمية ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمل عطاءها وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفل المؤسسات العلمية والتعليمية ، وقد أخرجت للعالم برامج علمية ومؤلفات اسلامية تستهدي في خططها بهدي الله وتستوحي ضمير الأمة الاسلامية الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهيىء لأبناء هذا الدين التمكين في الأرض ، ويعينهم على ضرب الالحاد والزيف في حصونه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخذ في اعتبارها ارتياد الآخرين لأسرار الحياة ، واكتشاف المجاهيل واستحداث النظريات العلمية الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ــ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليه الاحساس ــ أبدا ــ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصدة المال .. لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكان يفاخر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ــ وأمثال مصعب بن عمير .

ــ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقد هذه المواقع وتلك المواقف في تاريخنا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحوث الأكاديمية ، وأخذهم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون الله وحوله من سيسترد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن الأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :(**ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**) الروم/ ٤و٥

ــ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .

حقوق الانسان

تحت هذا الشعار عقدت ندوة علمية دعت إليها كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت بالمشاركة مع لجنة الحقوقيين الدولية ، وبمؤازرة جامعة الكويت في الفترة الواقعة بين ٩ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٨٠م وأقيمت « ندوة حقوق الانسان في الاسلام » تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح .

وفي جلسة الافتتاح حضر مستشار سمو الأمير الشيخ عبدالله الجابر ، بالاضافة الى عدد من المسؤولين في الكويت ، ورجال العلم والفكر ، والمهتمين بالدراسات الاسلامية .

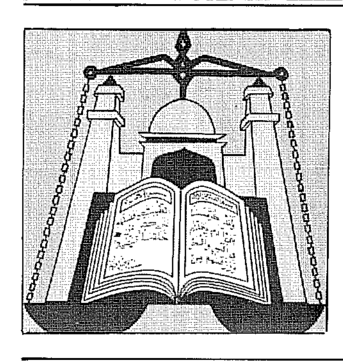
فألقت عميدة كلية الحقوق والشريعة الدكتورة بدرية العوضي كلمة الافتتاح فقالت :

انه ليوم اغر ان تعقد في الكويت ندوة حقوق الانسان في الاسلام ، وان تضم النخبة الخيرة من اعلام العرب والمسلمين ومن المفكرين الذين تفهموا رسالة الاسلام ودافعوا عنها ووجدوا فيها رسالة خير ودعوة سلام .

وانها لمناسبة جليلة ان تعقد هذه الندوة في الوقت الذي نستقبل فيه القرن الخامس عشر الهجري ، يود أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا اول بيان لحقوق الانسان واقام شريعة تجمع الشعوب على الايمان بالله واحد ، وتجمع القلوب على الحب والاخاء وتسوي بين الناس فلا يتفاوتون الا بالعمل الصالح .

لقد كان اختيار الكويت مقرا لهذه الندوة تكريما لبلد استطاع بفضل سياسته الحكيمة ، ان يقوم بدور فعال في المجال السياسي ، فاحتل مكانا محمودا في المجتمع العربي والدولي .

حضرات السيدات والسادة : لقد جاء انعقاد هذه الندوة بمبادرة من جانب كلية الحقوق والشريعة بالتعاون مع لجنة الحقوقيين الدولية ومؤازرة جامعة الكويت ، لايمان الجميع بأهمية موضوع حقوق الانسان في المجتمع الدولي المعاصر وضرورة ابراز دور



في الاسلام

الاسلام في هذا المجال لما يتميز به من مبادىء تصون هذه الحقوق لجميع الافراد ، خاصة حق الانسان في الحياة والحرية والعدل ، وحقه في الكرامة وفي جميع الحقوق الاساسية التي تحفظ شخصيته الانسانية من الظلم والتسلط .

ان هذه الحقوق التي اعلنها الاسلام وحرر بها الانسان من قيود الذل والعبودية من القيم الخالدة التي تميزت بها حضارة الاسلام ، هذه الحضارة التي بنيت على دعوة عالمية لشريعة تسوس البشر بالعدل والمساواة دون تفريق ولا تمييز بينهم .

وبعد ، فان الكويت ـ بما اوتيت من سماحة في تقدير عامل الحرية ليسعدها ان تستقبل هذه العقول النيرة التي تقوم بدور كبير وفعال في خدمة الاسلام واحياء تراثه لتعرض ـ فيما اعدت من ابحاث ودراسات ـ حقوق الانسان في الاسلام مستمدة من مصادره وتطبيقاته ، بحيث تكون اساسا لبيان حقوق المواطن في الوطن العربي والاسلامي .

واخيرا اود وباسم كلية الحقوق والشريعة ان ارحب بكم راجية ان تثمر جهودكم في خدمة هذه الندوة لتحقيق الامل المرجو منها ، كما لا يفوتني ان اشكر باسم الكلية وباسمكم صاحب السمو امير البلاد لتفضله برعاية هذه الندوة .

ثم القى السيد جاسم المرزوق وزير التربية كلمة سمو امير البلاد .. فقال :

اخواني ، يسعدني ان ارحب بكم في الكويت ، متمنيا لكم طيب الاقامة ولندوتكم النجاح والتوفيق .

ويأتي لقاؤكم عن حقوق الانسان في الاسلام ، والعالم الاسلامي يستقبل القرن الخامس عشر بعد الهجرة ، التي اقام بها النبي عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه في المدينة مجتمعا جعل حقوق الانسان حقائق حياة ، ونقلها من سماء الامال الى ارض الواقع .

ذلك لان الاسلام يؤمن اولا بكرامة الانسان ، ويقول الله تعالى :

« **ولقد كرمنا بني آدم** » ومن كرامة الانسان ان يكفل له المجتمع حقه في المأكل والمشرب والمسكن والملبس والتعليم والعمل ، كما يكفل حقه في ابداء الرأي والمشاركة في صياغة حاضر امته ومستقبلها ، والامن على نفسه واهله .

ولكي تتوفر هذه الحقوق ، ينبغي ان يكون المجتمع قادرا على ادائها . والاداء واجب وعطاء .

وبهذا يبدو الواجب وجها اخر للحق . وكأن الحق والواجب جناحان يحلق بهما المجتمع الى آفاق الغد المأمول . وهذا ما يفسر لنا عناية الاسلام بالعمل واحترامه ، والانتاج ، ومكانته في المجتمع ، وبموازنته بين حقوق وواجبات الاجيال الجديدة في التزود بالعلم ، والقدرة على الابتكار ، والتدرب على حمل المسؤولية ، حتى تكون قادرة على ابداء الرأي النافع ، وصناعة القرار ، واثراء الحياة ، واشاعة العدل على الصعيد الوطني والعالمي .

ايها السادة العلماء وانتم تلتقون حول حقوق الانسان في الاسلام ستذكرون حقوقا ضاعت على اهلها ، حقوقا في ارضها ، حقوقا في اوطانها ، وحقوقا في الحياة الامنة .

ستذكرون اخوة لكم في القدس وفلسطين لا تزال تحت سيطرة العدوان الاسرائيلي .

ستذكرون اخوة لكم في افريقيا واسيا يعانون من التفرقة العنصرية والقهر في اوطانهم .

وستقولون كلماتكم المنيرة بالعدل والمشرقة بالامل ، في عودة الحقوق الى اصحابها ، في تعاون افضل بين الشعوب النامية والمتقدمة قائم على صيانة الحقوق والاحترام المتبادل وعرفان الجميل . وفي هذا تحقيق لما نادى به الاسلام من تحقيق كرامة الانسان .. كرامة ينال فيها حقه ويؤدي واجبه .

ثم القى الدكتور عبدالرزاق العدواني مدير جامعة الكويت كلمة رحب فيها بالحضور ، وأشار الى اهمية قضايا حقوق الانسان ، والتي تعود الى عصور قديمة ، كما انها اخذت اهمية كبرى في الميدان الدولي المعاصر .

وكان مما قال :

انه مع ازدياد العلاقات والمعاملات بين الدول والشعوب ، واعتداء بعضها على حقوق الانسان رغم المواثيق يتعين من جديد ابراز هذه الحقوق في الاسلام .

ثم تحدث سكرتير عام لجنة الحقوقيين الدولية السيد نيبال ماكدوموت فقال : ان لجنة الحقوق الدولية كانت بصدد اقامة مثل هذه الندوة ولكن كانت تريد مبادرة من دول المنطقة .

وانتقل الحديث الى السيد زهير الميداني الامين العام لاتحاد المحامين العرب فألقى كلمة عبر فيها عن أهمية الندوة وأثر التراث

الاسلامي واسبقيته في تحقيق حقوق الانسان فقال : ان حقوق الانسان في الاسلام هي مجموعة من الاصول العامة ، نستخرجها من القرآن والسنة ، وهي بمثابة اسس عامة تفصل بين الخير والشر وهي قابلة للبناء عليها لما يسد مطلب كل عصر على نحو يعصم المجتمع من الانهيار ومن الحيرة بين المذاهب المختلفة والاهواء الجامحة .

○ **وقال رئيس وفد منظمة المؤتمر الاسلامي :** ان نتائج هذه الندوة ستطرح ضمن بنود أعمال القمة الثالثة التي ستعقد في مكة المكرمة في يناير حتى تعلن وثيقة لحقوق الانسان في الاسلام .

وبعد تلك الكلمات التى ألقاها اصحابها في جلسة الافتتاح : القى كلمة المؤتمر الرئيسية السيد أ. ك. بروحي ، وهو وزير سابق للقانون والشئون الدينية بباكستان ، والمحامي بالمحكمة العليا . وعضو لجنة الحقوقيين الدولية .

وقد أوضح السيد بروحي في كلمته شمولية الاسلام للأنظمة والقوانين ، و« طبيعة الشريعة الاسلامية ونظرية حقوق الانسان » . وعرف طبيعة القانون ووظيفته للتوصل الى القانون الاسلامي بهدف اعطاء خلفية عن الفكـــر القانوني لصلته الاساسية بحقوق الانسان في الاسلام ، من حيث الاعتراف بها وتطبيقها .

وتعرض لمفهوم العدالة في الاسلام ، والقيمة التي أوجدها القرآن الكريم ، والسنة الشريفة لمفهوم العدالة الواسع المتحرر ، وذلك من حيث المحتوى والنطاق والتطبيق العملي .

ثم عقدت جلسات ندوة حقوق الانسان في الاسلام .. في فندق المـــيريديان بالكويت وتوزعت اعمال الندوة على ست لجان هي :

- اللجنة الاولى : الرئيس الدكتور خورشيد احمد ، المقرر الدكتور محمد يوسف علوان ، مساعد المقرر ايرين خان .
- اللجنة الثانية : الرئيس الدكتور سليمان الحديدي ، المقرر الدكتور روان مباي ، مساعد المقرر الدكتور عجيل النشمي .
- اللجنة الثالثة : الرئيس الدكتور عبدالله شرف الدين ، المقرر الدكتور سعيد حسين ، مساعد المقرر الدكتور احمد شرف الدين .
- اللجنة الرابعة : الرئيس الدكتور حسين البحارنة ، المقرر الدكتور اسماعيل راجي الفاروقي ، مساعد المقرر الدكتور عبدالحليم احمدي .
- اللجنة الخامسة : الرئيس الدكتور عبدالوهاب حومد ، المقرر الدكتور جميل الحافظ (من اتحاد المحامين العرب) ، المساعد للمقرر الدكتور حسين علي .
- اللجنة السادسة : الرئيسة الدكتورة بدرية العوضي : المقرر د. الطاف جوهر ، مساعد المقرر الدكتورة بدرية الجاسر .

وقد اختصت كل لجنة بمناقشة

بحث اعده احد الاساتذة المتخصصين ..
فاللجنة الأولى ناقشت موضوع :
« الحرية الاقتصادية ووالعدالة الضريبية في الاسلام » للدكتور عبدالهادي النجار استاذ الاقتصاد والمالية العامة المساعد بكلية الحقوق والشريعة الاسلامية بجامعة الكويت الذي أكد أن الحرية الاقتصادية في الاسلام مقيدة

اما اللجنة الثانية فقد ناقشت المفاهيم الاسلامية في التربية في المجتمع الحديث من خلال بحث للدكتور سيد علي اشرف استاذ اللغة الانجليزية والسكرتارية ، بلجنة المتابعة للمؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة أثار فيه سؤالين وطلب الاجابة عنهما وهما : العلاقة بين المفاهيم الاسلامية والتعليم في المجتمع الحديث ، وما هي المفاهيم التعليمية التي يجب ان تكيف وتعدل طبقا للتغيرات الاجتماعية التي يجلبها ما يعرف بـ « العصرية » . وطرح الدكتور اشرف عدة افكار رئيسية منها :

● ان المفهوم الاسلامي للانسان له اتساع ومدى لا يوجدان في اي مفهوم اخر للانسان . وبما أن الانسان يستطيع ان يصبح « خليفة الله » بأن يرعى أو يحقق في داخله صفات الله وحيث أن هذه الصفات لها بعد لا نهائي فان امكانات تقدم الانسان عقليا وروحيا وخلقيا لا حدود لها .

● بما أن المعرفة هي مصدر هذا التقدم والتطور فان الاسلام لا يضع حاجزا لاكتساب المعرفة .

● مدى هذا الاكتساب لا بد أن يكون شاملا لانه باكتساب بعض الخبرة الفعلية فقط لا يستطيع الشخص ان ينمو نموا متوازنا . وهذا يتضمن ان التعليم لا بد ان يخطط بطريقة يكون لها نمط انضباطي متوازن فيما بينها . والانسان العليم او الخبير المتمرن ليس بالضرورة انسانا متعلما .

● ان المظاهر الجسمية والعاطفية والخيالية والفكرية والخلقية والروحية لشخصية الانسان تؤخذ في الاعتبار عند تكوين العلاقة بين هذه الانظمة ، ويجب ان يؤخذ في الاعتبار نمو عقل الطفل وقدراته لكي نضع الموضوعات والمناهج في مراحل مرتبة حتى يبقى الارتباط فيما بينها .

ثم انتقلت اللجنة الى سماع بحث الدكتور معروف الدواليبي الذي تساءل عن موقف الاسلام من دعوة الامم المتحدة الى نظام انساني جديد .. وعن موقف الاسلام من مجمل حقوق الانسان ومن المرأة بشكل خاص .

واجاب :
فيما يتعلق بدعوة الامم المتحدة الى نظام عالمي انساني جديد ، ووفقا لمبادىء حقوق الانسان ، فان ابرزما في دعوة الاسلام منذ ظهورها قبل اربعة عشر قرنا انما كان :
ـ في اعلان الاسلام « لوحدة الاسرة

البشرية » بكل صراحة وفي شجبه بكل قوة لذلك « التمايز » في الحق بالحياة بين الاجناس ، والاعراق والاقوام والاديان .

ـ وفي ايجابه الاعتراف « بالكرامة للجميع » من غير تفاضل .

ـ وفي الدعوة الى « التعاون » على الخير فيما بينهم اجمعين ، لا يمنعهم من ذلك اختلاف اقوامهم واديانهم

ـ وفي التأكيد على « العدالة المطلقة » بين الجميع حماية « للسلام » في الارض .

وبذلك ارسى الاسلام قواعد « مجتمع الخير الجديد » على اسس انسانية وعالمية ، واقام فعلا نظاما للحياة سوى فيه ما بين اشراف قريش من سادة العرب ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، بل وبين احرار العرب وساداتها والارقاء المعتقين من مختلف الشعوب والاقوام وغزا بالحب المتبادل وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

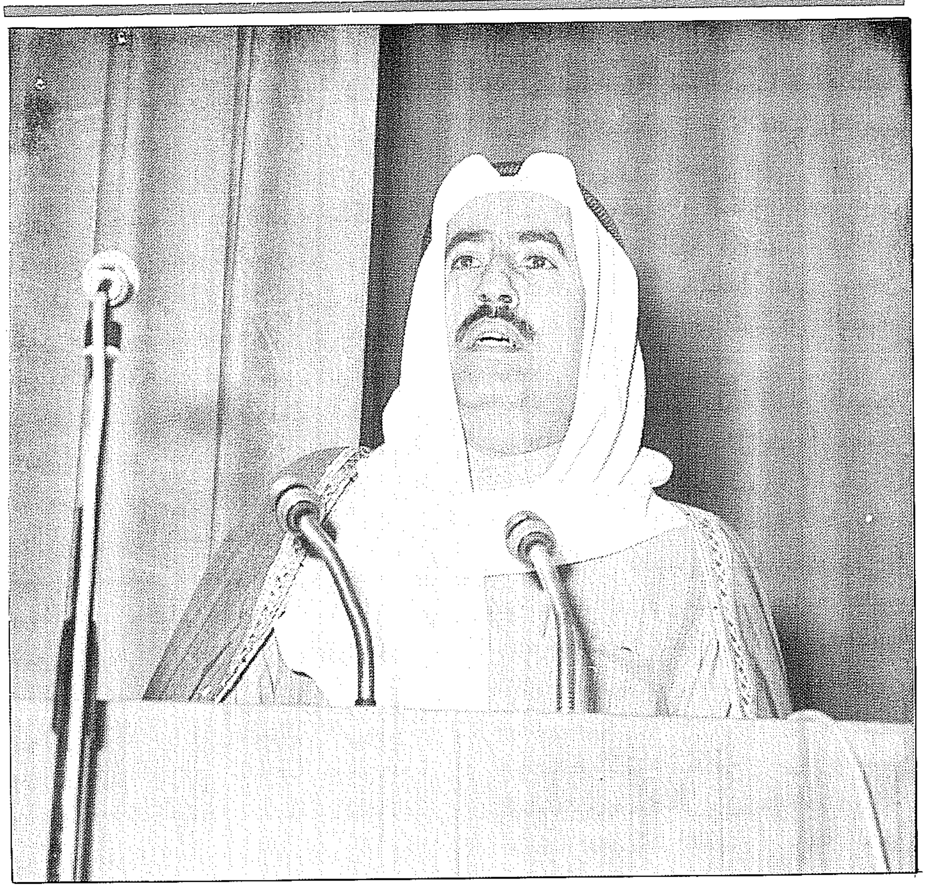
ـ ويكفينا في جملة ذلك ما قد اوجزه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع حيث خطب مودعا المسلمين ومؤكدا على اهم خصائص الاسلام وقد ابتدأ في ذلك بقوله سبحانه وتعالى « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

وعقب على ذلك بذكر الخصائص الكثيرة من خصائص الاسلام الانسانية العالمية وخاصة قوله عليه الصلاة والسلام ، « لا فضل لعربي على عجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى » وقوله « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه أنفعهم لعياله » وشدد بصورة خاصة على حسن معاملة المرأة ، واعلن ان النساء شقائق الرجال .

ـ وانني اذ اكتفي بهذا القدر الوجيز فيماتقدم من الاشارة الى مجمل حقوق الانسان في الاسلام بصورة عامة والى نداء الاسلام بوحدة الاسرة البشرية ، ودعوتها الى التعاون فيما بينها على ما فيه خيرها فذلك رغبة بالترحيب الطيب بدعوة الامم المتحدة الى وجوب اقامة نظام جديد عالمي انساني ، وبالترحيب بالتقائها في دعوتها الجديدة الانسانية مع دعوة الاسلام العقائدية ، واملا بأن يسمح لي هذا الايجاز بعد ذلك للتفرغ في بقية كلمتي للتحدث عن « وضع المرأة في الاسلام » الذي قد اخترته للكلام فيه بصورة خاصة باعتباره موضوعا من اعظم مواضيع حقوق الانسان .

« نظرة الاسلام الى المرأة »

انما هي من خلال نظرته الى الله والكون والانسان ولا بد لنا اذا اردنا فهم ابعاد وضع المرأة في الاسلام من ان نلفت النظر اولا كما جرت عادتنا في شرح كل مبحث وحقيقة من حقائق الاسلام الى ان نظرة الاسلام الى « المرأة » بصورة عامة انما هي



« نظرة جزئية » من اصل نظرة كلية « هي » نظرة الاسلام الى الله ، والكـون ، والانسان وسوف نقتصر طبعا في كلمتنا الان على « النظرة الى المرأة في الاسلام » .

ويتوجب علينا ان نعلن منذ البدء ان نظرة الاسلام الى الانسان فيما له من حقوق وفيما عليه من واجبات ، هي نظرة واحدة الى كل من الرجال والنساء ، من غير تمايز ولا تفاضل بينهم وذلك :

ـ سواء في استخلاف الله للانسان من رجال ونساء على الارض ، كموظفين من قبله سبحانه وتعالى ليقوموا عليها بما عهد به اليهم جميعا من غير استثناء .

ـ وسواء استعمارهم في الارض اي في مطالبتهم جميعا بواجب القيام بعمارتها وفي تحمل المسؤولية في ذلك امام الله على السواء .

ـ وسواء في ايجاب عبادة الله عليهم جميعا من غير اي تمايز بين الجنسين عند الله في الوجوب وفي الثواب وفي العقاب .

وهكذا فقد شارك الجنسان في عمارة الارض بالتناسل مشاركة تامة لا

امتياز فيه لاحدهما على الاخر ، كما استحق كل منهما الكرامة المتساوية عند الله على الاعمال الصالحة والعبادة الخالصة ، ومصداق كل ذلك قوله سبحانه وتعالى في الجنسين من الرجال والنساء **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم)** التوبة ٧١ ـ ٧٢ وقال ايضا « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » النساء ١٢٤ .

واللجنة الثالثة ناقشت موضوع الاقليات المسلمة وحقوق الانسان ، للدكتور ابو بكر احمد باقادر الاستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ركز فيه على توضيح حقوق الاقليات المسلمة في العالم والتي تنتشر في حوالي أربعين قطرا . وفي هذا البحث قدم اطارا لدراسة الموضوع واختار بعض الحالات لتوضيح ابعاده .

وقال ان الاقليات المسلمة تقدر بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة فاذا كان عدد المسلمين في العالم حوالي ٩٠٠ مليون نسمة فان هذا يعني ان ثلث المسلمين في العالم يعيشون كاقليات في الوقت الحالي .

ويعيش معظمهم في اسيا وافريقيا ولكن هناك عدد متزايد من المسلمين المحليين والمهاجرين في اروبا واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وان عددهم وانتشارهم الجغرافي يجعلان اوضاعهم وحقوقهم تستقطب الاهتمام العالمي .

وعرف الدكتور باقادر معنى « اقلية » على اساس النسبة العددية وتوزيع القوى بين السكان .

وعرف المسلم ليس على أساس عرقي أو ثقافي أو لغوي ولكن فقط على أساس العقيدة والدين .

ثم ناقشت اللجنة موضوع « حق الانسان في العمل والضمان الاجتماعي في الاسلام » :

للدكتور صادق مهدي السعيد ، المحامي والخبير الاقتصادي والقانوني الدولي بقضايا العمل والعمال والضمان الاجتماعي ، واستاذ اقتصاد وتشريع العمل والضمان الاجتماعي بجامعة بغداد سابقا .

حيث قال الدكتور صادق :

« العمل هو المصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد للتملك في الاسلام ، لذا فهو المصدر الاساسي لضمان عيش كل الناس القادرين على العمل وغير القادرين على وجه العموم لذا فهو حقهم جميعا وليس العمل الاكتسابي أو الاشتغال غاية بذاته وانما هو الوسيلة الرئيسية والفضلى للعيش



والحياة . ولذا فيرتبط حق الانسان في العيش بحقه في العمل ارتباطا جوهريا تلازميا على وجه الدوام سواء كان قادرا على العمل أو غير قادر . اذ لا عيش بلا عمل . لذلك رفع الاسلام شان العمل عاليا واقر اهميته وحث الناس عليه بل فرضه احيانا على البعض لانه قوام الحياة الدنيا كلها .
وعندما امرهم بالعمل الديني للدار الاخرة ، امرهم بالعمل الدنيوي كذلك بألا ينسوا نصيبهم من الدنيا بالعمل الصالح النافع فيها لأنفسهم وللناس معا .
وان الشعار الاسلامي الشهير « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » دليل واضح أيضا على هذه الميزة الاسلامية . علما بانه توجد الادلة الكثيرة المتنوعة في القرآن الكريم والحديث الشريف على اقرار هذه الموازنة ما بين امور الدين والدنيا في الاسلام .

وفي نهاية حديثه اكد ان الاسلام قد ضرب المثل الاعلى بين الاديان السماوية في تنظيم شؤون الناس الاقتصادية والاجتماعية في حياتهم الدنيوية الى جانب الامور الدينية . فحثهم على العمل بل اوجبه عليهم ونظم لهم قواعد المعاملات والتعاملات في مجال النشاط الاقتصادي كي يضمن لهم العمل والانتاج المستمرين ووجود السلع والخدمات الاقتصادية لاشباع حاجاتهم الشخصية والبشرية والاجتماعية والعامة كما ضمن لهم العيش الكريم بالعمل وبالوسائل العامة والضمان الاجتماعي الاسلامي .

● اللجنة الرابعة ناقشت موضوعا طرحه الدكتور ممتاز صويصال استاذ العلوم السياسية بجامعة انقرة حول « حرية الرأي والتعبير والتجمع » طالب فيه بضرورة إرساء مفاهيم اسلامية جديدة فقال :
الاسلام بكليته وشموله يهتم بعلاقة

الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه ، مما يجعلنا نستكشف طبيعة القوى التي يمكن ان يستخدمها أولئك الذين بيدهم الحكم . هل الحكام هم الصانعون الوحيدون للتوازن الذي يقوم بين المؤمنين والمجتمع وذلك بهدف خلق النظام الدنيوي المتناسق ؟ ام هل هناك اعتبار آخر يجب ان يحد من قوتهم ويمنعهم من العمل على تقليل الحريات الفردية ؟

وقال ان المحاولات الاولى لرسم ميثاق اسلامي لحقوق الانسان قد فشلت في هذا الامر الحيوي لربط مبدأ المسؤولية الشخصية للفرد وضرورة ضمان حقوقه قانونا . ولكن لو ان المخططين قد نجحوا في انشاء تلك الصلة لكان من الاسهل عليهم رسم قائمة لحقوق الانسان لا تنسجم فحسب مع الميثاق الدولي القائم ، ولكن ايضا تدور حول العقيدة الاساسية للاسلام .

ثم قال الدكتور ممتاز : وفي عالمنا الحديث حيث العديد من الدول الاسلامية التي لا تزال بعيدة عن البحث العام في سبيل ايجاد صياغة احسن وحماية لحقوق الانسان فان ما نحتاجه بشكل عاجل هو حل اسلامي وعالمي .

○ **اللجنة الخامسة** ناقشت موضوع « السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الاسلام » للدكتور احسان الكيالي ، بدأت اللجنة بمناقشة بحث للدكتور عثمان عبدالملك استاذ القانون العام المساعد بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت حول « حق الامن الضروري في الاسلام » قدم خلالها دراسة مقارنة مع القانون الوضعي ، بين فيها معنى الامن الضروري في الاسلام .

ان من أهم ضمانات الامن الفردي ، هي تلك الضمانات الجوهرية التي يحيطه بها قانون الاجراءات الجنائية ، والتي تبتغي ايجاد التوازن بين حق الدولة في تتبع المجرمين والحصول على ادلة الاتهام ومصلحة الافراد في صيانة حقوقهم الاساسية وتمكين الفرد عند اتهامه من الدفاع عن نفسه واثبات براءته دون ما خشية من مفاجآت العسف والتحكم .

والناس في ظل الشريعة الاسلامية سواسية كأسنان المشط ومفروض فيهم البراءة حتى يثبت عكسها ، لذلك كان منهجها في الاجراءات الجنائية قائما على انه اذا كان من مقتضيات العدل ان يؤخذ المسيء باساءته والا يفلت مجرم من العقاب ، فان مقومات العدل أيضا ألا يؤخذ البريء بجريرة المسيء . والا يكون من وسائل الوصول الى ادلة الاتهام تهديد الابرياء او الاعتداء على الآمنين المسالمين في حرياتهم وحرمة مساكنهم وحقهم في الخصوصية والاحتفاظ بالاسرار . لذلك حرصت الشريعة الغراء على ان تحقق هذا العدل بشقيه عند تقرير قواعد الاجراءات الجنائية ، وذلك بايجاد التوازن الضروري والكافي بين حق الافراد في الحرية والامن وحق المجتمع

الاسلامي في منع الجرائم وتتبع المجرمين .

واستعرض محاضرنا كثيرا من الموضوعات المتعلقة بالامن في الاسلام فقال :

يجدر بنا ان نشير ونحن في هذا الصدد الى ان كثيرا من شراح القانون الجنائي الوضعي يتجهون في الوقت الحاضر نحو المناداة بتبني نظام للتجريم والعقاب شبيه بنظام التعزير الذي اخذت به الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا وينادون بالمرونة في تقرير قاعدة « ان لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » وبضرورة الخروج عليها بالقدر الذي لا يجعل التشريع الجنائي نصوصا جامدة ومجردة من المرونة اللازمة لمواجهة الاجرام في تطوره تبعا لتقدم الحضارة وتعقد الحياة الاجتماعية . بل ان بعض فقهاء القانون الجنائي الروسي قد تبنوا فكرة حذف القسم الخاص من قانون الجزاء والاكتفاء بقسمه العام .

وقد كان للانتقادات التي وجهها فقهاء القانون الجنائي الى التطبيق الجامد لقاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » اثرها العملي فنجد ان بعض الدول قد نفت القاعدة كلية كما كانت عليه الحال في الاتحاد السوفياتي قبل عام ١٩٠٩ « المادة ٦ من قانون العقوبات الصادر في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٦ » .

وكما كانت عليه الحال في المانيا النازية « المادة ٢ من قانون العقوبات المعدل بقانون ٢٨ يونية ١٩٣٥ » .

ومنها من خرج عنها في حدود معينة بإباحة العقاب عن طريق القياس كما هو الشأن في القانون الدانمركي المادة ٢ من قانون العقوبات الصادر في ١٥ ابريل ١٩٣٠ .

اما في الدول الاخرى فان الاتجاه العام للمشرع هو الى المرونة في تطبيق قاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ، وافساح مجال التقدير للقاضي في تحديد العقوبة حتى تكون ملائمة لحالة كل محكوم عليه . فوضع لكثير من الجرائم عقوبات تخييرية يتخير القاضي من بينها ما يراه اكثر ملاءمة للحالة المعروضة عليه كما جعل لكل عقوبة حدا اعلى وحدا ادنى يتخذ القاضي من بينهما ما يراه ملائما لحالة المحكوم عليه كما ان المشرع الوضعي قد اعطى القاضي سلطة النزول عن الحد الادنى للعقوبة بل وسلطة الامر بوقف تنفيذ العقوبة او الامتناع عن النطق بها اذا رأى ان هذا اجدى في اصلاح الجاني . وفضلا عن ذلك فقد اعطيت السلطة التنفيذية حق التدخل في تنفيذ العقوبة بل والتصرف فيها بما تراه محققا للغاية منها وذلك بتقرير حق رئيس الدولة في العفو وتخفيف العقوبة ونظام الافراج الشرطي عن المسجون قبل انتهاء مدة عقوبته وأخيرا نجد المشرع الوضعي قد ترك تقدير هذه العقوبة للسلطة التي تتولى تنفيذها وذلك بتقرير نظام العقوبة غير محددة المدة وهو النظام الذي اخذت به الشريعة الاسلامية منذ فجر الاسلام .

وهكذا نجد ان المشرع الوضعي في

الوقت الحاضر يتجه في نفس الاتجاه الذي اتجهت اليه الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا في العقاب على جرائم التعزير .

وتحدث عن مصادر المشروعية وتدرج القواعد القانونية في النظام الاسلامي **فقال :**

ـ لقد سبق الفقهاء المسلمون غيرهم في الكلام عن مصادر التشريع او ما اطلق عليه علماء الأوصول ورجال الفقه « أدلة الاحكام » .

فاذا كان الفقه الدستوري قد عرف مبدأ تدرج القواعد القانونية حديثا واعتبره مبدأ اساسيا في الدولة القانونية بما يحققه من خضوع القاعدة القانونية الادنى للقاعدة القانونية الاعلى ،؛ فان الفقهاء المسلمين قد سبقوه الى البحث في هذا الميدان في علم من ادق العلوم هو علم أصول الفقه . وقرروا ان مصادر التشريع ليست جميعا على قدم المساواة فيما بينها وإنما ينظمها مبدأ التدرج من اعلى الى ادنى ، وجعلوا الحكـــم الشرعي (او القاعدة القانونية) المستمدة من مصدر اعلى تسمو على القاعدة القانونية المستمدة من مصدر ادنى ، وانه في ضوء هذا التدرج فان كلا من هذه القواعد القانونية لا يكون صحيحا الا بالقدر الذي تلتزم فيه الضوابط والحدود التي تقررها القواعد الاعلى ، علما بانها في ذات الوقت عند ثبوت صحتها ـ ملزمة للقواعد التي تتدنى عنها في المرتبة ومقيدة لها .

الضمانات القضائية

● الدكتور الناهي تحدث عن « حقوق الانسان والضمانات القضائية في الاسلام » فقال ان القضاء في الشرع الاسلامي ولاية عامة يتولاها الخليفة بنفسه وله ان ينيب عنه فيستعين بالقضاة ويوليهم القضاء ولاية مطلقة او مقيدة مخصصة وليس للخليفة او غيره من رؤساء الدول الاسلامية ان يهمل تنظيم خطة القضاء لان تنظيمها واختيار الأصلح أو الصالح لتوليها من جملة واجبات رئيس الدولة في الاسلام ولأن حكمة مشروعية القضاء حفظ النظام ودفع الضرر العام والخاص .

● **اما اللجنة السادسة** فقد ناقشت موضوع مركز ودور المرأة في الاسلام للدكتور علي عبدالمنعم عبدالحميد ، استاذ الشريعة بجامعة الكويت الذي ركز على موضوع الاسرة في الاسلام كنظام للحب والرحمة المتبادلين ثم تعليم ورعاية الاطفال فقال :

ـ الاسلام نظام شامل وتنظيم للحياة متكامل من كل الوجوه ، لا تجد في أسسه وقواعده ثغرة واحدة ينفذ منها الى ان يقال : لو غير هذا لكان احسن ولو بدل كذا مكـــان غيره لصار يستحسن . وما ذلك الاحكــــام والاتقان والبعد عن الفطور والنأي عن التغيرات الا لان مصدره الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

وبين مساهمات المـــرأة في صدر

الاسلام الاول فقال في صدر الاسلام ساهمت المرأة في كل شيء يمس وجود المسلمين ، واظهر ما كان في ذلك العهد الكريم هو ما يقوم الحياة في كل زمان ومكان هو العلم هو التعلم هو خدمة الاخرين ومعاونتهم في كل مجال . فانظر الى اسرة سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أول نشوئها على ارض مكة المكرمة ، من اقامها ، من ساهم فيها ، من نماها ، من امدها بكل مقومات الحياة بل وعصب الحياة ؟ ذلك الانسان الذي فعل ذلك هو خديجة بنت خويلد ، انظر كيف ساعدت سيدها وسيدنا حبيبها وحبيبنا محمدا في غدوه ورواحه الى غار حراء متعبدا وخلوته مع الله سبحانه مع هذا الكـون الفسيح مع سمائه وارضه وجباله واوديته مع صفائه وغيومه مع كلا ملابساته ثم ماذا ؟

المساواة في الحقوق

واكد الدكتور علي عبدالمنعم ان للمرأة كافة الحقوق التي منحها الله للرجال فلها حق التعلم وحق التعاقد والالتزامات والتملك والمتاجرة وكل الاحوال المدنية فيما لا يخالف نصا ولا قاعدة اسلامية كالرجل حذوك القذة بالقذة الا فيما اختص به الرجال من حمل السلاح والقتال والاعمال الشاقة البدنية العضلية ، كما انها عند الضرورة قد حملت السلاح وقاتلت كما حدث في غزوة أحد دفاعا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الزواج هو اهم شيء واخطره في حياة الرجل والمرأة فقد أعطيت فيه من الحقوق ما أعطى للرجل ، وادلتنا وبراهيننا من سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله . وحين يشيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرأة الصالحة ويدعو الى التنقيب عنها في كل مكان ، لا يغفل امر الرجل الصالح بل ويدعو المرأة وولي امرها الى البحث والتنقيب عن الزوج الصالح والبعد عن الفاسقين ولم يلزم مطلقا امرأة بالزواج من رجل لا تطيقه او رجل يعمل عملا غير صالح فيقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير » رواه الترمذي عن ابي هريرة .

وقال ان الاسلام لا ينقص المرأة شيئا من حقوقها ومساواتها بالرجل في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة . والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ، لكن في اطار الضوابط الاسلامية التي تحول دون ان تصبح المـــرأة سلعة في الاسواق السياسية والتجارية .

وهكذا عايشت مجلة الوعي الاسلامي وقائع ندوة حقوق الانسان في الاسلام عن قرب .. ورأت من خلال البحوث والمناقشات القيمة كيف أن ديننا الاسلامي الحنيف لم يترك مجالا في صالح الانسان في كل عصر و في كل مكان الا

كان له فضل السبق .. وكيف لا ، وهو الدين الذي جاء ليحرر الانسان فكرا وعقيدة وسلوكا وعملا ، ويرسم له طريق السعادة في دنياه ، وصولا الى الفوز والفلاح في أخراه .. والكل مسئول امام الله مسئولية مباشرة .. فلا وساطة بين العبد وخالقه .. والكل سواء فلا تفاضل بين جنس وآخر .. كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ولقد سادت أمتنا الاسلامية .. يـوم وقف اعرابي في مركز الاسلام الخالد « المسجد » ليصرخ في مسامع الزمن .. من خلال قوله لأعدل حاكم عرفه البشر « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .. فيقول الفاروق عمر بن الخطاب معلما كل حكام الدنيا من بعده : « الحمد لله اذ جعل في رعية عمر من يقوم عمر بسيفه اذا رأى فيه اعوجاجا » .

في ظل الاسلام .. لا طواغيت .. لا نعرات طائفية .. لا ظلم ولا اضطهاد ... بل لا إكراه في الدنيا . والكل مطالب بالقيام بواجباته في اي ميدان تواجد فيه .. المرأة عليها واجباتها .. ولها حقوقها .. والرجل عليه واجباته ، كما ان له حقوقه .. واختصاص هذا بحكم ، أو ذاك بحكم ، لا يعني تفاضلا بين هذا وذاك .

الكون كله يعمل وفق ارادة الله .. فلا تنافر بين الدين والدنيا .. ولا تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .. وما دام العمل خالصا لله ، ومن أجل هدف نبيل .. فهو تسبيح متواصل وترنيمة خالدة بحمد الله وشكره .

هذا .. وفي ختام استطلاعنا هذا يطيب لنا أن نسجل التوصيات العامة التي اصدرتها ندوة حقوق الانسان في الاسلام وهي :

١ ـ يؤكد المشاركون تأييدهم الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بالكفاح المسلح وحقه بتقرير مصيره والعودة الى وطنه واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد .

٢ ـ يعلن المشاركون تضامنهم المطلق مع شعبي الصومال الغربي (اوغادين) وارتيريا في كفاحهم الباسل ضد الاستعمار . ويطالبون باتاحة الفرصة لهما لتقرير مصيرهما . وانسحاب القوى الاجنبية من أراضيهم .

٣ ـ يعلن المشاركون مساندتهم المطلقة لجهاد الشعب الافغاني المسلم ويشجبون التدخل الاجنبي المسلح في هذا القطر الاسلامي ويطالبون بالانسحاب الفوري منها حتى يستطيع الشعب الافغاني ان يقرر مصيره بمحض ارادته .

٤ ـ يؤيد المشاركون كفاح المسلمين في جنوب الفلبين وغيرهم من الأقليات الذين يسعون الى الحصول على حقوقهم المشروعة .

٥ ـ يناشد المشاركون الدولتين المسلمتين ايران والعراق إنهاء الحرب بينهما على أسس عادلة .



استغفاره عليه الصلاة والسلام لأمته

قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم »

الآية ١٩ من سورة محمد

معجزة

قال البوصيري :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

مطلع النور الأول

من قصيدة بهذا العنوان في ديوان مجد الاسلام نقتطف هذه الأبيات :

إملأ الأرض يا محمد نورا ... واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد في كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا
جئت ترمي عبابه بعباب ... راح يطوي سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمي ... امم الارض أن تذوق الثبورا

صنيع ضائع

سئل حكيم : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر الجود في أرض سبخة ، لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، وسراج يوقد في الشمس ، وجارية حسناء تزف الى أعمى ، وصنيعة تسدي الى من لا يشكرها .

هلم عن النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها ، قال : فذلكم مثلى ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحمون فيها » . رواه مسلم

---

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

المروءة

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فأين المروءة فيه ؟
فقال : في قوله تعالى : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » ... ففيه المروءة ، وحسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله « **خذ العفو** » صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين . ودخل في قوله « **وأمر بالعرف** » صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله « **وأعرض عن الجاهلين** » الحض على التخلق بالحلم ، والاعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء والأغبياء .

الخير

قيل للحسن بن سهل :
لا خير في السرف ...
فقال : لا سرف في الخير .

ثمر ... ولؤلؤ

قال عبد الحميد الكاتب :

القلم شجرة ثمرها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

تزاوروا ولا تجاوروا

كتب عمر أمير المؤمنين الى أبي موسى الاشعري .. رضي الله عنهما :
« مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا »



للدكتور/ أحمد شوقي الفنجري

يعقد في الكويت أول مؤتمر من نوعه للطب الاسلامي في الفترة من ١٢ ـ ١٦ يناير في فندق الهلتون حيث دعت وزارة الصحة العامة أطباء المسلمين من أكثر من ثلاثين دولة للتباحث في إحياء التراث الطبي الاسلامي .

وتنقسم البحوث في هذا المؤتمر الى ثلاثة عناصر رئيسية :ـ

(أولا) تعاليم الاسلام في الطب والعلاج : وما جاءت به من

اوامر لخلق المجتمع الصحي المنيع ضد الأوبئة والأمراض وما جاءت به من أخلاقيات مهنة الطب .
(ثانيا) تاريخ اطباء المسلمين وما قدموه في ظل الاسلام الى الانسانية من اكتشافات علمية وفضلهم على تطور الحضارة والعلم .
(ثالثا) طب الأعشاب : وهو الطب الذي نبغ فيه أطباء المسلمين وطوروه .
وقد وصلت الى لجنة الطب الاسلامي اكثر من ١٥٠ بحثا قيما من مختلف العالم حيث تقرر أن تنشر هذه البحوث في كتيب ضخم باللغتين العربية والانجليزية .. كما وجهت الدعوة الى اكثر من ستين طبيبا وباحثا من مختلف شعوب العالم الاسلامي للحضور والقاء ابحاثهم .. وسوف يفتتح المؤتمر بكلمة من وزير الصحة الدكتور عبد الرحمن العوضي ، ثم يعقبها افتتاح معرض الطب الاسلامي الذي يمثل مراحل تطور الطب الاسلامي في العصور المختلفة من ازدهار الاسلام .. ويضم عددا من اللوحات لأطباء المسلمين والآلات الجراحية التي ابتكروها والأعشاب التي استعملوها وانجازاتهم في شتى فروع الطب .
وفي ختام المؤتمر تصدر التوصيات التي تحث على تبني قسم طبي يقوم على شعائر الاسلام وتعاليمه بدلا من قسم أبقراط كما تطالب الكليات والمعاهد العلمية المختلفة في العالم الاسلامي بتبني دراسات الطب الاسلامي ورصد الجوائز للباحثين لخدمة هذا العلم بما يتلاءم مع تطورات القرن العشرين .
وسوف تذاع قرارات المؤتمر من مسجد فاطمة تيمنا برسالة المسجد الأولى التي كانت مصدرا للاشعاع على الدنيا كلها .
ويسر مجلة الوعي الاسلامي ان تقدم هذا المقال للدكتور احمد شوقي الفنجري الذي يعطي للقارىء فكرة شاملة عن قصة الطب الاسلامي ابتداء من عصر الجاهلية ثم ظهور الاسلام حتى عصرنا الحاضر ..

العلاقة بين الدين والطب : ـ

يختلف الاسلام عن غيره من الديانات في أنه قد جاء للدين والدنيا معاً .. وأنه الدين الوحيد الذي قاد دولة ومجتمعا وحكومة على ظهر الارض وهي دولة الرسول في المدينة .. ومن السماء مباشرة نزلت على الرسول كافة التعاليم والأوامر لادارة هذه الدولة .. فمن ذلك أوامر للعلاقات الاجتماعية . وأوامر لنظام الحكم وأوامر اقتصادية وأوامر عسكرية وبطبيعة الحال أوامر في صحة هذا المجتمع . وهي ما نسميه اليوم بالطب الاسلامي ، والهدف منها اقامة المجتمع الاسلامي الصحي المنيع ضد الاوبئة والامراض المعدية ـ القوى لحمل الرسالة وأداء الأمانة ..

تعاليم الاسلام في الطب الوقائي :

الطب الوقائي يشتمل على مجموعة من القوانين والارشادات لانشاء المجتمع الصحي .. فمن هذه القوانين ما يختص بالوقاية من الامراض المعدية ومنها ما يختص بالغذاء السليم .. ومنها ما ينظم مهنة الطب العلاجي .. ومن هنا نستطيع ان نقول إن الاسلام قد شمل بتعاليمه الطبية الجانب الوقائي والتنظيمي .. ولكنه لم يتناول الطب العلاجي لأن هذا ليس من صميم الدين ولا اختصاصه .

الطب والعلاج قبل الاسلام : ـ

قبل ظهور الاسلام كان هناك اعتقاد بين الناس أن المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة .. وكانت الكنيسة في الدولةالبيزنطية بناء على هذا الاعتقاد تمنع الناس من الطب والدواء .. وتقصر العلاج على الدعاء وعلى صلاة الاستغفار وعلى اضاءة الشموع حول المريض لطرد شيطان المرض فاذا لم يشف المريض كان ذلك يعني أن ايمانه ضعيف .

وكان لدى العرب في الجاهلية اعتقاد قريب من هذا .. فكانوا يعتمدون في العلاج على الطقوس للأصنام .. وعلى البخور وزجر الطير والاستقسام بالازلام .. وعلى شرب القداح وقراءة الطالع والنجوم .. وعلى تعليق التمائم في صدور المريض أو وشمه في وجهه ورأسه . وكان الطبيب يسمى الكاهن أو العراف .. وكان الكاهن يقرأ على المريض بعض الكلام الغامض الذي يعتمد على السجع دون ان يكون له معنى . ثم يطلب منه فدية يقدمها على مذبح الآلهة حتى تشفيه . وقد تكون هذه الفدية ناقة أو شاة .. وقد يصل الأمر الى تقديم القربان بأن يطلب من المريض وأد أو قتل طفله المولود .

الاسلام يقضي على الكهانة والخرافات الطبية : ـ

عندما اشرق نور الاسلام .. كان أول ما فعله أن قضى على عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بها من طقوس وخرافات وكهانة .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

« من جاء كاهنا أو عرافا فآمن بما يقوله فقد كفر بما انزل على محمد » رواه مسلم والحاكم .

وبذلك حسم الاسلام حسما قاطعا .. وفصل الكهانة والعرافة عن الطب والدواء . فقد كان الاطباء يربطون بين المرض وغضب الآلهة وبين الطقوس الكهنوتية وبين شفاء المرضى .. اما الدواء والطب فقد كان نصيبهما من العناية والاهتمام قليلا حتى تخلفت مهنة الطب وانحصرت في العلاج البدائي مثل الحجامة والكي وبعض الأعشاب .

ولم يكتف الاسلام بذلك بل نهى عن كل ما يتعلق بالكهانة من خرافات طبية .. فمن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لا هامة ولا طيرة ولا عدوة ولا صفر » رواه البخاري .

فقد كان الكهان في الجاهلية يربطون بين المرض وبين الشؤم وزجر الطير والسفر في شهر صفر وكانوا يعتقدون أن للمرض شيطانا يظهر له هامة بالليل فنهى الاسلام عن هذه الاعتقادات الباطلة الخرافية .

وكان أطباء الجاهلية ايضا يعلقون على صدر المريض تميمة تبعد عنه المرض .. وكانت التمائم انواعا مختلفة .. منها حجر من مكان معين .. أو تمثال صغير لأحد الآلهة .. أو رأس حيوان محفوظ مثل رأس الثعبان .. وما زالت هذه التمائم معروفة في كثير من الدول غير الاسلامية في أسيا وأوربا .. حيث يعلقون حدوة حصان أو بصلة أو رأس ثعبان على باب البيت ليطرد المرض والشر .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه احمد وفي قول آخر « من علق تميمة فلا أتم الله له » رواه احمد .

ومن الخرافات الباطلة التي نهى عنها الاسلام ايضا الوشم لطرد المرض .

وكان الوشم على صدر المريض أو رأسه أو وجهه على هيئة اله من الآلهة أو على هيئة شيطان أو جنية أو ثعبان لكي يفزع المرض ويطرده ..

وما زالت هذه العادة حتى اليوم معروفة في أوربا ، حيث رسم البحارة بالوشم جنية البحر على أجسادهم لكي تبعد عنهم شيطان المرض والغرق .. وقد نهى الاسلام عن الوشم لأنه تشويه لخلقة الله علاوة على أنه خرافة باطلة وشرك بالله وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لعن الله الواشمة والمتفلجة » رواه مسلم .

وقبل الاسلام ايضا كان الاطباء يعتمدون على قراءة الغيب والمستقبل لمعرفة هل يشفى المريض أم لا ومتى يشفى .. فكانوا يستطلعون النجوم أو يضربون الودع أو القداح على رأس المريض .. ويستقسمون بالأزلام فجاء الاسلام بأمر حاسم في هذا الشأن واعتبره موازيا للكفر والشرك بالله .. اذ يقول الله تعالى :

(وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق) المائدة/٣

والأزلام جمع زلم وهو سهم لا ريش فيه مكتوب عليه كتابة ويختار المريض أحد السهام دون أن يراه فاذا ظهر سهمه كان ذلك مستقبل المرض .

وعندما تبين الأطباء العرب أن الاسلام قد نهى عن كل هذه الأمور قرروا الاجتماع برسول الله في أول وفد طبي من نوعه لمعرفة أوامر الاسلام في الطب والدواء والتمريض .

تعاليم الاسلام في الطب

كان وفد الأطباء الذي حضر الى المدينة المنورة لكي يجتمع برسول الله يتألف من كهان القبائل العربية المختلفة من اليمن ونجران والطائف ويثرب وغيرها .. وكان المتحدث باسمهم الشمردل طبيب بني نجران فقال :

« يا رسول الله .. اننا كنا في الجاهلية أطباء قومنا وكهانهم .. وقد امتنعنا عن ذلك في الاسلام وجئناك حتى نعرف ما يحل لنا أن نفعل ».

فأخذ رسول الله يلقي عليهم تعاليم الاسلام في هذه المهنة الخطيرة .

١) قال صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » رواه أبوداود والنسائي .

وفي هذا الحديث الشريف يعتبر أول اشارة أو أمر عرفته الانسانية عن الرخصة الطبية .. ومعناه أن من طبب أي مارس مهنة الطب ولم يكن لديه علم ودراسة لهذه المهنة وهو ما يقصد به في عصرنا الحاضر (شهادة أو أجازة طبية) فهو ضامن أي مسئول أمام القانون ..

وكان من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا للأطباء قوله :

٢) « لا تداووا أحدا حتى تعرفوا داءه » رواه مسلم .

وهذا النص كان القاعدة لما استنه أطباء المسلمين فيما بعد من ضرورة المشاهدة السريرية .. وضرورة فحص المريض جيدا قبل العلاج وهو أسلوب جديد لم يعرف قبل الاسلام وقد نقله الغرب عنهم .

٣) وكان من تعاليم الرسول أيضا في الطب قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى لم ينزل داء الا

جعل له الدواء علمه من علم وجهله من جهل . فاذا أصاب الدواء الداء برأ المريض باذن الله .. » رواه مسلم .

وهذا الحديث يعبر عن حقيقة علمية هامة وخطيرة في تاريخ الطب .. فقبل الاسلام كان هناك اعتقاد عند الأطباء أن هناك أمراضا لا شفاء لها .. ولا دواء لها .. فاذا بالرسول يعلن أن لكل مرض في هذه الدنيا دواء يشفيه .. واذا كانت هناك أمراض لا نعرف دواءها أو نجهل علتها اليوم فذلك لا يجب أن يدعونا الى اليأس منها .. بل علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها الشفاء الناجع .. وقد كانت هذه الحقيقة الخطيرة من أهم أسباب تقدم المسلمين في علوم الطب واكتشافهم للكثير من الأدوية وتطلعهم الى معرفة علوم السابقين وغيرهم من الشعوب .

٤) ومن تعاليم الاسلام أيضا الى الأطباء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا حضرتم المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك يطيب خاطره وان لم يرد عنه شيئا » . رواه الترمذي ، وهذه قاعدة يعرف أهميتها أطباء العصر الحديث .. فان المريض يتعلق بكلمة تشجيع يلقيها عليه طبيبه .. وكثيرا ما ترفع هذه الكلمات معنويات المريض فتساعده على التغلب على المرض .

هذا الى جانب الكثير من **التعاليم السماوية مما أوحى به الله تعالى على لسان نبيه . ومما كان له أعظم الأثر في تقدم مهنة الطب الاسلامي وفي الانجازات الضخمة التي ظهرت على الأجيال المتعاقبة من أطباء المسلمين .**

طب الحرب في غزوات الرسول :

وأنزل الله أمره الى المسلمين بالجهاد والقتال في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوة الحق . وسارت جيوش المسلمين من غزوة الى غزوة .. يصاحبهم أطباؤهم وممرضاتهم .. وكان في هذه المعارك جراح كثيرة من الجانبين .. ففي معركة أحد وحدها بلغ عدد الجرحى المسلمين ١٥٠ جريحا وعدد القتلى سبعين .

ولأول مرة في التاريخ يطبق المسلمون مبدأ الطهارة الذي أمر به الاسلام في الجراحة والتمريض .. فقد كان من أوامر رسول الله الى المسلمين قوله : « طهروا هذه الأعضاء طهركم الله ونخلوها بالماء » رواه الطبري .. وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أطباء المسلمين بغسيل الجراح بالماء المحرق (أي المغلي سابقا) .

وبفضل مبدأ الطهارة كانت جراح المسلمين تشفى بسرعة مذهلة فحتى عهد قريب كان الأطباء في أوروبا يدخلون غرفة

العمليات وفي أيديهم بقايا الطعام وكانت المرضة تداوي الجرحى وفي يديها بقايا القمامة أو آثار الطبخ .. وعندما طالب طبيب أمريكي لأول مرة في تاريخ الغرب طالب زملاءه بغسيل أيديهم قبل العملية سخروا منه وحسبوه مخبولا .. فمن يتصور أن الاسلام قد جاء بمبدأ الطهارة قبل الغرب بأربعة عشر قرنا من الزمان ..

التمريض في الاسلام :

وكان للمرأة في غزوات الرسول دور كبير في التمريض .. فكان من المرضات في جيش الرسول أم أيمن وأم عمارة ورفيدة الأنصارية .. وقد كونت رفيدة فريقا من المرضات وكونت أول مستشفى ميدان متنقل عرفه التاريخ وقد صحبن الرسول في كل غزواته .. وكانت تقسمهن الى كراديس أي فرق .. بعضهن للعمل في الاسعاف في الميدان وتحت سنابك الخيل .. وفريق آخر للاسعاف في مركز قيادة الرسول وفريق ثالث في خيمة الميدان ..

ومما يشهد لنساء الصحابة بالتفوق في الطب والتمريض تلك الرواية التي تذكر عن القائد العربي خالد بن الوليد فعندما حضرته الوفاة قال قولته المشهورة :

« لقد دخلت عشرات المعارك . وما في جسدي موضع الا فيه أثر ضربة من سيف أو طعنة من رمح .. ومع ذلك فهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير » .

وقد أحصى بعض الصحابة الجراح في جسم خالد بأنها قرابة الأربعين جرحا .. بعضها غائر يسع قبضة اليد .. فاذا كان خالد بعد هذا كله توفى على فراشه في ميتة طبيعية فانما ذلك دليل على تقدم الطب والتمريض في عهد الاسلام الأول وخاصة طب الحرب وذلك كله بفضل مبدأ الطهارة الذي جاء به الاسلام .

المسلمون والترجمة من طب الأغريق والفرس :

وبعد أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعت الفتوح الاسلامية حتى وصلت الى الصين شرقا والأندلس غربا .. وانضوى تحت راية الاسلام عدد كبير من الشعوب والأجناس والحضارات ، ويجمع المستشرقون على أن المسلمين الأولين كانوا لا يقلون حماسا وتشوقا الى جمع العلم عن حماسهم للجهاد والقتال حتى كان الرومان يسمونهم « المتوحشــون العلمــاء » LEARNED SAVAGES وقد أقبل المسلمون بسرعة مذهلة على تدارس الحضارات والعلوم السابقة وخاصة علوم الأغريق .. وذلك عملا بأمر نبيهم الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي .

وقد بلغ اهتمام المسلمين بترجمة علوم الشعوب الأخرى ان كان الخليفة يكافىء من يترجم كتاب من كتب جالينوس أو بقراط في الطب بمثل وزن الكتاب المترجم ذهبا . فاذا علمنا أن الكتب في تلك العصور كانت من جلد الغزال السميك لتصورنا ضخامة المكافأة .. وكانت أعظم هدية يمكن أن تقدم الى أي قائد مسلم فاتح هي كتاب من كتب العلم والطب القديمة ..

وقد قيل ان أول ترجمة الى العربية عن الأغريقية تمت بأمر عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ حيث كلف بعض الأطباء النسطوريين أمثال ماسرجويه وثياذون بترجمة كتب أبقراط ونشر العلم بين المسلمين .

وقد أغرت هبات الخلفاء التراجمة من أهل الذمة بالاقبال على هذا العمل فاشتهر منهم حنين بن اسحاق .. واسحق بن حنين .. وعيسى بن يحيى .. ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق ..

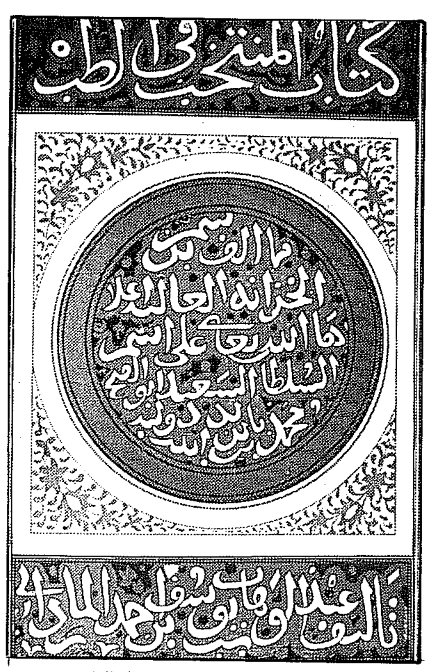
ولم تكن الترجمة قاصرة على علوم الأغريق وحدها .. بل أن المسلمين في شغفهم الشديد للعلم قد ترجموا كتب الفرس والصين والهند .. وكان الخليفة اذا حصل على كتاب مترجم جمع أطباء المسلمين وأمرهم بالعكوف على دراسته والاستفادة منه عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

مرحلة النقد والتأليف :

وانتهت مرحلة النقل والدراسة واستيعاب العلم ..

وجاءت مرحلة الغربلة ونقد الأخطاء ..

لقد كان أمحتب عند المصريين يسمى اله الطب وكان أبقراط وجالينوس أيضا آلهة للطب عند الاغريق .



● غلاف كتاب المنتخب في الطب

أما في نظر المسلمين فلم يكن أحد من هؤلاء أكثر من بشر يصيب ويخطيء .. وكانت كتب الاغريق رغم ما فيها من علوم غزيرة كانت لا تخلو من الأخطاء والانحرافات

والخرافات . وذلك بحكم أنهم كانوا أمة بغير دين وكانوا يعبدون الحجارة ويعبدون البشر كعرب الجاهلية .

وابتدأت الحاجة الملحة في العالم الاسلامي الى أن يكون للمسلمين علمهم وطبهم الخاص بهم .. والمبني على تعاليم دينهم .. الى جانب ما درسوه من علوم السابقين .. وهكذا ظهر أول عملاق في تاريخ الطب الاسلامي .. انه شيخ الأطباء المسلمين أبو بكر محمد بن زكريا الرازي سنة ٨٣٠م وتلاه عملاق آخر هو ابن سيناء ثم ابن الهيثم وابن النفيس والزهراوي وعشرات غيرهم ممن بزوا علم أبقراط وجالينوس بعلمهم وطبهم ..

شيخ الأطباء الرازي

ولد الرازي سنة ٨٣٠م في مدينة الرى .. وقد شغف بدراسة علوم الطب في سن متأخرة ومع ذلك فقد بلغت مؤلفاته في الطب وحده أكثر من ١٢٣ كتابا ومصنفا .. أهمها كتاب الحاوي الذي ظل يدرس في أوروبا على مدى قرون متوالية حتى القرن السابع عشر الميلادي .. وتقديرا لعلم الرازي وفضله على أوروبا فقد قررت جامعة برستول بانجلترا وضع صورته في أكبر قاعات للمحاضرات بها وسمتها باسمه ..

والرازي أول من اكتشف مرض الحصبة وميزه عن الجدري حيث



● الرازي يكتشف الحصبة



● صفحة من كتاب في الطب

كان الظن أن المرضين واحد .. وهو أول من اكتشف ما يعرف في عصرنا الحاضر بمرض الحساسية .. وقصته كما يرويها أن مريضا جاءه يشكو من نوبات من الرشح الشديد والتهاب في العيون وتورم وحكة في الوجه . ويقول الرازي أنه قد لازم هذا المريض مدة من الزمن في حله وترحاله وطعامه حتى يعرف سبب المرض فاكتشف أنه يصيبه في موعد معين هو موسم الربيع .. وأنه يزيد عندما يشم الزهور فكتب عن هذا المرض الذي يظهر مع (موسم الربيع وتفتح الورد) .

والرازي أول من اكتشف مرض تكسر الدم من أكل معين .. مثل البقول .. وميز هذا المرض عن مرض الصفراء الذي ينجم عن التهاب في الكبد .. وأثبت خطأ أبقراط في تصوره أن مرض الصفراء لا يأتي الا من مرض في الكبد .. وهو أول مكتشف لأسباب اليرقان وأنواعه وعلاجه .. وقد ألف الرازي كتابا عظيما باسم« الشكوك والمناقضات في كتب جالينوس » .

وقد أحدث هذا الكتاب دويا هائلا بين علماء عصره المسلمين وغير المسلمين اذ كان الاعتقاد السائد أن جالينوس لا يخطيء وأنه منزه عن النقد وأن أقواله حجة مسلم بها .. ولكن الرازي استطاع اثبات كل آرائه بالحجة والبرهان العلمي والعملي ..

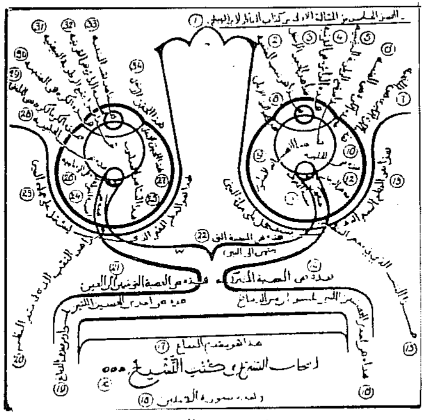
وقد أصيب الطبيب الرازي بالعمي في آخر حياته .. وقد سئل كيف لم يستطع مداواة نفسه وخاصة أنه كتب عن أمراض العيون وعلاجها .. فكان في رده علم غزير .. فقد ذكر أن اصابته بالعمى هي ما يسمى بالماء الأبيض وأنه يعلم أن دواءه الوحيد عملية جراحية . ولكنه كان لا يجد في أطباء عصره من يبزه علما وخبرة ولذلك آثر أن يبقى على حاله عن اجراء الجراحة ..

ومن أعظم انجازات الرازي مصنف في آداب مهنة الطب ضمنه أخلاقيات مهنة الطب في الاسلام وكل نصائحه الى الأطباء وطلبة الطب بل وأيضا الى المرضى في

علاقتهم بالطبيب .

التشريح عند المسلمين

من المعروف ان جميع الشرائع السماوية تحرم التمثيل بالميت كما تحرم نبش القبور .
ولكن في الاسلام قاعدة تقول : ان الضرورات تبيح المحظورات وان ما لا يتم الواجب الا به يصبح واجبا . فاذا كان التشريح ضرورة للمساعدة في اكتشاف جريمة قتل كما هو الحال في الطب الشرعي .
او ضرورة لتشخيص سبب الوفاة من مرض فتاك بقصد انقاذ الاحياء من نفس المصير كما هو الحال في الاوبئة الفتاكة .. فهذا يدخل تحت هذه القاعدة . وهذا هو الطبيب والفيلسوف المسلم ابن رشد يقول عن التشريح بالحرف الواحد .. « ان الذي يعرف التشريح جيدا ويعرف علم وظائف كل عضو في الجسم فأن ايمانه بالاعجاز الالهي لا بد ان يزيد » وقد جاء في كتاب فردوس الحكمة ان اطباء المسلمين كانوا يتعلمون التشريح على القرود .
وجاء في كتاب « طبقات الاطباء لابن اصيبعة ان الخليفة المعتصم سنة ٨٣٦ هـ قد أمر واليه على النوبة ان يمد اطباء المسلمين بحاجتهم الى نوع معين من القرود شبيه في جسمه واعضائه بالانسان وقد امر ببناء مركز خاص للتشريح على ضفاف نهر دجلة .. وكان يشرف على هذا المركز الطبيب المعروف « بوضد ابن ماسوية » .
ولم يخل كتاب من مؤلفات المسلمين في الطب مثل الحاوي للرازي والقانون لابن سيناء من باب مستقل عن التشريح توصف فيه الاعضاء المختلفة بالتفصيل وكل عضلة وعرق باسمه . وكان الرازي يمتحن المتقدمين للأجازة الطبية في التشريح اولا .. فاذا لم يعرفوه جيدا رفض امتحانهم على المرضى .



● تشريح العين

وقد كان المسلمون يعتمدون اول امرهم على ما كتبه الاغريق في التشريح ولكنهم اكتشفوا عن طريق التشريح الفارق الكبير من الاخطاء في علوم اليونان .. فأبتدءوا الاعتماد على انفسهم وكان اعظم اكتشافاتهم في هذا المجال هو الدورة الدموية لابن النفيس .

الجراحة والتخدير في الطب الاسلامي

يقول المثل الدارج « اذا كان الطب



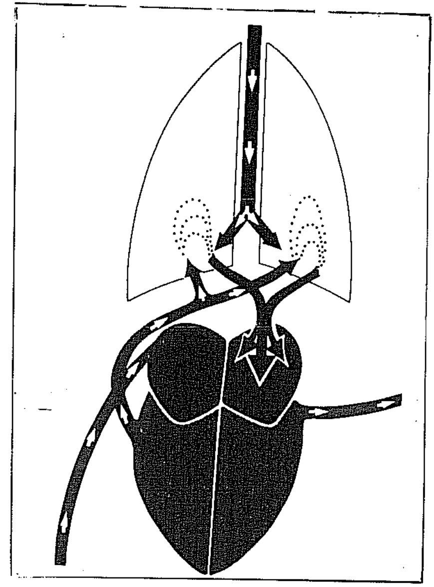
● تشريح الجهاز التنفسي

الباطني يتطور في زمن السلم فان الجراحة وليدة الحروب .. ولم يعرف التاريخ امة كل حياتها وتاريخها جهاد وحروب وفتح كالأمة الاسلامية ..

ومن هنا كانت انجازات المسلمين في الجراحة مذهلة ومن المعروف في التاريخ ان المسلمين اول من اكتشف التخدير الكامل قبل الجراحة ولذلك قصة هامة :

فقبل الاسلام لم تكن الانسانية تعرف اي دواء مخدر او مغيب عن الوعي قبل الجراحة .. وكانوا في بعض الاحيان يضربون المريض على رأسه ليفقد الوعي او يسقونه كمية من الخمر حتى يخف الالم . وكان لذلك اخطاء جسيمة .. وعندما ذهب وفد الاطباء الى رسول الله يسألونه عن الطب في الاسلام طلب بعضهم منه ان يأذن لهم باستعمال الخمر كمخدر قبل الجراحة .. فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عنها وقال لهم : « انها داء وليست دواء .. وما جعل الله شفاء امتي فيما حرمه عليها » . ومن تلك اللحظة ابتدأ المسلمون البحث عن دواء مخدر يغني عن الخمر فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى « القناب العربي » المستعمل الآن في الجراحة .

واذا كانت السيوف العربية قد ذاع صيتها في التاريخ لصلابة معدنها وحدة شفرتها فان هذا يدل على تفوق المسلمين في صناعة الصلب والمعادن وهذا ما ساعدهم على التفوق في تصنيع الآلات الجراحية .. ويعتبر



● الدورة الدموية كما اكتشفها ابن النفيس

الطبيب الاندلسي ابو القاسم الزهراوي المولود سنة ٩٤٠ م زعيم الجراحين المسلمين وقد ظل وحيد عصره ورائد الجراحة في العالم حتى القرن السابع عشر الميلادي ..

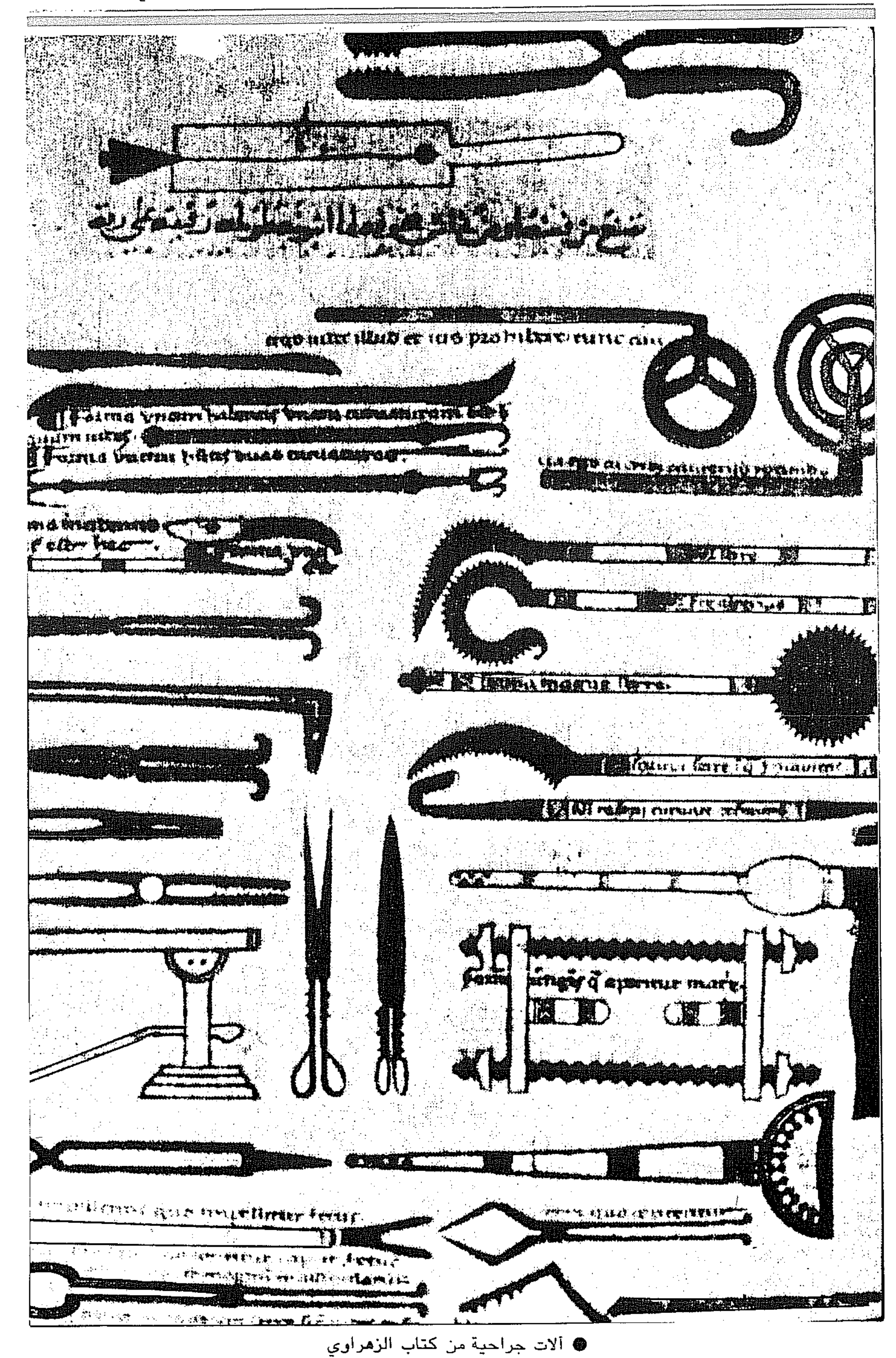
لقد وصف الزهراوي في كتبه موسوعة كبيرة من آلات الجراحة معظمها من اختراعه وابتكاره .. واعطى وصفا دقيقا لكل آلة من ناحية الحجم والطول والمادة المستعملة فيها فمنها آلات من الفضة واخرى من الصلب وثالثة من النحاس .

وقد ابتكر ابو القاسم الزهراوي والمعروف في اوروبا (بكاسيس) ابتكر عددا من العمليات لم تكن معروفة قبل عصره واكثرها يستعمل حتى عصرنا هذا كما جاء في كتبه .. فهو أول من استعمل عملية ربط الشرايين أو توصيلها واستعمل في ذلك خيوطا من جدار امعاء الغنم . كما انه أول من استعمل الحرير واوتار العود في خياطة الجروح .. وقد ابتكر عمليات استخراج الحصى من المثانة وعمليات قطع اللوزتين .. وهو أول من استعمل تقويم الاسنان بربطها بأسلاك من الذهب وهو اسلوب لم يعرفه الغرب الا في اواخر القرن العشرين .. واثناء الحروب الصليبية شاهد الاوروبيون عند احتكاكهم بالمسلمين .. شاهدوا معجزات الجراحة الاسلامية بالقياس الى تخلفهم الشديد . فكان ملوكهم لا يثقون الا بالاطباء المسلمين لعلاجهم واجراء الجراحات الكبيرة لهم .

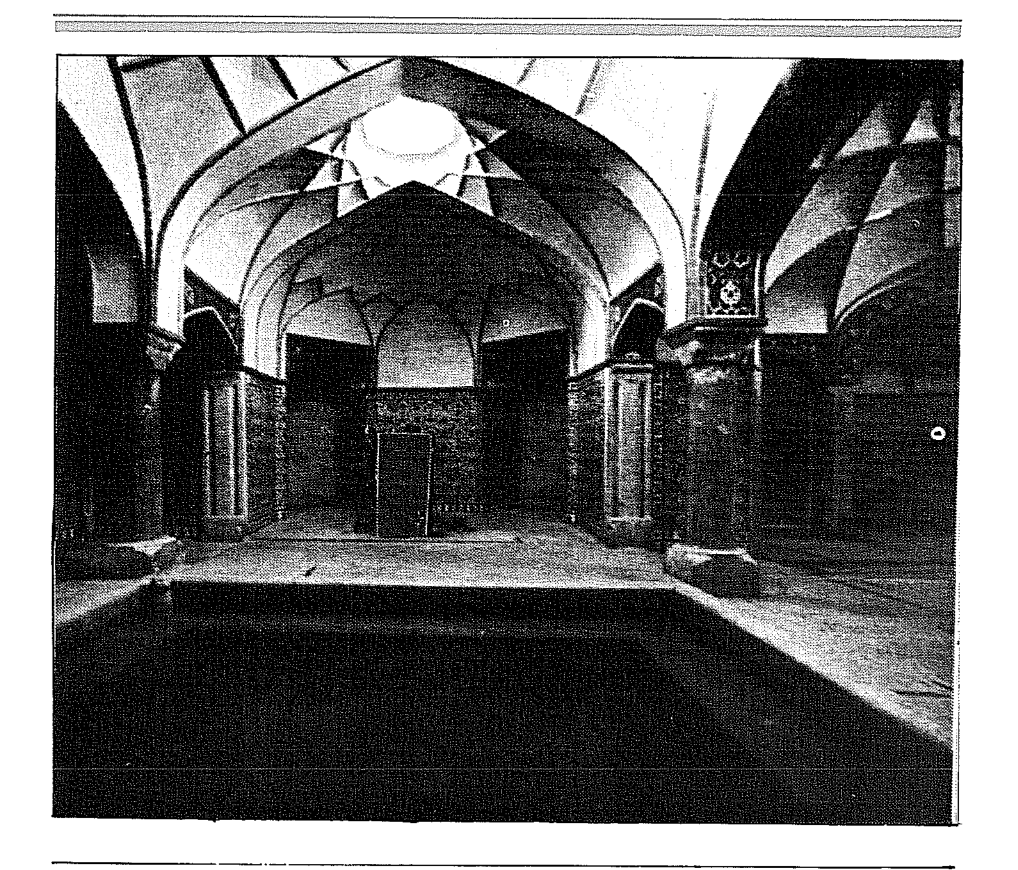
وهذه الصورة التاريخية الموجودة في متاحف اوروبا اليوم تبين احد ملوك اوروبا وقد استدعى اطباء مسلمين لاسعافه واجراء الجراحة له ويرى الطبيب المسلم يفحص بوله في القارورة قبل الجراحة وقد عثر على **هذا الرسم في قصر الملك تخليدا لذكرى الطبيب المسلم الذي أنقذ** حياته فاصبحت اليوم ملكا للتاريخ .. ورمزا لفضل حضارة المسلمين على الغرب ..

المستشفيات الاسلامية

لقد عرف عن الدولة الاسلامية في عهود ازدهارها الاهتمام الشديد بمباني ومؤسسات الخدمات العامة كالمساجد ودور العلم والحمامات والاستراحات والمطاعم الشعبية ... ولكن اهتمامهم الاكبر كان بالمستشفيات وكانت هذه المؤسسات كلها تتسم بالنظافة والجمال معا . وذلك عملا بأمر الرسول الكريم : « ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكم وافنيتكم » رواه الترمذي وتشير كتب التاريخ ان المسلمين أول من بنى المستشفيات في التاريخ وقد كان اول مستشفى تخصصي عرفته الدنيا الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م في بغداد ثم بنى مستشفى ابن طولون سنة ٨٧٤ م ثم المستشفى المنصوري ، ولم يأت القرن الحادي عشر الميلادي حتى بلغ عدد المستشفيات في العواصم الاسلامية ٦٠ مستشفى وذلك قبل ان تعرف اوروبا المستشفيات بثلاثة قرون .. ولم يكن بناء المستشفيات في الاسلام يتم الا بعد دراسة بيانية وتخطيط علمي دقيق تبينه هذه الحادثة التي يذكرها شيخ الاطباء الرازي في كتبه



● آلات جراحية من كتاب الزهراوي

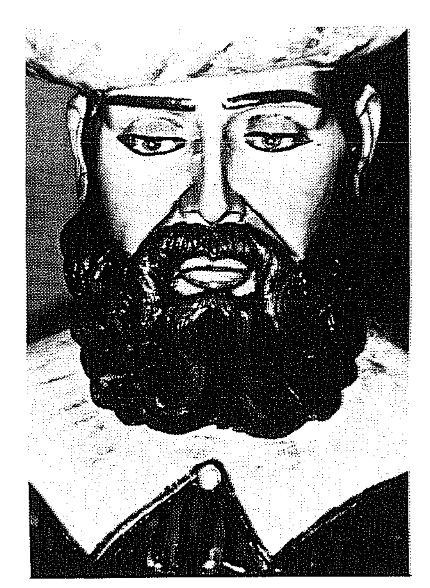


● الحمام (من وسائل العلاج الطبيعي في الطب الاسلامي)

في القرن التاسع الميلادي في عهد الخليفة المنصور .. فعندما طلب منه الخليفة الاشراف على بناء مستشفى ضخم في بغداد اشترى كمية كبيرة من اللحم . وقسمها الى عدة اجزاء واخذ يعلق في كل ضاحية من ضواحي المدينة قطعة من اللحم . ووضع عليها الحراس ليل نهار حتى لا يمسها طير أو حيوان أو انسان وكان كل يوم يمر على اللحم ويكشف عليه ويأخذ منه عينة يفحصها في مختبره . والموضع الذي لم يتعفن فيه اللحم اعتبره اصلح المواضع للمستشفى لأن ذلك معناه نقاء هوائه وصلاحيته للاستشفاء .

البيمارستان

كان العرب أول الأمر يطلقون على المستشفى اسم البيمارستان وهي كلمة فارسية معناها « مكان المرضى » ثم غيروا الاسم الى



● ابن سينا

« المستشفى » أي مكان طلب الشفاء وفي أوروبا كانت المستشفيات عبارة عن ملاجئ عامة للفقراء والمعوزين والحجاج الى جانب المرضى . وكان الهدف منها الاحسان والايواء أكثر من الطب والعلاج ولذلك كانت تسمى Hospital وهي كلمة مشتقة من Hospitality أي الكرم والمعونة . ويعطينا المؤرخ الكبير ابن بطوطة في القرن الخامس عشر الميلادي وصفا للمستشفيات التي زارها في العواصم الاسلامية مثل غرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد . وكان أكبرها « المستشفى الأكبر المنصوري » . الذي بني سنة ١٢٨٤ م والذي انفق على البناء وحده ثلاثة آلاف الف « أي ٣ ملايين » دينار . كانت المستشفيات الاسلامية بالمجان لجميع الناس غنيهم وفقيرهم .. والمسلم والذمي .. والرجال والنساء .. والأبيض والاسود لا تفرقة بينهم .. وكانت بها اجنحة متخصصة للعيون والجراحة والحميات والأطفال .. كما كان فيها جناح خاص للمسنين فقد كان المسلمون اول من وضع قواعد « علم طب المسنين عملا بأوامر القرآن وكان على الجناح هذه الأية الكريمة : **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)** الاسراء/ ٢٤ وكان يتبع المستشفى مطابخ ضخمة توزع الطعام على المرضى حتى بعد خروجهم الى بيوتهم وكان بها صيدليات وقاعة محاضرات للاطباء ..

وكان المسلمون يهتمون جدا بنفسية المريض ومعنوياته في المرض .. فكان في الصباح يأتي المقرئون ليقرءوا عليهم القرآن .. ويفقهوهم في الدين .. وفي المساء تحضر الفرق الموسيقية لتعزف موسيقى ترفيهية وفي الليل يحضر عازف على آلة منفردة للمساعدة على النوم . وكان المريض الفقير منذ لحظة دخوله المستشفى يعطي راتبا من الدولة حتى لو لم يكن موظفا فيها وذلك لينفق منه على أولاده ..

فاذا غادر المستشفى زاد الراتب طوال فترة النقاهة حتى لا يضطر الى العمل قبل اكتمال صحته . والمسلمون أول من بنى المستشفيات للمجانين والامراض العقلية والمتخلفين عقليا في وقت كانت أوروبا تضع الحديد والقيود في أيديهم وأرجلهم ويضربونهم

بالسياط ، لكـــي يخرج الجن من أجسادهم ويحبسونهم في قبو مظلم في البيوت . وقد كان بعض الخلفاء يزورون المجانين في المستشفيات بأنفسهم من باب الرحمة والاشراف على رعايتهم .

وقد كان المسلمون أول من أنشأ العزل الصحي للأمراض المعدية وذلك عملا بأمر الرسول الكريم « لا يورد بمرض على مصح » (رواه مسلم) أي لا يجوز أن يختلط المريض بمرض معد بغيره من الاصحاء ..

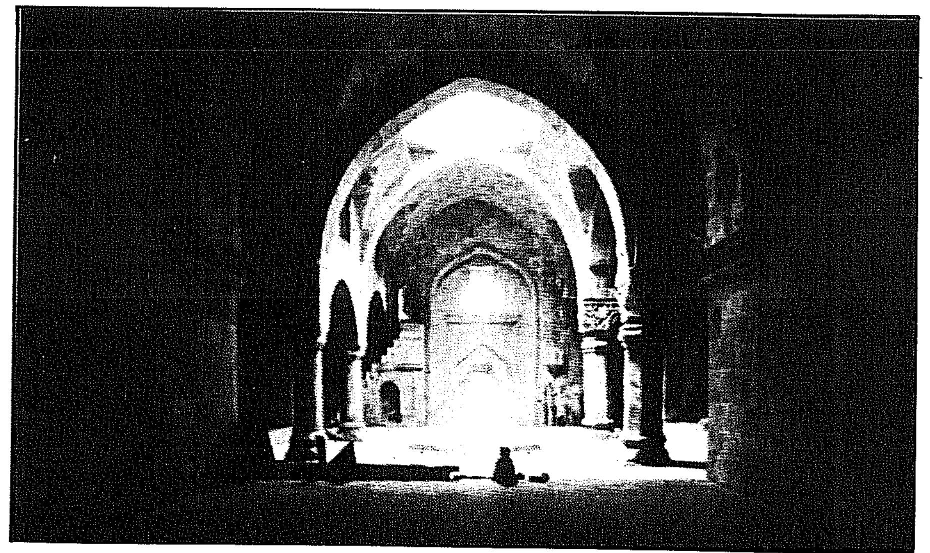
وفي أجنحة الحميات كان الجو يلطف بنافورات المياه التي تعمل ليل نهار .

أول رخصة طبية عرفتها الانسانية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » فهذا الحديث النبوي الكـريم اول اشارة في التاريخ الى وجوب مراقبة محترفي مهنة الطب وعدم السماح لمن ليس لديه علم أو خبرة أو المشعوذين والدجالين بالاضرار بالناس ..

وبناء على هذه القاعدة فقد كان المسلمون اول من عرف الرخصة الطبية وامتحان الطبيب قبل حصولة على اجازة العمل . وقد حددت اول رخصة طبية رسمية عرفتها الانسانية في سنة ٣١٩ هـ اي في القرن العاشر الميلادي على يد الخليفة المقتدر .

ولم يكن امتحان الاطباء أمرا سهلا أو هينا .. وهذا هو شيخ الأطباء المسلمين الرازي ، يضع قواعد امتحان الطبيب فيقول : « يمتحن



● مستشفى قلاوون

طالب الطب أولا في كتب الطب التي وضعها الأولون واللاحقون .. ويمتحن في التشريح ومنافع الأعضاء .

فاذا لم يكن لديه علم بذلك كله ، فلا حاجة بك أن تمتحنه على المرضى »
ولم تقتصر الرخصة الطبية على الأطباء وحدهم .. بل تعدتهم الى الصيادلة .. ففي عهد الخليفة المأمون جاءه طبيبه وكبير أطباء الدولة يشكوان اليه من أن بعض الصيادلة « وكانوا يسمون العشابين » يعطي المريض اي دواء من عنده دون التزام بالوصفة التي يكتبها الطبيب « وكانوا يسمون الوصفات بالأنعات » .

فأراد الخليفة ان يمتحن الصيادلة بنفسه وامر طبيبه ان يكتب عدة وصفات باسم (سقطينا) ولم تكن سقطينا هذه كلمة طبية بل اسم ضيعة للخليفة . وذهب رسل الخليفة بالوصفات الى الصيادلة فبعضهم قبض الثمن وأعطى أي دواء من عنده والآخرون قالوا انهم لم يسمعوا بهذا الدواء ومن ذلك اليوم أمر الخليفة بامتحان الصيادلة ومنع الذين غشوا الدواء من مزاولة المهنة .

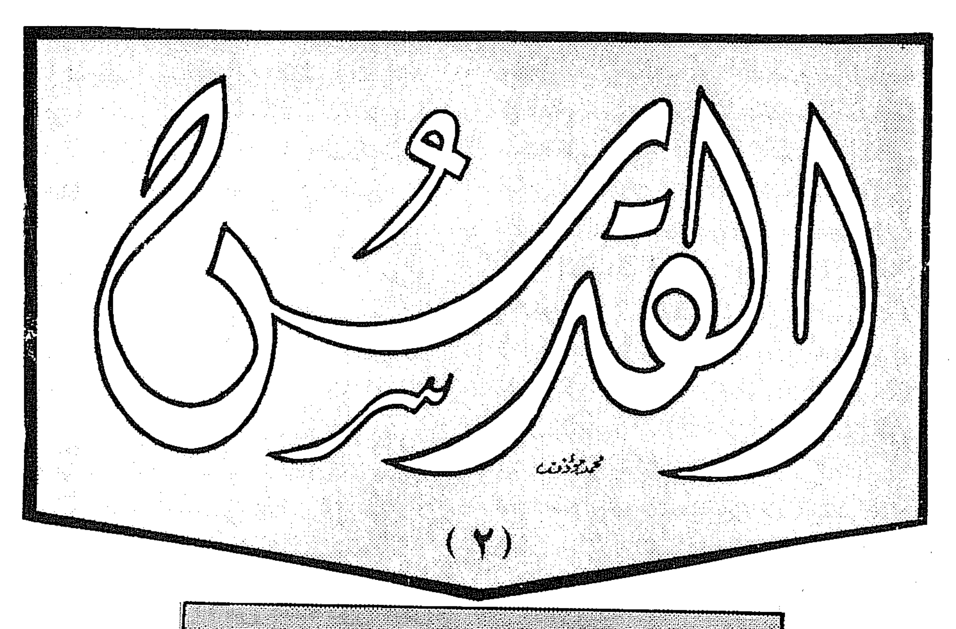
الطب الاسلامي يزحف على اوروبا

وفي القرن الحادي عشر الميلادي تأسست أول كلية للطب في أوروبا في مدينة سالرنو بايطاليا .. وكان مجلس ادارة هذه الجامعة يتألف من أربعة أساتذة أولهم عربي مسلم والثاني تركي مسلم والثالث يهودي من العالم الاسلامي والرابع مسيحي روماني .

وبدأت أول نهضة في أوروبا أثناء احتكاك الصليبيين بالمسلمين في الحروب الصليبية .. فقد عرف ملوك أوروبا قيمة تفوق العرب وأمروا بترجمة جميع كتبهم من العربية الى اللاتينية أولا ثم الى كافة اللغات الأوروبية ..

وكان التدريس في كليات الطب في أوروبا حتى القرن ١٥ الميلادي يعتمد على كتب الرازي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم ...

ومع افول نجم الامبراطورية الاسلامية بعد أن ظلت تحمل مشعل العلم ثمانية قرون متوالية .. انتقل العلم العربي الى الغرب .. وهكذا حال الدنيا .. لا تدوم على حال فهل آن الأوان لكي يقوم المسلمون من سباتهم الذي مضى عليه أربعة قرون . هل يعودون الى سابق امجادهم .. هل يعودون الى حمل شعلة العلم والنور كهداة للانسانية وقادة للبشرية الى الخير والرخاء .. هذه هي رسالة الأجداد الى الأحفاد .. وهذه هي أوامر دينهم الحنيف .. يأمرهم بالعودة الى العلم كما بدأوا به ..



تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الإسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

كان لمدينة القدس في التاريخ أسماء كثيرة اقدمها يبوس نسبة الى اليبوسين بناة القدس وهم بطن من بطون العرب الاوائل نشأوا في الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها واستوطنوا هذه الديار سنة ٣٠٠ قبل الميلاد .

وكان اسمها عندما فتحها المسلمون أيلياء أو ايليا ومعناه بيت الله ... وقد ورد هذا الاسم في وثيقة الامان التي اعطاها عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه لسكان المدينة ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايليا من الامان اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها ان لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا الروم واللصوص ومن خرج منها فانه آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض .

فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى

ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص .

وقد سمي هذا الكتاب الذي كتبه عمر لاهل القدس (العهدة العمرية) نسبة الى العهد الذي اعطاه عمر على نفسه بان ينفذ الوعود التي استمل عليها الكتاب وقد جاء في خاتمة الكتاب العبارة التالية : « وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله والمؤمنين ».

واذا تأملنا في هذه العبارة نجدها ارتباطا رائعا بالعقيدة الاسلامية والتزاما قويا بمضامينها واحكامها والكتاب ليس معاهدة بين طرفين وانما هو عهد من طرف واحد هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بصفته خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين ومتضمن منحهم الامان على انفسهم وعلى اعراضهم واموالهم ومقدساتهم وعدم الحاق الاذى باحد منهم وليس في الكتاب كلمة توصي بانه اتفاقية بين طرفين .

دخل عمر بيت المقدس يوم الاثنين واقام بها حتى يوم الجمعة وصلى عمر في الحرم في مكان قريب من الصخرة الى الجنوب منها وطلب من بلال ان يؤذن وكانت اول مرة يؤذن فيها بلال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تقديرا للمناسبة .

ولعل آذان بلال كان امرا مرتبا اظهارا لمكانة المناسبة وتعبيرا عن حرمة المسجد الاقصى الواردة في القرآن الكريم .

ثم عرفت المدينة في الاسلام ببيت المقدس

اخرج الامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتيت بالبراق يضع حافره عند منتهى بصره فركبته فسار حتى أتيت بيت المقدس .

واخرج الامام النسائي حديث الاسراء وفيه « ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء ».

وفي حديث قتادة في قول الله تعالى : « **فأينما تكونوا فثم وجه الله** » قال : كان المسلمون يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله بمكة قبل الهجرة وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام .

فهذه التسمية بيت المقدس او القدس كانت معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه اما تسميتها بايليا في العهدة العمرية فلا ينافي ذلك وقد يكون في ذكره تطييب لخاطر اهل البلد خصوصا انه اسم غير مستنكر لان معناه بيت الله .

اما الاسم الذي يستعمله الصهاينة للقدس وهو اورشليم فهو ليس اسم يتم عن اصل يهودي للمدينة وما هو الا تشويه للحقائق التاريخية التي دأب اليهود على اعتماده .

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف



مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

(المنظر الاول)

القرود الثلاثة

خارج أسوار احدى المدن العربية القديمة وبجوار باب السور الضخم المغلق الذي يعلوه الحراس شاكى السلاح . ترتفع نخلة عجوز خاوية .
وقبيل غروب الشمس بقليل وبينما الليل البارد يقترب حثيثا . يتقدم شيخ طاعن في السن يدب على عصاه متجها ناحية أسوار المدينة .

الشيخ : (يردد وهو في سيره الوئيد ، بيتي الشعر المشهورين) :

مشيناها خطى كتبت علينا — ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض — فليس يموت في أرض سواها

(يجلس الشيخ تحت النخلة الخاوية قرب السور ، كي يستريح من تعب الرحلة . وبعد أن يشرب جرعة ماء كانت معه .. يحمد الله .. ثم يلتفت ناحية سور المدينة المقفل في وجهه ، ثم يناجي نفسه قائلا) :

رعاك الله يا أمل — فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب — يشيب لهولها الحمل
شربنا المر ألوانا — فقل لي كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا — وضاع الرأي والخجل
كلاب الأرض تنهشنا — متى ينهض لها رجل ؟
متى يشرق لنا صبح — به الاحرار تحتفل ؟

(يفتح باب سور المدينة فجأة .. وتخرج منه ثلاثة أشباح في ثياب غريبة كأنهم قردة لهم ذيول يمشون في حذر نحو الشيخ ، حتى يقفوا أمامه ، ثم يبدأ استجوابهم له) :

القرد الاول : (يشير الى الشيخ بيده ويقول)
يا هذا الشيخ ، ألا قل لي ، من أنت ؟
الشيخ : (لا يرد عليه ولا يلتفت اليه) ..
القرد الثاني : (مهددا) **أجبنا أو تندم من أي طريق قد جئتم ؟**
الشيخ : (لا يجيب) ..
القرد الثالث : (متلطفا) **خبرنا عجل خبرنا فالليلة برد لا يرحم**
الشيخ : (يرفع رأسه ببطء نحو الثالث قائلا) **أنا في الزمان حكاية ، وسؤال .**
الاول : **حسنا**
الثاني : **... وما أصل الحكاية يا ترى ؟**
الشيخ : **يفني الزمان ، وما لها أمثال .**
الثالث : (وقد نفد صبره) **يا عم قل لي ما الحكاية ؟ نبِّنا**

(يجلس القرود الثلاثة امام الشيخ في شكل نصف دائرة)

الشيخ : (يلوح لهم بعصاه مهددا) .. **أنا لست عما للقرود وخالا**
الأول : (يلح في السؤال) .. **من أنت ؟**
الشيخ : (يتنهد قائلا) **غريب يا هذا .. قد جئت أفتش عن كبدي ..**
الثاني : (مستنكرا) **كبد مفقود ؟** (يضحك)
الثالث : (متعجبا) ... **يا عجبا** .. (يشارك الثاني الضحك)
الشيخ : (موضحا) **لا تعجب .. أعني ولديّ**

الأول : (متعجبا) **ولداك ؟**
الثاني : (مستفهما) **وهل هربا ؟**
الثالث : (هازئا) **طبعا .. ما دام عجوزا عصبيا** (القرود الثلاثة يضحكون)
الشيخ : ١(ساخرا) **لم أبصر مثلك في دهري قرداً مغروراً وغبياً**
(يضحك القردان الاول والثاني فقط بينما يمتعض الثالث)
الأول : (مؤنبا زميله الثالث) **دعنا من لغوك يا هذا ..**
الثاني : (رابتا على كتف الشيخ) .. **وأجبنا يا شيخ أجبنا ..**
الشيخ : (متنهدا يكاد يبكي)

قلبي جريح والهموم ثقيلة من ذا يعين ؟ وكلنا غرباء
وئدت بصدري كل آمال الصبا وتفرق الاحباب والابناء
والدار قد سلبت وشرد أهلها وتحكم الاعداء والجبناء

الثالث : (ساخرا) **الغزت ، وما جئت بشئ فلدينا ثمة أشباه**
الشيخ : (محتدا) **أشباهك أعداء حياتي وبلادي .. يلعنك الله**
الثالث : (مستنكرا غاضبا) **تشتمني ؟**
الشيخ : (يهز عصاه مهددا) **بل أكسر رأسك**
الأول : (يمسك بالعصى قبل أن تصيب زميله ، ثم يؤنب زميله قائلا)
أسكت من فضلك لا تنطق وكفانا لغوا تهواه
(ثم يلتفت الى الشيخ قائلا) **أكمل قصتك بلا غضب .. أنا آذان**
الثالث : (يقاطع الاول ساخرا) .. **صماء** (ثم ينفجر ضاحكا)
الاول : (للثالث متوعدا) **قلنا أسكت ، أبدا لا تنطق**
(ثم يلتفت الى الشيخ قائلا)
أكمل قصتك وأمتعنا أنا لحديثك اصغاء
الثاني : (يستزيد الشيخ ليعرف بقية القصة)
كبدك مفقود وعرفنا فأزدنا يرحمك الله
الشيخ : (وكأنه يسترجع حادثة أليمة)
البنت ملاك مسحور .. ولهذا تدعى (حورية)
(وجهاد) ولدى اعصار .. تخشاه بحور غربية
الشيخ : (متابعا حديثه السابق)
خطفا بالغدر وساعدهم بالشرق عميل وخليه
الأول : (مستفسرا) **من هم ؟**
الشيخ : (يجيب وكأنه يسترجع الذاكرة)
أضياف غرباء قد ضاعت مني الأسماء
الثاني : (متسائلا) **هل تعرفهم ؟**
الشيخ : (يحاول أن يتذكر ثم يجيب)

لا أعرفهم ، قوم غرباء قد ضاعت مني الاسماء
أكرمت ضيافتهم زمنا
الثالث : (معلقا بسخرية) .. سفـــه وغبــــاء
الاول : (ينهر الثالث) .. قلنا أسكت أبدا لا تنطق
الشيخ : (يستمر في رواية ذكرياته الأليمة)
وغداة صباح العنه هب الجبنـــــــاء
ذبحوا الأطفال بلا سبب ، دفنوا الأحياء
الثالث : (مستنكرا) ولماذا جئت لبلدتنا ؟
الشيخ : (في تحدي) ما شأنك أنت لتسألني ؟
الأول : (يوضح للشيخ مهمتهم)
نحن الحراس لدولتنا نحميها كيد الأعداء
الشيخ : (ينظر اليهم بسخرية ويقول)
أهلا بالأمن وصاحبه فليهنأ جيش الاعداء
الثاني : (مستنكرا) او تسخر منا ؟
الشيخ : (متهكما) حاشاني .. أن أغضب ذيل الوجهاء
الثاني : (يفهم الشيخ الاجراءات التي تتبع عند دخول دولتهم)
ان كنت ستدخل دولتنا فلنفحص كل الاشياء
الشيخ : (في ملل) افحص ما شئت وخلصنا

(يتولى الثالث عملية تفتيش امتعة الشيخ ، وفجأة يخرج قلما وكتابا من داخل حاجيات الشيخ ، يقلبهما بانزعاج وكانه استخرج ثعبانا ساما ، ويصرخ)

الثالث : .. ما هذا ؟ قل لي ما هذا ؟
الشيخ : (باستغراب) قلم ، وكتاب ..
الثاني : .. قلم ، وكتاب
الاول : (في حزم) ممنوع هذي الاشياء
الشيخ : (متعجبا) ولماذا ؟
الثاني : (ينهر الشيخ قائلا) اسمع ، لا تسأل .. سنصادر هذي الاشياء

(يسلم الثاني القلم والكتاب للاول الذي يدخلهما في صدره ويقترب الثالث من الشيخ شارحا قوانين الدولة)

الثالث : ما دمت غريبا فلتعلم قانون الدولة يا هذا ..
الاول : (يشير الى الشيخ ويقول) لا تسمع ..
الثاني : (يقلد الأول قائلا) لا تبصر ..

الثالث : (مقلدا الثاني) **ممنوع أن تتكلم**
(يكررونها مرارا وهم يرقصون حول الشيخ وكأنهم يرددون النشيد الوطني)
الشيخ : (متعجبا مستنكرا) **لا أسمع .. لا أبصر ممنوع أن أتكلم**
(ثم يسأل القرود الثلاثة صارخا) **ولماذا فمنا موجود ؟**
الاول : (يشرح له السبب الحقيقي لوجود الفم) .. **كي نأكل ..**
الثاني : (مكملا بقية وظائف الفم) **نشرب ..**
الثالث : .. **او نضحك** (يتضاحك القرود الثلاثة)
الاول : ... **لنقبل ثغرا ورديا ..**
الثاني : .. **لنعب كؤوسا ..**
الثالث : (يدفع الشيخ الواقف كي يسير معهم) .. **فتحرك ..**
الشيخ : (يقف ولا يتحرك ثم يسألهم) .. **ولساني ؟**
الاول : (واعظا) **تبلعه دوما ..**
الثاني : (ناصحا) .. **كي تسلم ..**
الثالث : (مرشدا زاجرا) .. **أو بتروا رأسك ..**

(يشير الى رأس الشيخ ممثلا حركة القطع)

الشيخ : (يواصل اسئلته لهم) .. **وعيوني ؟**
الاول : (يغمض عينيه ويقول) .. **تغمضها دوما ..**
الثاني : (معللا سبب النصيحة) .. **كي تنجو ..**
الثالث : (محذرا) .. **أو فتحوا قبرك ..**
الشيخ : (يضرب كفيه تعجبا مما يسمع ويقول) **عجبا ما اسمع ..**
الاول : (محذرا الشيخ) **لا تسمع**
الثاني : (مستدركا حديث زميله) .. **الا ما أمروا ..**
الثالث : (محذرا) .. **أو تهلك ...**
الشيخ : (صارخا مستنكرا ومشيرا اليهم باستخفاف وسخرية)
ما جئت لأسمع مهزلة لقرود الحكمة
الأول : (مقاطعا ومحذرا) .. **يا أحمق .. رفقا بحياتك فاسمعنا ..**
الثاني : (ناصحا) **تحيا في دعة .. ..**
الثالث : (مهددا) .. **أو تتعب ..**
الشيخ : (في سخرية) **أتسمي ما قلتم عيشا ، وحياة .. اني اتعجب**
الاول : (محذرا الشيخ وقد امسك بذراعه ليساعده على السير)
لا تعجب وادخل خلصنا
الثاني : (في نفاد صبر) **الليلة برد ..**
الثالث : (مشيرا الى الصحراء مهددا) .. **أو فاذهب ..**

يمشي الجميع بهدوء والشيخ يدب على عصاة مستندا الى ذراع القرد الثالث والشيخ يردد بيت الشعر المشهور :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

ويدخل الجميع باب المدينة) .

(المنظر الثاني)

السوق

الوقت ظهرا وسوق المدينة يعج بالناس المشترين والبائعين ، بالواقفين والغادين .. يلبس الناس اقنعة على العيون .. وكمامات على الافواه .. وسدادات كالاقماع على الآذان .. كانهم مهرجون في (السيرك) .. يتبادلون البيع والشراء بالاشارات اليدوية فقط .. ولا ينطقون .. ولغير ما سبب يضربهم حراس السوق بالكرابيج .. فيضحكون .. لا يجرؤ احد منهم على الكلام او حتى البكاء .. فالبكاء ممنوع في هذا البلد .. قانون السوق الغش ربح وشطارة ، والصدق خيبة وخسارة .. كما تعلنه صراحة لائحة السوق المكتوبة بخط بارز وكل من في السوق من الرواد يبيع ويشتري في حركات بهلوانية ضاحكة .. لا تسمع الا الضحكات ، وصوت الكرابيج التي يلهب بها حراس السوق جلود من يحلو لهم من رواده ويقف الشيخ خارج السوق ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، يفرك عينيه وكأنه في حلم مزعج ، لا يصدق ما يرى ولا يعرف له معنى ومنظر السوق بعجائبه مستمر كانه احد الافلام الضاحكة المبكية .. ثم يظهر القرود الثلاثة سالفو الذكر .. ويقفون وراء الشيخ تماما ، وكانهم يتتبعون اثره ، ويرصدون حركاته وسكناته ..

الشيخ : (يسأل الحراس الثلاثة او القرود الثلاثة في دهشة) **ما هذا ؟**
« مشيراً للسوق »

القرد الاول : (ينهره مستنكرا) : **قلنا لا تنطق ..**

القرد الثاني : (متسائلا) **أنسيت أوامر دولتنا ؟**

القرد الثالث : (مذكرا الشيخ) **لا تسمع ..**

الاول : .. **لا تبصر ..**

الثاني : .. **ممنوع أن تتكلم .**

الشيخ : (مستنكرا) **لا أسمع ؟.. لا أبصر ؟.. ممنوع أن أتكلم ؟**
ولماذا هذا ؟ (يشير الى منظر السوق) **يا هذا ؟**
(يسأل القرد الأول)

الاول : (معلما) في الدولة لا تسأل أبدا .. عن كيف ؟
الثاني : (مكملا حديث الاول) .. لماذا ؟
الثالث : (مهددا متوعدا) .. أو تعدم .
الشيخ : (في الحاح ورجاء) بالله عليكم ما هذا ؟
الأول : (يعطي الشيخ ظهره ويكلم نفسه) شيخ مجنون
الثالث : فليرجم .
الثاني : (يقترب من الشيخ ويسأله) أنسيت نصيحتنا العظمى ؟
الاول : (يربت على كتف الشيخ ويقول له) يا شيخ لنفسك فلترحم
الشيخ : (متوسلا) أرحمني أنت وأخبرني ما أبصر حقا ، أم أحلم
الأول : (متعجبا) تتكلم ؟ تبصر ؟ ثانية فمتى يا هذا تتعلم ؟
الشيخ : (متحديا) ان لم استفهم يا هذا فمحال يوما أن أفهم .
الثاني : (متأففا) الحفت والححت كثيرا أف لعنادك يا أرعن !!
الثالث : (يعلق ساخرا) خرف ، مجنون ، وعنيد
سيموت قريباً أو يندم !!

الشيخ : (صارخا في ضراعة وهو يشير الى منظر السوق)
باالله عليكم .. ما هذا ؟
الأول : (يجيبه في يأس) السوق .. السوق .. فلا تسأل !!
الشيخ : (متعجبا) هل هذا سوق أم ...
الثاني : (مقاطعا مستنكرا) .. ماذا ؟
الثالث : (ينهر الشيخ) السوق أمامك .. لا تسأل ..
الشيخ : (يفكر قليلا ثم يسأل مترددا أول الأمر ثم تنهال اسئلته كالسيل ، والقرود من جنونه تتعجب ......)
حسناً ، ولماذا يضربهم هذا الشرطي ؟ ولا يرحم
ولماذا يضحك من ضربوا ظلما ؟ أو سرقوا ؟ لا أعلم ؟
ولماذا وضعوا أقنعة ؟ وأشاروا همساً ؟ لا أفهم ؟
ولماذا لا يبكي أحد ؟ أو يصرخ من ظلم أبكم ؟
هل صم ؟ عمى ؟ أم خرس ؟ هل هذي سوق ؟ أم مسلخ
كابوس هذا ؟ لا أدري هل أبصر بشراً ؟ أم ...

الأول : (وقد عيل صبره مقاطعا) .. ماذا ؟
الشيخ : (في هستيرية)

هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟

الثاني : (مذكرا) **في الدولة لا تسأل أبدا ، عن كيف ؟**
الثالث : (مكملا كلام الثاني ومهددا) .. **لماذا ؟ أو تعدم ؟**
الاول : (يحاول ان يفسر الأمر للشيخ بالتدريج)

أقنعة السوق مقدسة كي يسهل ربح او مغنم
الثاني : (مكملا) **والحزم ضروري جدا حتى لا ينكص من يغرم**
الثالث : (مؤكدا) **وبكاء الخاسر مضيعة للوقت ومن سرقوا أعلم**

الشيخ : (معلقا في سخرية) **هل هذي سوق أم مسلخ ؟**
الأول : **لا فرق هنالك يا هذا ..**
الثاني : (متعجبا) **فعلام بربك لا تفهم ؟**
الشيخ : **ولماذا الضحك ؟ ولا كلم ؟ والهمس يدور ، ولا أفهم ؟**
الأول : **أسرار السوق مقدسة .. والضحك دواء ..**
الثاني : (يكمل حديث الاول) **بل بلسم ..**
الثالث : (مذكرا بعقوبة الكلام) .. **والكلم بلاء لا يرحم .**
الأول : (يعود الى تذكير الشيخ) **أنسيت أوامر دولتنا ؟**
الثاني : (يردد كلمات القانون) **لا تسمع .. لا تبصر ..**
الثالث : (يكمل حديث الثاني) .. **ممنوع أن تتكلم ..**

(فجاة يقفز من داخل السوق رجل يصرخ ثم يخلع قناعه ويرميه على الأرض .. وحراس السوق توسعه ركلا وضربا ولا يساعده احد بل يقفون جميعا يتفرجون على المنظر الوحشي ، كانهم خشب مسندة ، او تماثيل لا روح فيها) ..

الرجل : (يصرخ متألما ويقول)
سرقوني ؟ غشوا .. لن أسكت .. سرقوني ؟ غشوا ؟ لن أسكت ؟
الشرطي الأول : (وهو ينهال على الرجل ضربا) **مجنون أسكت**
الشرطي الثاني : (وهو يساعد زميله في الضرب ثم يضع يده على فم الرجل)
لا تنطق !

الشرطي الثالث : (يصرخ مهددا الرجل) **عكّرت الأمن بلا سبب !**
الشرطي الأول : **وخلعت قناعك يا أحمق**
الشرطي الثاني : **ونطقت الفحش علانية**
الشرطي الثالث : (يواصل ضرب الرجل) **ستنال جزاءك ..**
الشرطي الأول : (وهو يواصل الضرب) .. **بل يسحق ..**

الشرطي الثاني : (يأمر زميليه) **جروه إلى السجن جزاء**
الشرطي الثالث : (وهو يقتاد الرجل الى خارج المسرح)
« **محكمة الشعب** » **غدا تعقد** ..
الشرطي الأول : (يقرر في زهو وخيلاء)

والعدل سيأخذ مجراه والفتنة تقتل أو تحرق ..

يقتاد رجال الشرطة من حرس الاسواق الرجل خارج المسرح والكل « كوت .. والصمت رهيب .

القرد الاول : (يسأل الشيخ مهددا) **أرأيت العدل وشرعته ؟**
الشيخ : (ساخرا) **هل هذي سوق ؟ أم غابة ؟**
القرد الثاني : (يستنكر سؤال الشيخ) .. **هل تسخر ؟**
الشيخ : (يعلق في سخرية) .. **أبدا .. بل أهذى**
القرد الثالث : (ساخرا) **مجنون أحرق أعصابه**
الأول : (ينصح الشيخ)
يا هذا لا تسأل أبدا عن شيء تجهل أسبابه !
الثاني : (هامسا في اذن زميله)
في ظرف ثلاثة أيام راقبه سنعرف أصحابه
ما جاء ليبحث عن ولد ..
الثالث : (مؤكدا) **وقريبا نكشف ألعابه ..**

(اثناء حديث القرود ينفض السوق ، ويهبط الظلام تدريجيا .. ولا يبقى في دائرة الضوء الخافت غير الشيخ والقرد الأول فقط اللذان يدور بينهما الحوار التالي) :

القرد الأول : **هيا يا شيخ بنا نمشي كي نأكل شيئا أو نشرب**
الشيخ : (لا يسمع كلام القرد الاول ثم يحدث نفسه بصوت مسموع وكأنه يسترجع ذكريات طفولته **يقول** : **قد صدقت امي اذ قالت**
(يحاول ان يتذكر ما قالته امه)
القرد الاول : (يسمعه فيقول ساخرا) **أسمعنا حقا ما قالت**

(فجاة وتظهر امراة وقورة تهدهد طفلا وتقول له بصوت واضح عميق ومؤثر ، الأبيات التالية بينما الشيخ والقرد الاول يستمعان الى كلماتها في خشوع تام) :

الأم :

الـدنيـا يـا ولـدي غـابـة	نـعـم وذئـاب وثـابـه
وقطيـع ضـل بـلا راع	ورعـاة بـاعـت اسـلابـه
وقطيـع بيـع لجـزار	وقطيـع الّـه قصـابـه
وقطيـع سمنـه الـراعـي	للـذبـح بحـرب خـلابـه
وقطيـع شتتـه فـزع	مجـهـول زلـزل ألبـابـه
وكـلاب الصيد بهـا انتشـرت	وإلكـفـر يمـارس الـعـابـه
وفخـاخ الـغـدر منـوعـة	وبحـور دمـاء منسـابـه
وبـغـاث الطـير مـغنيـة	لليـل أغـانـي مـرتـابـه
وقـرود تـرقص في فـرح	للمـوز ، وأخـرى جـلابـه

القرد الاول : (يشير الى الشيخ في غضب)

أمك تشتمنا يا هذا سحقا لا مرأة كذابة

(تختفي الأم تاركة القرد الأول والشيخ يتحاوران) :

الشيخ : (معترضا على سب القرد لأمه) **ما كانت أمي كذابة**

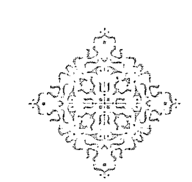
من قال الصدق فملعون مجنون حطم أعصابه

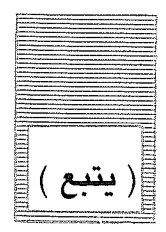
القرد الأول : (آمرا وقد عيل صبره من الشيخ)

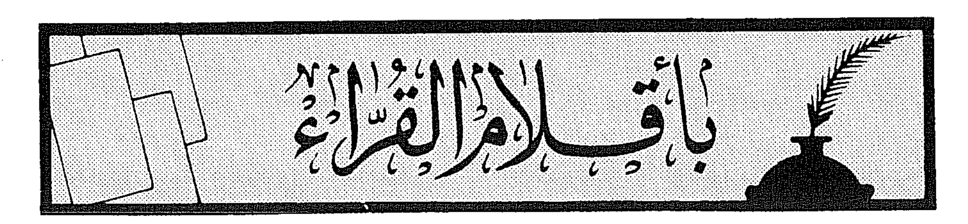
قم فأمش بنا وكفى لغوا هيـا نتجـول في الغابة

(يدب الشيخ على عصاه في خطوات رتيبة يتبعه القرد الاول ، والشيخ يردد بيته المشهور :

مشينـاهـا خطى كتبت علينـا ومن كتبت عليه خطى مشاها .







محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق

ارسل الينا الاستاذالشريف مأمون أبو الوفاكلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص وفيرة ، ومحامد كثيرة جعلته أفضل الخلق على الاطلاق ، وأرفع الناس درجة ، وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى ، وفضله على خاصته وأحبابه ، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه وحسبك شاهدا على ذلك ما يلي :

(١)أتاه الكمال في الخلق والخلق والأقوال والأعمال : فجمله بالسكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ؛ وكساه حسن القبول ، فاستمال القلوب ، وانقادت النفوس لموافقته ، وثبتت على محبته ومناصرته . وأمده برجاحة العقل وصدق الفراسة ، ومنحه زهدا في الدنيا وإعراضا عنها ، واكتفاء بالبلاغ منها ، وتواضعا للناس وهم له أتباع ، وخفض جناحه لهم وهو فيهم مطاع ، وكساه الحلم والوقار ، فما هزه طيش ، ولا استفزه خرق . وافاض عليه العلوم الجمة الباهرة ، والحكم البالغة ، وجعله أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا ، وأوجزهم كلاما ، وأجزلهم ألفاظا

(٢) ان الله جل شأنه خصه بخمس لم يعطهن أحدا من خلقه : تأمل مارواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . ونصرت بالرعب مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة » رواه البخاري .

(٣) ان معجزة كل نبي تصرمت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين – وهي القران الكريم – باقية إلى يوم الدين .

(٤) إن الله تعالي أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده ، أن يؤمنوا به وينصروه .

قال تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من**

الشاهدين) ال عمران /٨١

(٥) إن الله تعالى أثنى على خلقه صلى الله عليه وسلم : فقال : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم /٤ وهذا غاية الثناء .

(٦) إن الله جل شأنه أخبر أنه وملائكته يصلون على النبي ، وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه . وليس هناك شرف ورفعة فوق هذا :

(٧) إن الكتب القديمة السالفة حوت من البشائر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما لا سبيل إلى إنكاره .

(٨) إن الكهنة انقطعوا عن مبعثه ، كما انقطع استراق السمع . وفي هذا قضاء على الدجل والشعوذة وإماتة الشرك الخفي .

(٩) إنه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ، وأن الله حفظ كتابه المنزل عليه من التبديل والتحريف . فقال جل شأنه : **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت /٤٢

أضف إلى ذلك أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه . قال تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر /١٧ . وما عرف ذلك لكتاب غيره . وأنه مشتمل على جميع ما اشتملت عليه التوارة والانجيل والزبور .

(١٠) ان الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : **(لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)** الحجر /٧٢ . والاقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزته عند الله العزيز الحكيم .

(١١) ان شريعته أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة .

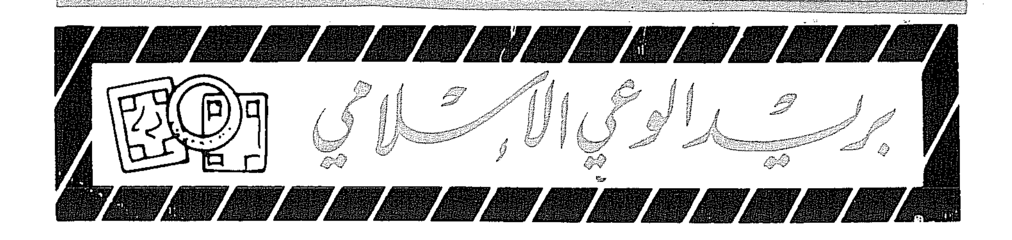
فقد كانت شريعة موسى عليه السلام شريعة جلال وقهر . أمروا بقتل أنفسهم وحرمت عليهم الشحوم وذات الظفر وغيرها من الطيبات ، وحرمت عليهم الغنائم وعجل لهم من العقوبات ما عجل ، وحملوا من الأصار والاغلال مالم يحمله غيرهم

أما عيسى عليه السلام فكان في مظهر الجمال . وكانت شريعته شريعة فضل واحسان لا يقاتل ولا يحارب . تأمل قول الانجيل : « من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك » .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع للقوة والعدل والشدة في الله ، واللين ، والرأفة ، والرحمة ، فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات . ولذلك أتت شريعته بالعدل فرضا ، وبالفضل ندبا ، وبالشدة في موضع الشدة ، وباللين في موضع اللين :

هذه أمة ، أمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس فكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم . كما كمل لنبيهم الكريم من المحاسن ما فرقه في الانبياء قبله . وكما كمل في كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله . فأتباع محمد هم المجتبون .

قال تعالى : **(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج /٧٨ .



حول مقال « الصحبة المؤمنة »

جاء في مجلة الوعي الاسلامي الغراء العدد ١٩١ مقال (الصحبة المؤمنة) للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة .

والمقال من المقالات الجديرة بأن نقرأها بتمعن لنلمس القوة الايمانية التي كان يتمتع بها الصحبة الأبرار . وقد جمع مقال كاتبنا الكبير من الحقيقة والابداع الجمالي في تبيان أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخذوا بالخلق العظيم في كلمات وجيزة فيها النفع الكثير . ولكن هناك كلمة أحببت أن أنبه اليها .

فقد جاء في المقال (شأن القرآن كله في أساليبه الساحرة) فوصفه أساليب القرآن بالساحرة وصف لا يليق بالقرآن الكريم لأن هذا الوصف تفوه به المشركون فقالوا ان هذا الا سحر يؤثر .

أرجو أن يسعني حلم كاتبنا الكبير .

هذا ما رأيت بيانه وشكرا .

مصباح درويش
الشامية قطعة ٨ ـ الكويت

لا نفرق بين أحد من رسله

قرأت ما نشر على صفحات « الوعي الاسلامي » في عدد شوال ١٤٠٠ هـ مقالا تحت عنوان (قم للمعلم وفه التبجيلا) للأخ حلمي السيد محمود ـ ولا ريب أن ما كتبه جهد مشكور ، وتوجيه محمود ، لكني وددت أن أشير الى شيء هام يتعلق بما أورده عن « الخضر » و« موسى » على نبينا وعليهما السلام فقد تحدث الكاتب عن التلميذ موسى والأستاذ الخضر !! ولعلي أخالفه الرأي فموسى الكليم من أولي العزم وقد بوأه الله مكانته السامقة فكلمه . ولا ينقص من مكانته أن يطلب العلم من مثله ، فهو يقول لأخيه (**ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا**) ليعلم طلاب العلم (الصبر والطاعة) فبهما ينتقل العلم من النظرية الى التطبيقية ، فلا علم الا وله عمل ، ولا عمل بلا علم ، وعلم « الخضر » من الله (**وعلمناه من لدنا علما**) فلا دخل للبشرية فيه بلا شك ، ومعلوم أن العقل الانساني يجهل كليات

العلم المادي فكيف به لو تدخل في ما وراء « ناموس » المادة ؟ السفينة تخرق ولا يدخلها الماء .. انه وحي السماء للأرض وأمر المعبود للعبد ، والعبد قاصر عن تأويل أفعاله الا باتصاله بمدبر الأرض والسماء (**وما فعلته عن أمري**) فهو وصاحبه بل وكل الأنبياء سواسية ، وأنى لموسى أن يكون تلميذا ؟ وقد شهد « الخضر » له بالعلم .. ثبت في الصحيحين عن أبي بن كعب - عن النبي - صلى الله عليه وسلم « أن الخضر قال لموسى : انت على علم من علم الله ، لا ينبغي لي أن أعلمه ، وأنا على علم من الله لا ينبغي لك أن تعلمه » .

يقول تعالى : (**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات**) البقرة/٢٥٣ . وتلاحظ أن الله قدم موسى .. أبعد ذلك نخاطبه أو نطلق عليه تلميذ لأنه جلس الى الخضر ..

وبعد : فهذا ما أردت بيانه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

عبد الجواد محمد الخضري
شربين - مصر

التصوير والنحت

السيد/ بن سوده محمد - حي الرميلة - الدار البيضاء - المغرب .
والسيد/ غنيم عبد المقصود شهاب الدين - شبين الكوم - مصر .

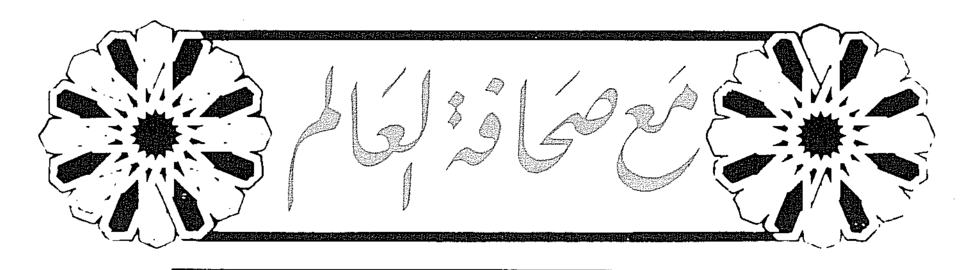
يرجى الرجوع الى العدد ١٤٥ من مجلة (الوعي الاسلامي) صفحة ١٠٠ ففيه الاجابة الكافية عن رأي الاسلام في الصور والرسوم والنحت .

الاشتراك في المجلة

أرسل الى جميع القائمين على مجلة الوعي الاسلامي بالتحية والتقدير لما يقومون به من عمل في سبيل نشر الدعوة الاسلامية وأتساءل عن كيفية الحصول على بعض النسخ من الأعداد السابقة كما أحب أن أعرف بالتفصيل نظام الاشتراك في مجلة الوعي الاسلامي .

حسن محمد محمد محمود - مصر

تأسف المجلة لعدم وجود أعداد سابقة ونظام الاشتراك غير معمول به في المجلة وانما يمكنكم الاشتراك بواسطة الاتصال بأقرب موزع للمجلة وبيان الموزعين مطبوع على ظهر الغلاف الأخير منها .



اختتام الندوة الدولية عن الاسلام

○ توفير الحرية للأقليات الاسلامية بالدول غير الاسلامية .

○ الاسلام يقدم الحلول لكل المعضلات التي تواجه العالم .

كتبت صحيفة الرأي العام الكويتية في عدد رقم ٦١٣٥ حول الندوة الدولية عن الاسلام تقول :

انتهت الندوة الدولية عن الاسلام التي نظمها المؤتمر الاسلامي في اطار اليونسكو في باريس ، وشارك فيها عدد من الشخصيات الفكرية والدينية والعربية والاسلامية والدولية .

وأصدرت الندوة بيانا ختاميا جاء فيه « ان الاسلام بطابع رسالته الشامل يظهر للمؤمنين طريق الخلاص الأبدي ويقدم المقترحات التي يجب أن ترتكز عليها العلاقات الاجتماعية والدولية في عالم اليوم لايجاد حياة كريمة لكل انسان ، ومن هنا فان الشعوب الاسلامية تجد في السلام الوسيلة الفضلى لتحقيق تطلعاتها ومستقبل أجيالها في ضمان حقوق الانسان ، كما وأن الاسلام يقدم الحلول للمعضلات الدولية الراهنة ولا سيما في مجال التطور الاقتصادي كما وأنه يشجع التقدم العلمي والتكنولوجي .

وأشار بيان الندوة الدولية عن الاسلام ، في باريس الى ضرورة تمتين العلاقات بين الاسلام والعالم الغربي في الاحترام المتبادل رغم الاحتفالات التي يمكن أن تعترض مسيرة الجانبين ، وأكد البيان ضرورة توفير الحرية للأقليات الاسلامية المتواجدة في الدول غير الاسلامية ، وأن تقدم لها كافة الوسائل للحفاظ على أصالتها الاسلامية وهويتها الثقافية وأن تقدم التسهيلات لأبناء الجاليات الاسلامية في الغرب للحصول على ثقافة خاصة تؤهلها للاندماج في المجتمع الجديد الذي تتواجد فيه ، دون أن تفقد جذورها الروحية والثقافية . وتطالب الندوة الدولية ، الدول الغربية أن تعمل على نزع كافة الصور المنحرفة التي تقدمها وسائل الاعلام عن الاسلام ، وطالبت الندوة أيضا بمكافحة العنصرية التي تمارس بحق أبناء الجاليات الاسلامية في دول الغرب ، هذا وقد اقترحت الندوة أن يقدم المؤتمر الاسلامي كل عام

جائزتين ، الأولى لأحسن تحقيق في الصحافة المكتوبة أو المرئية عن الاسلام في أي دولة من دول العالم ، والجائزة الثانية لأحسن كتابة أدبية تتسم بالموضوعية عن حقيقة الاسلام وعلى الصعيد العلمي فان الندوة العلمية تشجع التعاون بين العلماء المسلمين والغربيين للعمل سوية لتصحيح الأخطاء السالفة والترجمات الخاطئة التي تمت بسرعة ، وتسيء الى معاني ما ورد في القرآن الكريم .

وطالبت الندوة ضرورة أن تقدم الدول الغربية ومنذ سن الدراسة وبصورة مباشرة لأبنائها فكرة ممتازة وصحيحة عن الاسلام .

الجهاد

في كلمة اوردتها مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالرباط قالت في عددها الخامس :

● من الحقائق التي يجب ان تعلو فوق كل الاعتبارات والحيثيات ، وتتجاوز الصراعات السياسية والايديولوجية الحقيقة المتصلة بقضية القدس الشريف ، وباعتبارها التحدي العقائدي والحضاري الذي ترفعه الصهيونية والشيوعية والصليبية والاستعمار في وجه المسلم المعاصر ايا كان موقعه ، ومهما يكن انتماؤه .
ولاول مرة في تاريخ المسلمين بعد العهد النبوي الشريف تلقى تبعة المواجهة الجماعية بهذه الكثافة والقدر الوافي من الالحاح والاستعجال . على كاهلنا جميعا .

● ومن اجل ذلك ، كان الاهتداء الى انشاء لجنة القدس ، بما تمثله من دلالات اسلامية عامة ، الخطوة الاولى الى التحرير الشامل باذن الله ، لانها جاءت استجابة لروح العصر التي تقتضي الخروج بالقضية من نطاقها الاقليمي والقومي الضيق الى مجالها الاسلامي العالمي الممتد عبر القارات الخمس .
ولقد اثبتت معطيات المراحل الاولى من العمل الاسلامي الموحد من اجل القدس الشريف ان ثمة حاجة ملحة الى تغيير اساليب المعالجة والتحرك والنظر الى القضية وما يحيط بها من ملابسات وان منطق رد التحدي بتحد اقوى واعنف يلزمنا بالانتقال الى الخطوط الثانية في الموقع الامامي ، وذلك حتى يشمل عملنا جميع الاطراف وينفذ الى الاعماق ويؤتي ثماره ان شاء الله . ومن ثم اتجهت الانظار الى الرصيد التاريخي الذي يفوق في قيمته وأثره وتأثيره كل ما نملك من امكانيات

مادية ما ظهر منها وما بطن . ونقصد بذلك تراثنا الاسلامي الذي يلهمنا في مثل هذه الحالات باعلان الجهاد باعتباره الطريق الوحيد الذي لا طريق سواه للوصول الى المسجد الاقصى المبارك .

● وليس في الجهاد ما هو مقدس او غير مقدس . وانما الجهاد هو الاستنفار العام في سبيل الله وسعي في الارض لاعلاء كلمة التوحيد ، ولا يتأتي ذلك الا بتحرير اراضي المسلمين واسترجاعها الى دار الاسلام .

وفي عبارة تلائم ظروفنا ، فان الجهاد هو المعركة الكبرى الفاصلة لتحرير القدس تحريرا شاملا يردها الى اهلها المسلمين ويسترد سكانها بعودتها كرامتهم وعزتهم واعتبارهم الانساني .

وهو جهاد مقدس ما في ذلك شك ، لان كل عمل من هذا القبيل مقدس بالضرورة ، واعمال المسلمين التي تلتزم بشريعة الله كلها مقدسة

ان الامة الاسلامية تقف اليوم امام امتحان مصيري ، وبالجهاد تملك ان تتقدم وتقتحم وتسير ، وتحمي دينها وارضها وشرفها ، وتقي البشرية كلها من خطر الدمار الذي اوشك ان يتهددها ، بل اشرف على الانفجار .

وليست لنا رجعة عن القدس ، وجهادنا انما من اجل اولى القبلتين وثالث الحرمين ، اما الصورة العملية لهذا الجهاد فهذا من شأن اولى الامر فينا ، ولسنا نملك سوى الاستجابة والتلبية والجود بالارواح والاموال .

● ولعل الله سبحانه وتعالى اراد ان يكرمنا ونحن نتهيأ لاستقبال القرن الخامس عشر للهجرة باحدى الحسنيين : الشهادة او النصر .

وتلك وحدها ، الطريق الى القدس ، وما عداها سبل ومسالك تلتوي وتتشعب ولا تفضي الا الى الهلاك والمذلة والهوان .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

○ كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .

○ الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

إقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

المسجد النبوي الشريف

طباعة مؤسسة دار السياسة ــ الكويت ــ